

خزل الماآدي

مآولوجيا الأردن القديم



آقآيم: زليآة أبو ريشة

مثنولوجيا الأردن القديم

خزعل الماجدي

[دكتوراه تاريخ قديم]

تقديم ، زليخة أبو ريشة

البرنامج الوطني للقراءة

مكتبة الأسرة الأردنية

سلسلة تصدرها وزارة الثقافة الأردنية، أطلقت لأول مرة في عام (2007)، وتم تطويرها في عام (2020) ضمن البرنامج الوطني للقراءة.

وتهدف (مكتبة الأسرة الأردنية) إلى نشر المعرفة وإثراء مصادر الثقافة وتنمية التفكير الناقد ورفع مستوى الوعي لدى الأسرة الأردنية من خلال توفير الكتاب بجودة عالية وبأسعار رمزية. تضم السلسلة ستة حقول أساسية: دراسات أردنية، تراث عربي وإسلامي، آداب وفنون، فلسفة ومعارف عامة، علوم وتكنولوجيا، والأطفال.

مكتبة الأسرة الأردنية / مهرجان القراءة للجميع الدورة (2020/14)

عنوان الكتاب : مثولجيا الأردن القديم

المؤلف : خزعل الماجدي

الناشر : وزارة الثقافة

شارع صبحي القطب، المتفرع من شارع وصفي التل، بناية 20

هاتف: 5699054 / 5696218

فاكس: 5696598

ص.ب. 6140 - عمان - الأردن Email : info@culture.gov.jo

• رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2020/12/5115)

• (ردمك) ISBN 978-9957-94-616-6

الطباعة : مطبعة حلاوة النموذجية

© جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

© All rights reserved. No part of this book may be reproduced stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the publisher.

الى

تايكي

وهي تضعني في دولاب افلاكها

لأتعالى بها

فهرس المحتويات

١	* فهرس المحتويات والاشكال والجداول والخرائط
١٣	* تقديم
١٧	* مقدمة

الفصل الاول : مقدمة في المثلوجيا

٢٥	ما المثلوجيا ؟
٢٧	ما الأسطورة ؟
٢٩	رأي جديد في أصل مصطلح (اسطورة)
٣١	فرق الاسطورة عن الخرافة والحكاية الشعبية والملحمة
٣٤	مدارس المثلوجيا
٣٧	الأسطورة : أعماقها ومحيطها
٣٧	(١) أعماق الأسطورة : بذرة العقل
٤٨	(٢) محيط الأسطورة : فضاء العقل وغاياته
٥٥	أنواع الأساطير وتصنيفها
٥٨	هل توقف ظهور الأساطير ؟
٦٢	مثلوجيا الأردن القديم
٦٦	هوامش الفصل الأول

الفصل الثاني : مثلوجيا العصور الحجرية

٧٣	اطلالة تاريخية
٧٨	مثلوجيا الباليوليت
٨٢	مثلوجيا الميزوليت
٨٦	مثلوجيا النيوليت
١٠١	هوامش الفصل الثاني

الفصل الثالث : المثلولوجيا الكنعانية

١٠٧ مقدمة تاريخية
١١٠ المثلولوجيا الكنعانية
١١١ اسطورة التكوين
١١٢ اسطورة بعل وعناة
١١٤ اسطورة ايل
١١٧ اسطورة الاله بعل
١٢١ اساطير وملاحم كنعانية اوغاريتية اخرى
١٢٢ اساطير كنعانية يونانية
١٢٣ هوامش الفصل الثالث

الفصل الرابع : المثلولوجيا الاردنية

١٢٧	١- المثلولوجيا العمونية
١٢٩ مقدمة تاريخية
١٣٨ سر عمون
١٤٣ ملكوم
١٤٥	٢- المثلولوجيا المؤابية
١٤٧ مقدمة تاريخية
١٥٠ الاله بعل بور
١٥٢ الاله كموش والمثلث الذكوري
١٥٥ الاله كموش ومسلّة ميشع
١٦٠ الاله نابو
١٦١ عشتار كموش
١٦٢	٣- المثلولوجيا الأدومية
١٦٣ مقدمة تاريخية
١٦٦ لوحة بالوعة أصل الإله يهوا
١٧١ الآلهة الأدومية
١٧٣ الطقوس
١٧٥ هوامش الفصل الرابع

الفصل الخامس : المثلولوجيا النبطية

١٨١	مقدمة تاريخية
١٨٥	مثلولوجيا المحيط النبطي
١٨٨	المثلولوجيا النبطية الصحراوية
١٩٧	المثلولوجيا النبطية الزراعية
١٩٩	المثلولوجيا النبطية المركبة
٢٠٢	من مناة الى تايكي ونايكي
٢٠٦	من العزى الى ابرس والفروديت
٢٠٧	رموز الآلهة النبطية
٢٠٨	مظاهر المثلولوجيا النبطية : الطقوس والمعابد
٢١١	مثلولوجيا المكان
٢١٣	هوامش الفصل الخامس

الفصل السادس : المثلولوجيا اليونانية الرومانية

٢١٩	مقدمة تاريخية
٢٢٤	الأدب المثلولوجي
٢٢٩	عناصر المثلولوجيا اليونانية
٢٣٧	الأساطير اليونانية الرومانية في الاردن
٢٣٨	١ . اسطورة زيوس
٢٤١	٢ . اسطورة ديونيزيوس
٢٤٣	٣ . اسطورة ابولو
٢٤٦	٤ . اسطورة هرمس
٢٤٨	٥ . اسطورة أريس
٢٤٩	٦ . اسطورة هرقل
٢٥١	٧ . اسطورة بوزيدون
٢٥٢	٨ . اسكلابيوس
٢٥٣	٩ . ديداليوس وايكاروس
٢٥٤	١٠ . ارتيس
٢٥٦	١١ . افروديت

٢٥٨	١٢. اثينا
٢٥٩	١٣. ديمتر
٢٦٠	١٤. تاكيكي
٢٦٦	١٥. ناكيكي
٢٦٧	١٦. الحوريات
٢٧٠	هوامش الفصل السادس

الفصل السابع : المثلولوجيا المسيحية

٢٧٥	مقدمة تاريخية
٢٧٧	المثلولوجيا المسيحية
٢٧٨	(١) المثلولوجيا التاريخية للتوراة
٢٧٨	١. رحلة النبي ابراهيم
٢٨٠	٢. سدوم وعاموره
٢٨٥	٣. بنتا لوط وأصل المؤابيين والعمونيين
٢٨٦	٤. عيسو (أدوم المقتصب حقه)
٢٨٧	٥. موت موسى في جبل نبو
٢٨٨	٦. بلعام نبي مؤاب
٢٩٠	(٢) الاسينيون ومخطوطات البحر الميت
٢٩٤	(٣) يوحنا المعمدان (يحيى)
٢٩٤	(٤) السيد المسيح
٢٩٥	(٥) أهل الكهف
٢٩٨	(٦) مثلولوجيا الكنائس الاردنية القديمة (مثلولوجيا الفسيفساء)
٢٩٨	١. كنيسة القديس ثيودورس الشهيد في مادبا
٢٩٨	٢. كنيسة العذراء وردة هيبوليتس في مادبا
٣٠٢	٣. كنيسة الرسل
٣٠٣	٤. فسيفساء بيت فريد المصري
٣٠٣	٥. المرأة المستلقية والاله قومس
٣٠٥	هوامش الفصل السابع
٣٠٧	المصادر والمراجع

فهرس الأشكال

- شكل (١) : عشتار التي ترضع العالم .. مصدر الاسطورة ٣٠
- شكل (٢) : اسطورة الخليفة البابلية - الآلهة مع الآلهة . الاله مردخ يقاتل الالهة تيامت ٣٣
- شكل (٣) : ملحمة الايلازة - البشر مع الآلهة . ام اخيل تستدر عطف الاله زيوس من اجل ابنها ٣٤
- شكل (٤) : ديونيزيوس ، الاسطورة والدراما ٤٤
- شكل (٥) : الثور المجنح ذو الوجه البشري ٥٠
- شكل (٦) : عجل بوجه بشري ذو خية ٥١
- شكل (٧) : الساحر يركب عل عنزته الشيطانية ٦١
- شكل (٨) : الالهة الام في الباليوليت الاوربي ٨١
- شكل (٩) : تمائيل نطوفية ٨٣
- شكل (١٠) : تمائيل نطوفية حيوانية ٨٣
- شكل (١١) : انصاب ومانهير مختلفة وجدت في الاردن وفلسطين ٨٥
- شكل (١٢) : جماجم منفصلة عن أجسادها في اريحا ٨٦
- شكل (١٣) : المصلى العائلي في اريحا ويظهر المسبوت في احد جدرانه ٨٧
- شكل (١٤) : شكل تخطيطي للمصلى العائلي ومزار اريحا ٨٧
- شكل (١٥) : المنحطة ، تمائيل شبيهة بالانسان والحيوان ٨٨
- شكل (١٦) : البيضاء ، عنزة برية من الطين المشوي ٨٨
- شكل (١٧) : البيضاء : أول الدمى العشتارية ٨٩
- شكل (١٨) : تمائيل على حصى من المنحطة وشارها غولان تمثل الانثى الذكر ٨٩
- شكل (١٩) : تمائيل الام الرهيبة من المنحطة ٩٠
- شكل (٢٠) : الالهة الام في اقصى تطورها ٩١
- شكل (٢١) : الالهة الام الباليوليثية والنيوليتية ٩١
- شكل (٢٢) : جمجمة نيولينية من اريحا ٩٣
- شكل (٢٣) : مخابى ، التماثيل الجصية ٩٤
- شكل (٢٤) : آدم وحواء الاردن ٩٤
- شكل (٢٥) : تمائيل التراكووتا ٩٥
- شكل (٢٦) : لوحتان على صخور بازلتية ٩٦
- شكل (٢٧) : رأس لتمثال يرموكي مصنوع من الغضار ٩٦

٩٨	شكل (٢٨) : نجمة الفسول
٩٩	شكل (٢٩) : جدارية الموكب
١١٢	شكل (٣٠) : الالهة عناة تصحبها حيتان وتقف على أسد
١١٢	شكل (٣١) : الالهة عناة مصورة على أقراط ذهبية
١١٥	شكل (٣٢) : مسلة الاله ايل من اوغاريت
١١٥	شكل (٣٣) : تمثال برونزي لاله الحرب (رشف) من مجدو
١١٦	شكل (٣٤) : الالهة الام الكنعانية عشيرة
١١٦	شكل (٣٥) : الهة الحب والحرب الكنعانية عناة
١١٨	شكل (٣٦) : الاله بعل حدد وهو يحمل الصاعقة
١١٨	شكل (٣٧) : بعل حدد في صورة العجل أو الثور
١١٩	شكل (٣٨) : الاله بعل تمثال برونزي
١٤٠	شكل (٣٩) : ناووس يدل على الاله اوزوريرس
١٤١	شكل (٤٠) : نواويس ذات اشكال آدمية من مؤاب
١٤١	شكل (٤١) : تحوتمس الثالث
١٤١	شكل (٤٢) : الاله (أمون) والاه (أمون رع)
١٤٢	شكل (٤٣) : الالهة بارات
١٤٣	شكل (٤٤) : عشتار ملكوم
١٥١	شكل (٤٥) : الاله المؤابي المحارب
١٥٣	شكل (٤٦) : منحوتات صغيرة تمثل الاله كموش او الاله عزيزو
١٥٨	شكل (٤٧) : صورة لمسلة ميشع
١٥٨	شكل (٤٨) : تخطيط لمسلة ميشع
١٦٠	شكل (٤٩) : الاله بنو
١٦٦	شكل (٥٠) : لوحة بالوعة
١٩٠	شكل (٥١) : هيكل خزانة فرعون في البتراء
١٩١	شكل (٥٢) : أطوار القمر
١٩٧	شكل (٥٣) : الاله حدد في صورته النبطية
١٩٩	شكل (٥٤) : الاله ذو الشرى - باخوس
٢٠١	شكل (٥٥) : اتارغاتيس الهة الخصب والثمار
٢٠٢	شكل (٥٦) : اتارغاتيس الهة السمك والدلافين
٢٠٣	شكل (٥٧) : ناينيكي وهي تحمل الزودياك (ابراج الفلك)

٢٠٣	شكل (٥٨) : تاكيكي وسط الزودياك
٢٠٤	شكل (٥٩) : تاكيكي المنجحة
٢٠٤	شكل (٦٠) : تاكيكي ذات السفرة
٢٠٥	شكل (٦١) : الاله ميركوري (هرمس) رسول الآلهة
٢٣٢	شكل (٦٢) : آلهة الاولمب
٢٣٥	شكل (٦٣) : خلق الانسان
٢٣٦	شكل (٦٤) : بروجميسوس مقيداً
٢٣٦	شكل (٦٥) : باندور تفتح العلبة
٢٣٩	شكل (٦٦) : رأس زيوس في متحف روما
٢٣٩	شكل (٦٧) : رأس زيوس في متحف عمان
٢٣٩	شكل (٦٨) : زواج هير وزيوس
٢٣٩	شكل (٦٩) : زيوس على عرشه في جدارا (أم قيس)
٢٤٠	شكل (٧٠) : معبد الاله زيوس في جرش
٢٤٢	شكل (٧١) : أحد الساتيرات / أم قيس
٢٤٢	شكل (٧٢) : اريادني / أم قيس
٢٤٢	شكل (٧٣) : عنقود عنب وهو رمز الاله ديونيزيوس
٢٤٤	شكل (٧٤) : رأس ابولو / روما
٢٤٤	شكل (٧٥) : أبولو يعزف على قيثارته / روما
٢٤٤	شكل (٧٦) : أبولو يعزف على قيثارته / جرش
٢٤٤	شكل (٧٧) : أبولو يعزف على دف / جرش
٢٤٥	شكل (٧٨) : أبولو وديفني
٢٤٥	شكل (٧٩) : بوزيدون ، ابولو ، اركيس في الاولمب
٢٤٧	شكل (٨٠) : تمثال هرمس يحمل الطفل ديونيزيوس
٢٤٧	شكل (٨١) : هرمس يحمل الطفل ديونيزيوس
٢٤٧	شكل (٨٢) : هرمس على منحوتة حجرية . متحف عمان
٢٤٨	شكل (٨٣) : أبناء أريس روموليوس وديوس يرضعان من الذئبة
٢٤٩	شكل (٨٤) : اريس جالساً وايروس يلعب بين اقدامه
٢٤٩	شكل (٨٥) : اريس مع افروديت
٢٥٠	شكل (٨٦) : هرقل يتكى على عصاه
٢٥٠	شكل (٨٧) : هرقل وهسبريدس

- شكل (٨٨) : هرقل وولده - دينار بيزنطي في عمان ... ٢٥٠
- شكل (٨٩) : تمثال الاله بوزيدون / روما ٢٥١
- شكل (٩٠) : لوح رخامي عثر عليه في جرش وعليه نقش فيه عصا بوزيدون ٢٥١
- شكل (٩١) : اسكلابيوس مع ابنته هيجيا / روما ٢٥٢
- شكل (٩٢) : رأس تمثال رخامي لاسكلابيوس في جرش ٢٥٢
- شكل (٩٣) : ديداليوس / متحف عمان ٢٥٣
- شكل (٩٤) : ايكاروس / متحف عمان ٢٥٣
- شكل (٩٥) : ارتميس افسوس الهة الخصوبة ٢٥٥
- شكل (٩٦) : ارتميس الصيادة ٢٥٥
- شكل (٩٧) : جسد ارتميس كثير الأتداء / ام قيس ٢٥٥
- شكل (٩٨) : رأس رخامي لارتميس ٢٥٥
- شكل (٩٩) : مدخل معبد ارتميس في جرش ٢٥٥
- شكل (١٠٠) : خاتم روماني على صورة الاله ارتميس / جرش ٢٥٥
- شكل (١٠١) : أفروديت / متحف عمان ٢٥٧
- شكل (١٠٢) : تمثال فخاري مكسور لأفروديت / متحف عمان ٢٥٧
- شكل (١٠٣) : أفروديت / متحف عمان ٢٥٧
- شكل (١٠٤) : أفروديت وايروس / متحف عمان ٢٥٧
- شكل (١٠٥) : أثينا ترتدي خوذةها المتميزة ٢٥٨
- شكل (١٠٦) : أثينا تمثال برونزي / روما ٢٥٨
- شكل (١٠٧) : أثينا تمثال برونزي / روما ٢٥٨
- شكل (١٠٨) : ديمتر وهي تحمل سنابل الحنطة ٢٥٩
- شكل (١٠٩) : الإلهة فورتنا الرومانية (تاياكي اليونانية) ٢٦٣
- شكل (١١٠) : تاياكي عمون أو تاياكي فيلادلفيا ٢٦٣
- شكل (١١١) : تاياكي جدارا (ام قيس) ٢٦٣
- شكل (١١٢) : تاياكي المجنحة ٢٦٤
- شكل (١١٣) : تاياكي المجنحة وهي تحمل الكليل السعف ٢٦٤
- شكل (١١٤) : تاياكي حامية المدينة على مسكوك نقدي من عمان ٢٦٤
- شكل (١١٥) : تاياكي المجنحة وهي تحمل ابراج الفلك (الزودياك) ٢٦٦
- شكل (١١٦) : الحورية اريثوسا وتظهر سمكتان امام وجهها دلالة على الماء ٢٦٧

٢٦٧	شكل (١١٧) : الإله اوقيانوس أبو الحوريات
٢٦٨	شكل (١١٨) : سبيل الحوريات في جرش
٢٨٣	شكل (١١٩) : قوم سدوم وعاموره يتظاهرون أمام بيت لوط
٢٨٣	شكل (١٢٠) : البحر الميت .. أعمدة الملح التي تذكر بزوجة لوط
٢٨٩	شكل (١٢١) : مخطوطة دير علا للنبي بلعام
٢٨٩	شكل (١٢٢) : كتابات قديمة من دير علا غير مقروءة الى الآن
٢٩١	شكل (١٢٣) : المخطوطات النحاسية
٢٩٤	شكل (١٢٤) : تخطيط لوجه السيد المسيح على طبق فخاري / جرش
٢٩٤	شكل (١٢٥) : صليب على طبق فخاري / جرش
٢٩٥	شكل (١٢٦) : السمكة الرمز المسيحي
٢٩٧	شكل (١٢٧) : واجهة الكهف بعد ترميمه
٢٩٧	شكل (١٢٨) : اللوحة المعلقة على الكهف
٢٩٩	شكل (١٢٩) : فسيفساء أرضية ردهة هيبوليتس في كنيسة العذراء
٣٠٠	شكل (١٣٠) : تفصيل الجزء الأيسر من لوحة هيبوليتس وفيدرا
٣٠١	شكل (١٣١) : اسطورة ادونيس والفروديت
٣٠١	شكل (١٣٢) : ادونيس والفروديت تهدد بصندلها ايروس
٣٠٢	شكل (١٣٣) : الهة البحر ثيتس خارجة من الأمواج
٣٠٤	شكل (١٣٤) : انخية وساتيروس في مشهد باخوسي

فهارس أشكال بداية الفصول

٢٣	١. الفصل الأول : الالهة ننخرساج
٧١	٢. الفصل الثاني : الالهة الام النيوليثية
١٠٥	٣. الفصل الثالث : الاله بعل يحمل الصاعقة
١٢٥	٤. الفصل الرابع : عشتار ملكوم - الهة العمونيين الأولى
١٧٩	٥. الفصل الخامس : الاله ذو الشرى باخوس (البترء)
٢١٧	٦. الفصل السادس : تاكيكي عمون
٢٧٣	٧. الفصل السابع : آلهات المدن الثلاث (روما ، غريغوريا ، مادبا)

فهرس الجدوال

٣٣	جدول (١) : الفرق بين الأسطورة والحقيقة والحكايا الشعبية والملحمة
٧٣	جدول (٢) : الجدول التاريخي العام للاردن القديم
٧٤	جدول (٣) : الجدول التاريخي العام بدلالة الأقوام والحضارة في الاردن
٧٥	جدول (٤) : الجدول التاريخي المفصل بدلالة الأقوام والحضارات في الاردن
٧٧	جدول (٥) : الجدول التأريخي المقارن
١١١	جدول (٦) : الميثولوجيات المتوسطة ومركزية الميثولوجيا الكنعانية فيها
١١٣	جدول (٧) : شجرة تقريرية لنسل الآلهة الكنعانية
١٣٧	جدول (٨) : قائمة بأسماء الملوك العمونيين
١٤٩	جدول (٩) : قائمة بأسماء الملوك المؤابيين
١٥٩	جدول (١٠) : الأبجديات القديمة
١٦٥	جدول (١١) : قائمة باسماء ملوك أدوم المعروفين
١٨٤	جدول (١٢) : ملوك الأنباط
١٨٥	جدول (١٣) : الآلهة اللحيانية
١٨٦	جدول (١٤) : آلهة معين
١٨٦	جدول (١٥) : آلهة دران
١٨٧	جدول (١٦) : آلهة حوران
١٨٧	جدول (١٧) : آلهة تيماء
٢٠٥	جدول (١٨) : تحولات الآلهة النبطية
٢٢٣	جدول (١٩) : شجرة الآلهة اليونانية
٢٧٩	جدول (٢٠) : الميثولوجيا التأريخية للتوراة

فهرس الخرائط

- خريطة (١) : بلاد كنعان قبل ظهور موسى (٣٠٠٠ - ١٣٠٠) ق.م ١٠٩
- خريطة (٢) : الاردن في العصر البرونزي المتوسط ١٣٠
- خريطة (٣) : الاردن في العصر البرونزي المتأخر ١٣١
- خريطة (٤) : الاردن القديم في العصر الحديدي ١٣٢
- خريطة (٥) : عمون ومؤاب وأدوم ١٦٥
- خريطة (٦) : البتراء ١٨٤
- خريطة (٧) : الشام في العهد البيزنطي ٢٧٦
- خريطة (٨) : البحر الميت قبل كارثة سدوم وعاموره ٢٨٠
- خريطة (٩) : البحر الميت بعد كارثة سدوم وعاموره ٢٨١
- خريطة (١٠) : موقع خربة قمران التي وجدت فيها مخطوطات البحر الميت ٢٩١

تقديم

تعتبر الأسطورة معيناً روحياً لا ينضب للشعر تحديداً ، والنفض العميق للتاريخ والثقافة والأديان . وبفض النظر عن أصلها الحكائي المقدس ، فإنها صورة عليا من صور المخيلة البشرية . على أنها في نهوضها الأول كانت تغالب أسرار الخلق والتكوين ، وتنجح الكائنات بقدرات خوارق لتتربع هذه الكائنات على سدة الألوهية ، وتتصارع كما يتصارع الليل والنهار ، والحياة والموت ، والعالم العلوي والعالم السفلي والأنوار والأسرار ... وبذا فهي ذاكرة البشرية التي تحتفظ ببقايتها ، واللغة التي تستفز المشاعر الأولى وتؤجج مغامرة العقل وتبعث به في مسالك الشوق نحو المعرفة البدئية وفهم العالم وقوى الكون ونظام الطبيعة .

وقد استهوى علم الأسطورة أو المثلولوجيا الشاعر الباحث الدكتور خزعل الماجدي - مؤلف هذا السفر الثمين - من حيث هو شاعر من العراق وجد في مثلولوجيا الرافدين ثرا جماً يغني بنيانه المعرفي والشعري ، ويعطر وجدانه بسيل من عبق زمان موغل في القدم حملت ذاكرته الأسطورية جماليات لا حصر لتناهيها . وقد أتيح لي أن أطلع على مقالة مطولة كان الماجدي قد كتبها عن مثلولوجيا الأردن ، ففتح عيني على حقل مهممل مفرطع مبعثر في طوايا المراجع العربية القليلة والمراجع الأجنبية . وجعلني التداول والنقاش أن تستهويني فكرة استدراج الباحث / المؤلف إلى تأليف كتاب عن مثلولوجيا الأردن القديم ، خصوصاً أن الساحة الأكاديمية والثقافية الأردنية تخلو من متخصص أو متخصصة في حقل المثلولوجيات . وكان مما عزز هذه الفكرة أن الماجدي قد أشار في مقالته وحديثه إلى خصوصية ما ، ينفرد بها الأردن القديم في مجال الأسطورة تميزه عن المثلولوجيا الرافدينية ومثلولوجيا كنعان في فلسطين والشام ، ناهيك عن غياب كتاب واحد يلم ما تناثر من أطراف مثلولوجيا الأردن القديم ووضعها تحت نظر فاحص ، وهو ما قدمه هذا الكتاب .

ولأن الدراسة في تصورها الأول كانت للبحث في عمق الثقافي ، واستنطاق المكان

السكان (الأثار) بما في طواياه من حنجرات صامته ، واستنهاض روحه الحية لتخفق في فضائه وتعيد في عيوننا ملامح ما مضى ... فقد قادت حقائق مذهلة عن التاريخ القديم للأردن منذ العصور الحجرية إلى سبر منطقة العقائد تحديداً لإعادة رصف الفسيفساء الروحية والمثولوجية للأردن .. وهو ما فعله تماماً المؤلف .

وكما كانت الأسطورة مادة أولى للخلق الشعري عند أهل الشعر من الغرب والعرب ، كالسياب ممن دخلت نسيجهم الشعري ، كما صارت استلهاماً لعناصر بناء وتقنيات كما بدأ ذلك الشاعر الإنجليزي وليم بليك وتبعه في ذلك شعراء خلقتوا أساطيرهم الخاصة ، فإن التنقيب عميقاً في صحراء الأردن ووادي نهرها وأطراف الضفة الغربية سيهيل التراب بعيداً عن مخلوقات خارقة الجمال كانت تتحكم في حياة البشر في هذه المنطقة التي عبرتها وداهمتها سيول من ثقافات وحضارات شتى ، وأقوام مرت وأقامت واحتدمت وتصارعت وتركت آثار هذا الاحتدام والصراع ساجياً في رمالها وبين حجارتهما وتحت نور شمسها الحارق ، فقد آن لهذا المتوارى في عتمته أن ينكشف .. مثلما آن لعشتار الأردن (تايكي) أن تنهض في بخورها وطيبها وزينتها لتحرس أبواب الحظ والمصائر وتجتّح منها جناحاً وسعفة تنشر في أفق اللغة خضرتها وبساتينها ، ليتلقف نثار ما تنثر أهل الشعر والأدب ، وأهل الآثار والتاريخ ، وأهل الدراسات والأنثروبولوجيا ، وأهل دراسات الأديان ... وهي الفئات المستهدفة الأولى لهذا الكتاب .

إن الدكتور الماجدي لم ينفخ الفبار عن الجانب الألوهي في تاريخ الأردن القديم فحسب ، بل اجتهد اجتهداً مخلصاً في إقامة شبكة علاقات وتفسيرات - لعلها في هذا السياق - تُقدّم للمرة الأولى ، متحملة تبعة مغامرة عقلية جريئة لارتداد باب في التأويل ليس من السهل عبوره . واذ كسا الماجدي هيكل الأشياء أثوابها وبث في رميمها روحها - وهو أبعد ما يفعله أهل التاريخ - فلا بدّ أن تحفّظ على اندفاعاته في التأويل اللغوي الذي يذكّرنا بمنهج الدكتور كمال الصليبي في كتابه « التوراة جاءت من الجزيرة العربية » ...

هذا التأويل الذي يمكن أن يغرّر بالبحث والباحث ويقودهما إلى مناطق نائية عن الحقيقة التاريخية ، أو إلى مناطق التشكك به ..

ومع ذلك ، فإنه يبدو لي أنّ الجهد الذي بذله الباحث في فترة زمنية ضاغطة وقياسية ، يعتبر اختباراً حقيقياً لمقدرة الباحث على تقديم دراسة فنية مشّعة بأرائه ، حاملة التاريخ بكف ، ووصوصات الآلهة القديمة وعوالمها الخارقة بالكف الأخرى .. بالإضافة الى رصانة وأمانة علمية وحيوية ذهنية وروحية قلّ اجتماعها في بحث متصل بالتاريخ القديم ..

وبذلك . فإن لنا أن نعتبر هذا الكتاب إنجازاً أول في المكتبة العربية على الأقل . ومن الكتب العربية القليلة التي تتناول المثلولوجيا بصرامة شروط البحث العلمي وطراوة لغة الشعر ، بما لا يسيء إلى الفحوى ولا الحقائق ولا اللغة العلمية المكثفة .

وإني لفخورة أن أكون سبباً في تقديم هذا المشروع إلى وزارة السياحة والآثار وأن اتابعه في مراحل المتعددة حتى يرى النور .

وإني لعلّى يقين أن الوزارة بدورها قد ميّزت ما دعمت ، وإنها أدركت أهمية أن تتبنى كتاباً جليلاً يخدم بلا شك أهدافها ، ويسعى الى تنوير صورة الأردن حضارياً ، وهو ما فعله بإخلاص وحياد هذا الباحث الشاب .

زليخة أبو رينة

عمان/ أيلول ١٩٩٥

مقدمة

لم تعد التعميمات السياسية والتأريخية والدينية التي توصف بها منطقة الشام ، تصلح لتفسير المشهد الحضاري لهذه المنطقة ، وصار من المناسب تأشير ما هو عام ومشترك فيها عن ماهو خاص محلي يوجد في هذه المنطقة ولا يوجد في تلك . ويبدو لنا أنه من المؤكد اننا اذا أخذنا بهذه الفكرة فسنجد الكثير مما هو جديد وخاص اندرج ذات يوم في النظرة العامة لتراث هذه المنطقة .

لقد قادني اطلاعي على التراث الروحي والحضاري لمنطقة الشام الى التقاط مادة خاصة للكثير من مدنه واصقاعه وقطاعاته .. حتي اخترت البداية بالاردن ، فوجدت ان هذا البلد لم يحظ بالاهتمام اللازم للبحث في تراثه الخاص ، واخترت بحكم اختصاصي في البحث المثلولوجي جمع المادة المثلولوجية التي تخص الاردن تحديداً ، والاردن ليس منطقة عبور الى الشام أو الجزيرة أو مصر أو العراق ، وليس تابعاً اقليمياً لمناطق حوله ... فقد شهد منذ أقدم العصور تجمعات بشرية واسعة ثم ظهرت فيه أنظمة سياسية واجتماعية ودينية خاصة به ، فالعمونيون والمؤابيون والادميون كانوا أقواماً اردنية خالصة نزحت ، في البداية كغيرها ، من مناطق هنا وهناك الا أنها أنشأت كيانات وثقافات خاصة متميزة عن غيرها . ثم انها خاضت مع اليهود اكبر صراع سياسي وحضاري على الإطلاق في منطقة الشام ، لأنها كانت تتاخم وجودهم وممالكهم في فلسطين .. ويجب اعادة النظر جدياً في هذه المسألة حيث تحفل التوراة والوثائق التاريخية بأخبار مسهبة عن احتكاك طويل بين الممالك العبرية والممالك الاردنية .. وسنرى كيف أن اليهود خاضوا في التراث الديني لهذه الممالك وتأثروا به وكيف أنهم كانوا يتوعدونها بالزوال والخراب فيما بعد .

وفي الأردن فتفتحت المثلولوجيا النبطية الى أقصاها حيث كانت البتراء عاصمة لمملكتهم الواسعة وكاد هؤلاء الأنباط يأخذون دوراً حضارياً عظيماً في المنطقة والعالم لكن الرومان انتهبوا لخطورة دورهم فقضوا على مملكتهم ، لكنهم ، من المؤكد ، كانوا مقدمة لأقوام قادمة

بعدهم هم العرب الذين امتلكوا أخطر ما كان يجب أن يمتلك في ذلك الوقت الذي يعاني من فراغٍ روحي وديني وهو الرسالة الدينية الممثلة بالاسلام .

لقد حاولت في كتابي هذا ان اوصف المشهد المثلولوجي للاردن القديم منذ العصور الحجرية وحتى مجيء الاسلام . وقد كان مفتاح دخولي هذا المشهد هو فكرة تقسيم هذه المثلولوجيا الى طبقات وعدم النظر المسبق اليها على أنها يجب أن تكون متجانسة واحدة نامية مطردة . وكانت اولى هذه الطبقات وأعمقها تكمن في قاع العصور الحجرية القديمة (الباليوليت والميزوليت والنيوليت) حيث حاولت أن استعين بالكشوفات الأثرية لترسيم مشهد مثلولوجي محدد . ثم وجدت في طبقة المثلولوجيا الكنعانية البذرة الأم لكل مناطق الشام . وسلكت مع الباحثين مسلكهم في الحديث عن نصوص اوغاريت (وهي النصوص القديمة الوحيدة للمثلولوجيا الكنعانية) باعتبارها تصلح لأن تكون مثلولوجيا مناطق الشام كلها سوريا وفلسطين ولبنان والاردن .

ثم تناولتُ خصوصية الطبقة المثلولوجية الثالثة (العمونية والمؤابية والأدومية) وصلتها بالمثلولوجيا الكنعانية الأم وبمثلولوجيات مجاورة لها وقد حاولت أن اعيد بناء هذه الطبقة من خلال اللقى والآثار والمعابد والطقوس والمقارنات ، متمنياً أن نرى ذلك اليوم الذي نعثر فيه على نصوص خاصة بها لنسده بها ما نقص أو غاب .

أما طبقة المثلولوجيا النبطية فقد تابعت جذورها الصحراوية وعقدت صلةً بينها وبين مثلولوجيات الأقوام المحيطة بها هناك ، ثم وصفتُ تحولاتها الى المرحلة الزراعية المستقرة ثم انفتاحها على المثلولوجيا اليونانية والرومانية حيث نشهد أفضل نموذج للاختلاط الحضاري الروحي بين عقائد محلية وكيف صهروا في عقائدهم كل هذا المحيط المثلولوجي الذي يحفّ بهم .

ثم انصرفت في طبقة المثلولوجيا اليونانية الرومانية الى وصف المظهر المثلولوجي اليوناني ثم الروماني في اصوله (اليونان وروما) وحصرت بعد ذلك ما وفد منه الى أرض الاردن عن

طريق التعرف الى أسماء الآلهة ومعابدها وتماثيلها ولقائها والمسكوكات النقدية فاحصيت ما يقرب من ستة عشر الهاً يونانياً رومانياً لقوا أكثر من غيرهم عناية خاصةً على أرض الاردن وبالتالي فقد دارت اساطيرهم في أفواه الناس .. لأن عبادتهم كانت غير مقتصرة على الجنود والحكام اليونان والرومان بل تعبدُّهم الناس وخطوهم بما ورثوه من عقائد .. وحاولت التركيز على خصوصية هذا المزج وعززت ذلك بصورة كثيرة من الاصول اليونانية والرومانية ومن الاردن .

أما مثولوجيا الطبقة السادسة (المسيحية) فقد اهتمت الحديث عن المثولوجيا المسيحية بعامة ، لأنها ليست من اختصاص هذا الكتاب وركزت على ما أسميته بالمثولوجيا التاريخية للتوراة والتي شكلت خلفية للصورة الكتابية (من الكتاب المقدس) عن الاردن .. ثم تناولت خصوصيات اردنية في هذا المجال مثل (لوط وعيسو وبلعام ويحيى) .

وكان الاسينيون القمرانيون موضع اهتمامي لثلاثة أسباب : الأول انعزالهم عن المركز اللاهوتي اليهودي ورفضهم له ولجوؤهم الى التخوم علي البحر الميت باتجاه الاردن . والثاني الشحنة المثولوجية في عقائدهم وصلتهم بالنبي الاردني يحيى ، والثالث ارتباط مخطوطات البحر الميت بالاردن في الكشف عنها والتعرف عليها والاحتراف والعناية بها .

ثم تحدثت عن تسرب الأساطير اليونانية والرومانية في نسيج الدين المسيحي مثلاً بما ظهر في فسيفساء الكنائس الاردنية . وهذا يعني انني لم اتناول الجوهر المثولوجي للديانة المسيحية بل تناولت العرض أو المظهر المثولوجي لها في الاردن تحديداً ، وكنت قبلها قد اتكأت على التراث التوراتي لاعطي مسوغاً لصورة كتابية للاردن القديم .

ورغم اني ادرك عميق الادراك ان كل فصل من فصول هذا الكتاب يمكن أن يكون كتاباً منفصلاً ، اذا اسهنا في التفاصيل ، الا انني وجدت انه من المناسب وضع صورة بانورامية أولية للمثولوجيا الاردنية القديمة ثم تأتي بعد ذلك مهمات التحليل والمقارنة والتفصيل ، على اني لم اترك فرصة لتحليل خاص او عام الا وطرقتها فقد كانت واحدة من غاياتي وصف الصلة بين هذه الطبقات ومسك خيط السري بينها .. وقد حاولت .

لقد سعتُ أيضاً أن اعزز كل ما تحدثتُ عنه بالصور والخرائط والجداول لايماني المطلق بأن الدليل الأركيولوجي والفني والتوضيحي أمرٌ لا بد منه في كتاب من هذا النوع ، اذا لا يمكننا أن نتحدث عنه دون شواهد أو أدلة مصورة .

وكذلك رأيت أن وجود مقدمة تعريفية بالمتولوجيا والأسطورة كانت ضرورية لأن يدخل القارئ، ببسر الى متن يعج بالمسميات والطقوس لكي يفرز الاسطورة وعلمها عن غيرهما .

ومن المؤكد اني بالقدر الذي وضعتُ فيه هذه الكتاب في منطقة اختصاص علمي معروف هو (حقل المتولوجيا) فقد حاولتُ بالقدر نفسه أن اقدمه للقارئ ميسراً جهد الامكان . ولكنني اعول فيما اعول عليه أن يكون هذا الكتاب مادة ميسرة بين أيدي المثقفين والادباء والكتاب وفي الاردن بشكل خاص ليطلمعوا على هذا المشهد الفجري الاسطوري لنهار هذا البلد الآمن . وليحاول أن ينشط فيهم احساسهم بالمكان وتلمسهم لزمان أقل ، ولتاريخ روح مرفرف فوقهما .

ولا بد لي أن انوه بانني قد رأيت أن هذا الكتاب فتح لي باب امكانية البحث في متولوجيات منطقة الشام كلها السورية واللبنانية والفلسطينية كلاً على حدة لكي استطيع تقديم ما يمكن أن نسميه بصورة متخصصة بعيدة عن الصورة التعميمية التي درج عليها الكثير من الباحثين .

وأخيراً .. لم يكن بالامكان لهذا الكتاب أن يرى النور لولا جهود كثيرة تضافرت معي وذلت أمامي أكبر الصعوبات ، ولا بد لي من ذكرها وتقديم الشكر العميق لها .. واضع في مقدمة هؤلاء معالي وزير السياحة والآثار في الاردن الاستاذ عبد الاله الخطيب الذي دعم مشروع البحث في هذا الكتاب وتحمس له وذلل كل الصعوبات التي صادفتني ، وكذلك عطوفة الأمين العام لوزارة السياحة والآثار الاستاذ اكرم مصاروة الذي سعى لتنفيذ كل متطلبات البحث والدراسة . ولن انسى ما قدمته لي الشاعرة والكاتبة الاردنية زليخة أبو

ريشة من عون ومساعدة وتسهيلات ادارية من خلال كونها مديرة لهذا المشروع وما أبدته لي من ملاحظات وأفكار ساهمت في بلورة هذا الكتاب وتبادل الرأي بشأنه في أدق التفاصيل وما وفرته لي من مراجع هامة من مكتبتها أثرت البحث وعززته . كذلك لا بد من ان اتقدم بالشكر الي الدكتور غازي بييشه مدير عام دائرة الآثار العامة والسيدة عائدة نفوي رئيسة قسم التوعية الاثرية والارشيف في دائرة الآثار العامة والى السيدات راوية نبيل وسلوى مهيار وفاطمة التل ودينا أيوب في مكتبة دائرة الآثار العامة والسيدة ايمان عويس في متحف جرش ، ولا يفوتني أن أوجه عميق شكري للمصورين زكريا العطيّات في وزارة السياحة والآثار وسالم الدعجة في دائرة الآثار العامة لما أتحفاني به من صور ميدانية وعن المراجع والسلايدات الموجودة في دائرة الآثار .

والله الموفق

و . خزعل (المجري)

أيلول / ١٩٩٥

الفصل الأول

مقدمة في المثلولوجيا



نُخْرَساج : الإلهة السومرية الأم - أقدم عشتار في العصور التاريخية
ويعني اسمها الهة الجبل . وتدعى كذلك ننماخ « الإلهة الكبيرة »
وهي مصدر المثلولوجيا والأساطير . وقد مثلتها لاحقاً الإلهة عشتار خير تمثيل

ما المثلولوجيا ؟

المثلولوجيا (Mythology) علم دراسة الأساطير ، ويتكون هذا المصطلح من مقطعين : الأول هو مث (Myth) المشتق من الجذر اليوناني (Muthas) ويعني قصة أو حكاية أو من الجذر ميثوس (Mythos) ويعني قصة غير واقعية ، والثاني هو (Logy) ويعني العلم أو الدراسة العلمية والمشتق من الجذر لوغوس (Logos) الذي كان يشير في الفلسفة الى المبدأ العقلي .

بذلك تكون المثلولوجيا هي الدراسة العلمية للأساطير وفحصها وفق القواعد العلمية المتبعة "وقد كان أفلاطون أول من استعمل تعبير (Mythologia) للدلالة على فن رواية القصص ، وبشكل خاص ذلك النوع الذي ندعوه اليوم بالأساطير ، ومنه جاء تعبير (Mythology) المستخدم في اللغات الأوروبية الحديثة ، أما في لغات المشرق القديم فلا نعثر على مصطلح خاص يميز به أهل تلك الحضارات الحكاية الأسطورية عن غيرها"^(١) ومن المؤكد أن (فن رواية القصص) الذي حدده إفلاطون للمثلولوجيا ليس هو (علم دراسة الأساطير) فالأول يكاد يدخل في الإطار الأدبي وتحديداً في فن القصة والرواية ، أما الثاني فهو علم معاصر لا يختلف عن بقية العلوم الانسانية ويعني بدراسة شريحة تراثية اسمها (الأسطورة) والتي سنحاول تعريفها وتمييزها عن مصطلحات مجاورة لها ، وما يهمنا الآن هو تسليط الضوء على المثلولوجيا كعلم ، وأول ما يتبادر الى أذهاننا هو موقع هذا العلم في العلوم الإنسانية الحديثة وصلته بها .

يرى الكثير من الباحثين أن المثلولوجيا فرعٌ من فروع الأنثروبولوجيا (علم الإنسان أو علم دراسة الإنسان ثقافياً) ، ولكن موقعها هذا لا يجعلها مستقرة كلياً ، فقد تنازعت هذا العلم حقول أخرى لعل أهمها علم دراسة الأديان وعلم الفولكلور .

يقوم علم دراسة الأديان على مبادئ عامة تتناول كل ما يتعلق بديانة محددة أو مجموعة أديان ، العقائد والنصوص المقدسة والطقوس والأساطير وسيّر الأعلام ... الخ ، وبذلك تندرج المثلولوجيا كجزءٍ من أجزاء هذا العلم ، ولكننا نرى أن المثلولوجيا علم قائم بذاته يتصل بعلم دراسة الأديان ولكنه لا يفرق فيه ، وهو يمد أذرعاً ومناطق مشتركة مع

الكثير من العلوم الإنسانية الحديثة كالأنثروبولوجيا والفولكلور وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها ولكنه ينفرد بخصائص معينة تجعله حقلاً علمياً مميزاً .

يكاد الفولكلور يُدخل المتولوجيا في ذات التعميم الذي يدخله فيها علم دراسة الأديان أو الأنثروبولوجيا ، إذ تظهر دراسة الأساطير أو جمعها ضمن متن كبير في هذا العلم يتناول المرويات الفولكلورية من أساطير وخرافات وحكايات شعبية وملاحم وقصص حيوان وغيرها . إن الفولكلور يعني تحديداً جمع ودراسة "ما يصدر عن الشعب من إبداع ، وما يمارسه من شعائر ومراسيم وما يصدر عنه من عادات وتقاليد ، أو بعبارة أخرى يدل على المادة الشعبية التي أصبحت موضوعاً لعلم قائم بذاته هو علم الفولكلور ، الذي كاد يصبح له مجال محدد ، ومنهج متفق عليه ومصطلحات على شيء من الدقة ، وهو مع استقلاله فرع مهم من فروع العلوم الإنسانية . يتبادل وإياها النتاج والأحكام ، ويفيد منها كما تفيد في مجال البحث والتميز والتصنيف والعرض"^(٢) .

إن علوم دراسة الأديان والأنثروبولوجيا والفولكلور علوم ذات مدى واسع ومجالات كثيرة في حين يتخصص علم دراسة الأساطير بموروث محدد وله مواصفات محددة سنأتي على عرضها .

لقد تطورت المتولوجيا كثيراً خلال القرن التاسع عشر وظهرت منذ نهاية هذا القرن مدارس متعددة في هذا العلم تنطلق كل مدرسة من طريقة في دراسة وتفسير الأساطير والبحث في أسبابها وبواعثها وتشكلها ومقارنتها بأساطير أخرى ، ولقد اختلفت آليات الدرس في هذه الاتجاهات المختلفة وأصبح لجميع هذه الاتجاهات من الإنجازات والتوصلات ما يوجب علينا ضرورة الاطلاع السريع عليها ومعرفة المنطلقات والنتائج التي توصلت إليها .. وهذا ما سنعرفه بعجالة بعد أن نتعرف على معنى الأسطورة ونحدد ما هيها فهي موضوع المتولوجيا وجوهر بحثه .

ما الأسطورة؟

الأسطورة في أبسط تعريف لها « حكاية مقدسة » ، حيث يرى فراس السواح في كتابه (دين الانسان) أن الأسطورة واحدة من ثلاثة مكونات أساسية لأي دين ، فالدين يتكون حسب رأيه من ثلاث مكونات هي : المعتقد والطقس والأسطورة . ويسمى السواح الى وضع شروط أو صفات عامة تتصف بها الأسطورة دون غيرها وهي كما يلي ملخصة^(٢) :

- ١- **الأسطورة** - شكل من أشكال الأدب الرفيع ، فهي قصة تحكمها قواعد السرد القصصي .
- ٢- **الأسطورة** - قصة تقليدية ذات ثبات نسبي تناولتها الأجيال شفاهياً وكتابة .
- ٣- **الأسطورة** - لاتشير في جوهرها إلى زمن جرى فيه الحدث وانتهى بل إلى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى .
- ٤- **الأسطورة** - ذات موضوعات شمولية كبرى كالخلق والتكوين وأصول الأشياء والموت والعالم الآخر ... الخ
- ٥- **الأسطورة** - يكون محورها الآلهة وأنصاف الآلهة ، فإذا ظهر الانسان على مسرح الأحداث كان دوره مكماً لا رئيسياً .
- ٦- **الأسطورة** - لا مؤلف لها لأنها ليست نتاج خيال فردي أو حكمة شخص بعينه ، بل هي ظاهرة جماعية وقد يعيد الأفراد صياغتها وفق صنعة أدبية .
- ٧- **الأسطورة** - تتمتع بقديسية ولها سلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم في عصرها .
- ٨- **الأسطورة** - مربوطة بنظام ديني معين فإذا انهار هذا النظام تحولت الى حكاية دنيوية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الأدبية الشبيهة بالأسطورة مثل الحكاية الخرافية والقصة البطولية ، وقد تنحل بعض عناصرها في الحكاية الشعبية .

ويمكننا أن نوسع التعريف المبسط للأسطورة على أنها "حكاية مقدسة" في ضوء هذه النقاط الى تعريف أشمل ، فالأسطورة هي (قصة تقليدية ثابتة ومقدسة مربوطة بنظام ديني معين ومتناقلة بين الأجيال ولا تشير إلى زمن محدد بل الى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى . وهي ذات موضوعات شمولية كبرى محورها الآلهة ، ولا مؤلف لها بل هي نتاج خيال جمعي) .

إن الصفات المذكورة سابقا تفسر وتحدد الأسطورة بدقة عن ما قد يشبهها من حكايات وقصص ، فقد سببت الكثير من التعميمات خلط الأسطورة بأنماط أدبية أو دينية أو شعبية كثيرة ، فضاقت الملاحح الخاصة والصفات المحددة لها .

إن جميع الأديان (البداية منها والقومية والشمولية) تحتفظ بأساطير خاصة بها إذ لا يمكن الظهور والنمو وزيادة التركيب والتعقيد دون أن يخلق معه أساطيره الخاصة به . وقد يقوم البعض لأسباب أخلاقية أو عقائدية بحذف الأسطورة من بنية الدين على اعتبار أنها حكايات لا معقولة وتقوم على الخيال لا على الحقائق الدينية المعروفة .. ونرى أن مثل هذه الآراء تنطلق من نظرة ضيقة معدة سلفاً ولها جذور في التاريخ القديم "فقد اعترض بعض فلاسفة الإغريق على مارواه الشاعر هوميروس في الإلياذة والأوديسا من خوارق الأعمال المنسوبة للآلهة والأبطال . واعتبروها تهاويل خيال وهم لالعلاقة له بعالم الواقع على الإطلاق ، وأبى اكرننفون أن يقتنع بخلود الآلهة الذي قال به هوميروس وهزيود . واعترض هذا الفيلسوف بصفة خاصة على تشبيه الآلهة بالناس . واحتج بأنه لو اتيح للخيال والأنعام والوحوش القدرة على الرسم ، لصورت الآلهة على مثالها"^(١) ، لكن هناك من نظر الى الأسطورة ، قديماً وحديثاً ، باعتبارها واحدة من أعظم إنجازات العقل البشري فهي خزائنه منذ أقدم العصور إذ تضمنت العلم البدئي الذي جعلت الإنسان يتأمل الكون ومعناه وغايته وما وراءه ، وتضمنت الأدب الأول الذي عبر به الانسان عن مشاعره الأولى بمجازات واستعارات جزئية وكلية ، ولم يصف ما يراه كما هو بل سمح لخياله صياغة ما يقصه بطريقة جذابة ومشوقة ، كذلك فقد تضمنت الأسطورة الروح الديني محكياً .

هكذا اجتمعت في الاسطورة أسس (العلم والفلسفة والأدب والدين) في صورتها

الأولى الأُحد قريباً الى الناس وقتذاك ، فهي إذن صفحة من صفحات العقل البكر للإنسان والتي تخفى نضاراته وطفولته وأولى تشوقاته لفهم وتفسير ما حوله .

رأى جديد في أصل مصطلح (أسطورة)

بعد أن تعرفنا على الأسطورة - ما هية ومعنى - لا بد لنا من البحث في أصل مصطلح (أسطورة) في اللغتين العربية واللاتينية .

إن الجذر اللغوي لكلمة (أسطورة) هو (س . ط . ر) ونقرأ في لسان العرب أن "السطرُ والسطرُ هو الصف من الكتاب والشجر والنخل وهو الخط والكتابة وواحد من الأساطير أسطورة وطر يسطر اذ كتب . قال الله تعالى : ﴿ وَن وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ، أي وما تكتب الملائكة . وقد سطر الكتاب يسطره سطرًا ، والأساطير أحاديث لا نظام لها واحدها أطار وإسطارة بالكسر ، وأسطير واسطيرة وأسطور وأسطورة بالضم يقال سطر فلان علينا يسطر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل . يقال : وهو يسطرُ ما لا أصل له ، أي يؤلف" (٥) وهذا يعني بأن المعنى اللغوي للأسطورة يؤكد أن الأسطورة هي أحاديث وقصص وتأليفات غير معقولة .

أما كلمة (Myth) اللاتينية أو اليونانية الأصل فقد عرفنا أنها تعني الحكاية ومعناها الحرفي (ألفاظ) أو (كلمات) وربما يعني ذلك ضمناً الحكاية الشفاهية .

لقد سلم الباحثون بالتركيب اللفظي لكلمة (أسطورة) العربية ، وبعضهم سلم بمعناها القاموسي ، ولم يتم البحث في اغوار هذه الكلمة . وسأحاول أن أطرح رأياً جديداً في اشتقاق هذه الكلمة وجذرها اللغوي فأقول أن هذه الكلمة مشتقة تحديداً من اسم آلهة الحب والجمال والخصوبة (عشتار) فكلمة عشتار البابلية الأصل مرت بأوساط لغوية وثقافية متعددة حتى استقرت بصيغة (أسطورة) في اللغة العربية وقد يكون تحول الكلمة جرى وفق سياق مشابه لهذا السياق :

(عشتار — اشتار — اشطار — اسطار — اسطارة — أسطورة)

لقد كانت (عشتار) أعظم الإلهات اللاتي ظهرن في العالم القديم . وقد احتلت في العقائد القديمة مساحة واسعة من الحضور ، بل لقد شكل جذرها الألوهي المرتبط بـ(الإلهة الأم) التي عبدها الإنسان منذ العصور الحجرية وجداناً نابضاً عميقاً للإنسان فارتبطت معها اولى تفتحات الروح الانساني لعبادة الإله . وأصبحت عشتار رمزاً لكل أسطورة وقد انتشرت هذه الآلهة في العالم كله بأسماء مختلفة .

يذكر القاموس الآشوري ان اسم عشتار في الأكديّة يعني (الآلهة) بصورة عامة وتعني أيضاً المعبودة الشخصية أو تمثالها والتي كان يتخذ منها الفرد قديماً وسيلة بينه وبين الآلهة الأخرى . ومن هذا الاسم اشتقت صفة (المقدسة) التي تدل على عشتار أو ممثلاتها العشتاريات من الكاهنات .



شكل (١) 'عشتار التي ترضع العالم .. مصدر الاسطورة

إن قصص عشتار وحكاياتها التي كانت محور قصص وأساطير العالم القديم أصبحت تدل على الأسطورة بكاملها ، وأصبح معنى الأسطورة كامناً في الأعماق اللغوية القديمة لهذه الكلمة وهو (الحكايا المقدسة) أي (حكاية الآلهة) وهذا المعنى يتطابق مع التعريف الحديث للأسطورة .

إذا أردنا أن نمضي أبعد من هذا فيمكننا أن نعود الى اللغة اللاتينية والى الإنجليزية لنجد أن مقطع (Astr) و (Astro) آلهة العدالة وهي شكل من أشكال إلهات الحب والجمال .

ومن عشتار ظهرت كلمة (Star) بالإنجليزية بمعنى نجمة لأن عشتار كان يرمز أو يشار إليها بنجمة الصباح أو نجمة العشاء . وهي كوكب (الزهرة) في أغلب الأساطير والديانات القديمة .

يتبع ذلك أن مصطلح علم التنجيم (Astrology) وهو علم سحري شعبي وعلم الفلك (Astronomy) وهو علم مراقبة النجوم ووصفها لها علاقة بما ذهبنا اليه ، أي أنهما علمان عشتاريان ، وكذلك اشتقاق كلمة اسطرلاب (Astrolabe) ، وهو جهاز تسجيل حركة الكواكب والنجوم ، يعني لغوياً (مرأة عشتار) أي (مرأة النجوم) وهو هكذا فعلا .

هل نمضي أبعد فنقول أن كلمة (Story) أي القصة لها علاقة اشتقاقية بالآلهة عشتار ، ونميل الى أنها هكذا فعلا . فعشتار عرفت بقصصها ، وأن كلمة تاريخ بالإنجليزية (History) تتكون من مقطعين في الأساس هما (Story) و (Hi) ومقطع (Hi) تعبير يراد به لفت الانتباه وقد يكون مستمداً من أصول شرقية ليعني أداة التعريف و (Story) قصة فيكون التاريخ في معناه اللغوي البعيد رواية قصة أو حكاية ، وتظهر عشتار هنا أيضاً تنبض في أعماق (التاريخ) .

ويمكننا أن نعدد اشتقاقات أخرى ولكننا سنكتفي بذلك للدلل على أن كلمة (عشتار) تقلبت في حضارات وشعوب وغاصت في ألسن ولغات وتبدل شكلها الصوتي الصرفي ولكنها بقيت تدلّ على ماضيها البعيد .

فرق الأسطورة عن الخرافة والحكاية الشعبية والملحمة

يخلط الكثيرون بين الأسطورة وما قد يشابهها من فنون حكاية محيطة بها مثل (الخرافة والحكاية الشعبية والملحمة) ، ولذلك نرى ضرورة التفريق بين هذه الفنون وبين الأسطورة .

الفرق بين الاسطورة والخرافة هو اعتماد الخرافة على أبطال رئيسيين من البشر أو الجن في حين يكون أبطال الأسطورة الآلهة ويظهر البشر بشكل عرضي ، كما أن الخرافة تكون دائماً مثقلة بالخوارق والمبالغات في حين تعبر الأسطورة عن تساوق عميق في حركة الآلهة والطبيعة .

أما الحكاية الشعبية فتفرق عن الأسطورة بكونها حكاية عادية لا دور للآلهة فيها ولا تحمل طابعاً مقدساً وتخلو من الموضوعات الكبرى المصيرية وتعنى في الغالب بالأمور اليومية والدنيوية .

أما الملحمة فهي حكاية طويلة تتميز بالاسترسال والإسهاب وتنظم في الغالب شعراً . ويكون البطل الملحمي انساناً خارقاً بعكس البطل الأسطوري الذي هو إله أو شبه إله . وهناك نوعان من الملاحم "الملحمة الشعبية Folk Epic التي ينسب تأليفها إلى الجماعة أكثر مما ينسب إلى فرد بعينه ، وهناك الملحمة الفنية Art Epic أو الأدبية ، وهي التي تنسب إلى مؤلف معروف . والضرب الأخير يحاكي الأول . وتبدو فيه ملامح شخصية الأديب الذي أبدعها أما الضرب الأول فتقليدي ، ويققطع من التاريخ ، وإن جنح في عالم الخيال . والشخصية التي اشتهرت بتأليف إحدى ملاحمه غامضة ، ولا يستطيع تأريخ الأدب أو الحضارة أن يميز لها واقعاً محدداً . ودارسو الأدب المقارن يمثلون للضرب الأول بأشهر ملحمة وهي إلياذة هوميروس ، يستشهدون على الضرب الثاني بانيادة فرجيل^(١) .

ويمكننا على ضوء ما سبق وضع هذا الجدول المبسط لتفريق بين الأنواع الأربعة المتقاربة :

النوع	البطل	نوع التأليف	موقعها	اهم ميزاتها	نموذج أو مثال
الأسطورة	إله أو شبه إله	شعري قصصي	دينيّة	مقدسة تتحدث عن الموضوعات الكبرى كالتكوين والولادة والموت	اسطورة الخليقة البابلية
الخرافة	جن أو انسان	سردى	خيالية	مثقلة بالخوارق والمبالغات	حكايات الغول والسعلاة
الحكايا الشعبية	إنسان	سردى	بسيطة متداولة	تمني بالأمور اليومية والدينيّة	حكايات الف ليلة وليلة
الملحمة	إنسان	شعري قصصي	دنيوية قومية تجسد أبطال الشعوب	تتميز بالاسهاب والطول وهي نوعان : (١) الشعبية تؤلفها الجماعة (٢) الأدبية يؤلفها الأدباء	كلكاش البابلية والالياذة والادويسة الانيانة لفرجيل

جدول (١) : الفرق بين الأسطورة والخرافة والحكاية الشعبية والملحمة



شكل (٢) : اسطورة الخليقة البابلية - الآلهة مع الآلهة - الآلهة مردوخ يقاتل الآلهة تيامت



شكل (٣) : ملحمة الإلياذة - البشر مع الآلهة / أم أخيل (ثيتس) تستدر عطف الاله زيوس من أجل ابنها

مدارس المثلوجيا

هناك مدارس واتجاهات متعددة سلكها علم دراسة الأساطير ، وهي تختلف بحسب المنطلقات والدوافع التي أراد دعائها تفسير الأساطير وتحليله . ومن هنا اختلفت النتائج التي توصلت اليها كل مدرسة وأصبح لكل مدرسة واتجاه نسيجه الخاص الذي يميزه :

(١) **المدرسة النفسية** : وهي مدرسة تضم اتجاهات عدة ، وكان رائدها سيجموند فرويد الذي كان يرى تشابهاً كبيراً بين الحلم والأسطورة وخصوصاً في آليات تكونها ورموزها ، فالحلم أسطورة فردية يصنعها الإنسان في نومه عندما يتحرر لا شعوره ويطفوا على السطح والأسطورة كذلك ، ولذلك فإن الحلم والأسطورة مشحونان بالرموز ، وعلى دارس الأسطورة القيام بذات الدور الذي يقوم به المحلل النفسي للحلم ، ولأن الحلم يكشف عن أعماق الفرد الحالم ورغباته اللاشعورية ومكبواته ..

كذلك تقدم الأسطورة (باعتبارها مدونة حلمية من الماضي) في الكشف عن أعماق الذي أنتجها ودوافعه اللاشعورية ومكبواته وقواه العميقة .

يطرح فرويد هذه الأفكار في مجموعة من كتبه التي بحثت في هذا المعنى وأهمها (تفسير الأحلام) و (الطوطم والتابو) . أما (يونغ) الذي جعل الأسطورة ركناً أساسياً من أركان مدرسته النفسية فيختلف عن استاذة (فرويد) في أن الأسطورة تناظر الحلم الجماعي اللاشعوري وليس الحلم الفردي ، ولذلك يرى (يونغ) في الأساطير نصوصاً حلمية للمجتمعات القديمة ويقوم بتحليلها كمحلل نفسي للكشف عن الرموز الإنسانية التي مازالت تلعب دوراً خفياً في تحريك حياة الإنسان الفرد أو الجماعة على السواء .

أما (أريك فروم) فيرى أن الأسطورة هي صراع بين النظام الأموي والنظام الأبوي . ويقوم في كتابه (اللغة المنسية) بتحليل بعض الأساطير وفق هذا المنهج . فيحلل أسطورة الخليفة البابلية مثلاً ليستنتج بعد ذلك بأن "الأسطورة البابلية تشير بوضوح شديد الى النزاع القائم بين مبدأ الأبية ومبدأ الأمية في التنظيم المجتمعي والتنظيم الديني . إذ أن الأبناء الذكور قد انقلبوا هنا على شريعة الأم العظيمة . ولكن كيف تسنى لهم أن ينتصروا رغم تفوق النساء عليهم ؟ وذلك أن النساء في النهاية ، هن اللواتي يتمتعن بملكة الخلق الطبيعي ، نظراً لقدرتهن على الحمل . بينما نجد الرجال ، في هذا المجال عقيمين" (٧) . وهكذا ينظر الى الأساطير على انها نصوص صراع نفسي بين الأم والأب في أعماق الكائن البشري أو الجماعة البشرية .

٢) **المدرسة الأنثروبولوجية :** يهتم الانثروبولوجيون عموماً بإقامة علاقة بين الأساطير والرموز في المجتمعات البدائية ، ولناخذ المؤسس الحقيقي لهذه المدرسة وهو (ادوارد بيرنت تايلور) الذي عرض نظريته في كتابيه الرئيسيين (أبحاث في التأريخ المبكر للجنس البشري ١٨٦٥) و (الثقافة البدائية ١٨٧١) حيث يرى في مجمل ما يراه « أن الشعوب البدائية تتمتع في رأيه بقدرة خاصة تكاد تكون نوعاً من الملكة على صنع الأساطير ، وذلك نتيجة لنظرتهم العامة الى الكون وإيمانهم يحيوية الطبيعة وهو ما يطلق عليه اسم - أنيمزم (animism) - لدرجة تصل الى حد تجسيد كل مظاهرها ، وعلى

هذا الأساس فإن الأنيمزم تعتبر مفتاح فهم رمزية الأساطير ، وفي ضوءها يمكن دراسة العلاقات الرمزية التي تتضمنها الشعائر والطقوس الدينية والسحرية على السواء»^(٨) .
ولذلك يكون انتاج الأساطير خلاصة لتجسيد بعض أفكار الإنسان البدائي الغامضة عن الكون فيقوم بابتكار الآلهة والكائنات العليا كرموز توازي أو تعادل ما في الطبيعة من مادة .. وهكذا تظهر الأساطير مثل حقول رمزية أمام الحقول المادية للطبيعة .

أما الانثربولوجي الفرنسي (كلود ليثي شتراوس) ، مؤسس المنهج البنيوي في تحليل الأسطورة ، فقد رفض منهج (تايلور) وطالب بالفصل بين الأسطورة والسياق الاجتماعي والثقافي الذي تظهر فيه ، ويرى شتراوس أن الأسطورة لغة رمزية وأن التفكير الأسطوري ليس متخلفاً أو سابقاً على التفكير المنطقي ، بل هو تفكير منطقي شديد التماسك ويعمد في تحليلاته الى اهمال مضامين الأساطير وحكايتها ورسم العلاقات الداخلية التي تحكمها "وإذا كنا نجد ليثي شتراوس دائماً يحاول فهم الأسطورة الواحدة على ضوء غيرها من الأساطير ، أو يعمل تقابلاً بينها وبين أسطورة أخرى من نفس الفصيلة فما ذلك الا لأنه قد فطن الى أن الأساطير لها أشبه ما تكون بالصور المحسوسة التي تنعكس على صفحة مرآة ، أو بالأحرى على سطوح مرايا متعددة ، فترد كل واحدة منها الصورة الى الأخرى ، أو ربما كان الأدنى الى الصواب أن نشبه الأسطورة بالصور الفوتوغرافية التي تظهر على شكل «سالب» يمثل معكوس الأضواء والظلال ، ثم على شكل «موجب» يمثل الوضع الأصلي للأضواء والظلال ، ومن هنا فإن ماهو (أسود) في اسطورة ما قد يقابله ما هو (أبيض) في اسطورة أخرى ، ومن ثم فقد نجد تقابلاً واضحاً بين (المرأة المخطوفة) و (المرأة المعطاة على سبيل التبادل) ، بين (اللحم الحيواني) و (اللحم البشري) ، بين (المطبوخ) و (النبي) الخ»^(٩) .

(٣) المدرسة الوظيفية : يرى مؤسس هذه المدرسة ما لينوفسكي أن الأسطورة ظهرت نتيجة لحاجة عملية أملتها ظروف الإنسان وإرادته في صنع أو عمل قضية محددة ، ولذلك فإن لها وظيفة جعلتها تحتل المكانة التي احتلتها ، أي أن ما لينوفسكي يضع الغايات العملية سبباً رئيساً لنشوء الأسطورة ، ولا يعطيها البعد النفسي الذي قال به

فرويد أو يونغ أو فروم أو البعد الأنثروبولوجي الذي وجد في الأسطورة رموزاً عميقة بين الإنسان والكون ، ولكنه يضع الأسطورة بمثابة الدستور العقائدي الذي تكون مهمته في الحاضر تفسير ما يجري ومهمته في المستقبل ضمان ما جرى . ولذلك يعطي دوراً للحاكم والكاهن والزعيم في صنع الأساطير لأنها توفر له سقفاً عقائدياً لا يهتزل دوره .

٤) **المدرسة اللغوية** : تنظر المدرسة اللغوية الى الأسطورة على أنها شكل فكري ظهر عن طريق اللغة تحديداً . وهذا يعني أن اللغة المستعملة في الأسطورة تتمتع بتكوينات واستعارات وبنى نحوية وبلاغية وأسلوبية تدل على نمط فكري معين قائم بذاته . وقد قاد ماكس مولر (Max Muller) هذه المدرسة . ونظر اتجاه آخر في هذه المدرسة الى الأسطورة على أنه جزء من أمراض اللغة ، فهي لغة (أو لسان بالمعنى الأشمل) انحرف عن اللغة القياسية أو اللسان الذي تفكر به جماعته معينة من الناس ، وأصبح هذا الانحراف غريباً مدهشاً بعيداً عن المألوف ، ولذلك أدخلوه ضمن أمراض اللغة بشكل عام .

وفي كلا الحالين كانت المدرسة اللغوية ترى الأساطير كلها على أنها "استعارات ومجازات تعبّر عن صراع الشمس والظلمة ومقابل هذه النظرية نشأت أسطورة الخفزة فيظهر هرقل لا على أنه النهار - يحارب الليل . بل على أنه الربيع يصارع الشتاء . والنظرية اللغوية كانت شعرية وجذابة وسحر اللغة لعب دوراً عظيماً في إنشائها حتى أن بعضهم نقم للنيل منها وأنقص من شأنها ولا نقدر أن نقول أنها رفضت رفضاً باتاً إلا أنها في الوقت الحاضر غير مهيمنة" (١٠) .

الأسطورة : أعماقها ومحيطها

١- أعماق الأسطورة : بذرة العقل

تجتمع في الأسطورة عناصر بدئية تمثل الكثير من النشاطات العقلية التي يمارسها الإنسان في الحاضر ، ويسبب من قدم الأسطورة وتوغلها في تربة الروح الانساني وغورها في أعماقه يمكن أن نشبهها ببذرة العقل الأولى التي ما أن كبرت وترعرعت حتى ظهرت منها العلوم والفلسفات والأدب والتاريخ والحكمة ، لقد احتوت عناصر الأسطورة كل هذا

النشاط العقلي ذات يوم على شكل بذرة جمعت داخل صورتها المقلقة المحدودة احتمالات العلم والفلسفة والأدب والتأريخ حتى اذا ما سقاها الإنسان بالماء ووقر لها الأرض الخصبة ترعرعت وظهرت كوا من هذه البذرة من أوراق وسيقان وأغصان وثمار .

يمكننا أن نجد في علم الأجنة (Embryology) شيئاً مشابهاً لتقريب الصورة البذرية للأسطورة ، فهناك في هذا العلم ما يصطلح عليه بالنسيج غير المميز (Undifferentiated tissue) وهو النسيج الذي يتشكل به الجنين في أيامه الأولى ، ويكون هذا النسيج عادة متجانساً (Homogenous) ويتكون من نط من الخلايا الخاصة التي تجمع في صفاتها صفات خلايا متعددة في الانسان الناضج .. ويقول العلماء إن هذه الخلايا تحتوي في تكوينها أكثر من صورة خلوية قادمة ، وما أن ينمو هذا النسيج غير المميز الى نسيج مميز في وقت لاحق حتى نشاهد أنه تحول الى نسيج عظمي أو مخاطي أو غضروفي أو جلدي أو عضلي ... الخ ، وهو ما نسميه بالنسيج المميز (Differentiated tissue) ، لقد كان النسيج غير المميز يحتوي على معظم هذه الأنسجة المميزة بشكل بدائي أو أولي غير ظاهر ولكن ما إن نما حتى تحول في اتجاهات معينة الى هذه الأنواع المختلفة من الأنسجة المميزة "إن جسم الانسان مثلاً يتكون من حوالي ٦٠-١٠٠ مليون خلية ، ولكل خلية نواتها (عدا كرات الدم الحمراء) ، ولقد اشتقت هذه الأعداد الهائلة من الخلية الأولى الملقحة . ثم نراها وقد تميزت بعد ذلك الى خلايا وعظام وعضلات ومخ وأمعاء وكبد وطحال .. الخ) ولاشك أن هذه الخلايا تختلف عن بعضها في الشكل والحجم والوظيفة"^(١) ، يمكننا تشبيه الأسطورة بالنسيج غير المميز الذي يحتوي ضمناً أنسجة متميزة قابلة للتطور والظهور .

ولنذهب الي علم الجزيئات الحية (Molecular Biology) ونستعير منه اطروحة في غاية الدقة تفيد فهمنا هذا وبحثنا في جوهر الأسطورة وطبيعتها ، فهناك ما يسميه هذا العلم بالجينوتايب (genotype) وهي صفات الكائن الحي المشفرة على حامض الوراثة النووي الذي يسمى (دنا DNA) الموجود في نواة الخلية ، وفي شريط هذا الحامض هناك شفرات معبر عنها بطريقة معينة لترتيب الحوامض الأمينية مثلاً (أ ب ج د) تعني صفة الطول أو (ب أ ج د) تعني صفة لون العيون أو (ج أ ب د) تعني صفة لون الشعر وهكذا .. ان هذه الصفات المشفرة داخل نواة الخلية هي ما يسمى بالجينوتايب .

هناك ما يسمى بالفينوتايب (Phenotype) وهو تحديداً ظهور هذه الصفات مجسدة نراها ونحسها ونلمسها على جسد الكائن .. أي ان الشفرات المختزنة للصفات في نواة الخلية تظهر واضحة كاملة على جسد الكائن كله وبذلك تتحول صفة الطول الى (الطول أو القصر) وشفرة صفة لون العيون الى (زرقة أو سواد العيون) وشفرة صفة لون الشعر الى (شقرة أو سواد الشعر) وهكذا .

وقياساً على ما سبق نقول أن الأسطورة هي جينوتايب الأنواع العلمية والفلسفية والأدبية التي ظهرت لاحقاً ، فقد حملت الاسطورة شفرات النصوص العلمية والفلسفية والأدبية (وليس تجسدها الكلية) ولذلك علينا ، ونحن نبحث في الأسطورة ، تأخير هذه الشفرات ومعرفة دلالتها . إن الاسطورة تشبه الشريط الوراثي الذي يجمع هذه الأنواع مشفرة ، غير ظاهرة ، أما الظهور العلني للعلم والفكر والفلسفة والشعر والقصة فإنه يشبه (الفينوتايب) الواضح والملموس في عصرنا هذا .

وفي حقل الفيزياء الحديثة كان ديفيد بوم يرى أن في العالم مستويين : الأول - ضمني تتعايش فيه المتناقضات ويخفي في بؤرته كل الآفاق ، المستوى الثاني - الظاهر أو الاقبي الذي تنفصل فيه الأشياء وتتميز . ولذلك فإن « كل ما يبدو لنا في العالم مستقراً ، ملموساً ، مسموعاً لا يخرج عن كونه مجرد وهم ، وحقيقة العالم أنه ديناميكي ، لا نهائي في أشكاله وألوانه لكنه ، ليس في حقيقة هناك ، فما نراه علي نحو قياسي ونظامي هو نظام الأشياء المنبسط المنفتح القابل للتفسير والتوضيح . لكن هنالك نظاماً تحتياً يشتمل على الكل ويعد أباً لهذا النشوء الثاني .. ووصف بوم هذا النظام الثاني بأنه متضمن ، ضمني أو منطوي ومنغلق . ويضم هذا النظام المنطوي الضمني واقعنا ويخفيه . تماماً كما يضم DNA الموجود في نواة الخلية الحياة الكامنة أو الموجودة بالقوة ويوجه طبيعة انفتاحها وكشفها»^(١١) .

إن الأسطورة هي البذرة ، والنسيج غير المميز ، والشريط الوراثي ، والعالم الضمني .. فهي تحمل دون وعي من صانعها أو صناعتها احتمالات أنواع أخرى ستظهر لاحقاً .

مرايا الأسطورة

ما الذي تمكسه الأسطورة في داخلها ؟ هذا السؤال يتبادر الى الذهن دائماً ، وتتلخص الاجابة عنه في أن الأمر يعتمد على زاوية النظر اليها ، فقد نرى من زاوية معينة علماً ، وقد نرى حكمة ، وقد نرى فكراً ، وقد نرى تاريخاً ، وقد نرى قصة ، وقد نرى شعراً ، وقد نرى أكثر من نوع إذا ما وسعنا زاوية النظر .. ولذلك توجب علينا أولاً إحكام زاوية النظر هذه والتقاط ما نشاهده .

شجرة العلم

يرى الكثير من المثولوجيون أن الأسطورة كانت العلم الأول ، الغفل والبدايى . العلم في شكله الجنيني البكر .

لقد سبق السحر والأسطورة في كونه علماً مقلوباً أو زائفاً (Pseudo science) حيث كان يضع الأسباب في جهة والنتائج في جهة أخرى ويقيم بينهما علاقات لا منطقية ، لا محكمة ، تتداعى بحركة اعتباطية . وكان الساحر عالماً ولكنه عالم زائف ، أما الأسطورة فلا يؤلفها ساحر أو كاهن بل تنضج من شعور ولا شعور الجماعة ، من عقلها الواعي واللاواعي وتحمل أفكاراً علمية يغلفها الضباب ، وتبعدها كليتها عما نسميه بوضوح العلم المعاصر الذي ينتقب في التفاصيل .

ان الأسطورة لا تقيم علاقات زائفة بين الأسباب والنتائج ، بل تشير أو تشفر الصلات دون أن تضعها في منطقة العلم التجريبي ، انها تريد أن تقول شيئاً حقيقياً ولكنه بعيد غامض تصببه الأحداث ، فعلى سبيل المثال تقدم لنا أسطورة الخليقة البابلية (اينوما أيليش) في مستهلها صورة السكون الأولى وعنصره الأولين الانشوي والذكري في صورتى الإلهين (تيامت وأبسو) وتستتر خلف العنصر الأنشوي الذي يمثل البحر المالح الشحنة السالبة وتستتر خلف العنصر الذكري (أبسو) الذي يمثل الماء العذب الشحنة الموجبة ويصير اللقاء بينهما مدعاة لخلق رجة في الهيولى الساكنة وخروج كون متحرك نشط ينتج عنه ظهور أجيال جديدة من الآلهة ، وتدعونا هذه الحادثة الأسطورية لتذكر أحدث النظريات العلمية في تكون الكون. وهي نظرية (الانفجار الكبير) .

هناك عناصر أخرى عفوية ظهرت في هذه الأسطورة تستدعيننا حقاً لتذكر الكثير من الآراء العلمية في الخليقة . ولن أحصر حديثي بهذه الأسطورة الأم حول التكوين بل أشير الى الكثير من أساطير الخليقة عند الأمم الأخرى وأرى فيها ما يماثل هذا ، بل وفي أساطير أخرى تهتم بخلق الإنسان من بيضة أو كيفية ظهور الكواكب والأشجار وغير ذلك .

لقد سلك علماء الهرموناتيقا (التأويل) مسلكاً واضحاً في تأويل الأساطير الدينية والعثور فيها علي شفرات علمية دالة ، وأرى أن النظريات العلمية الحديثة جداً والتي تتحدث عن المبدأ الكلي والهلولوجراف والمستوى الضمني والتي يخلها ديفيد بوم وكارل بربرام وشيلدرك وأخرون تتلاقى صورها مع صور المرايا التي تبعثها الأساطير في أعماقها .

شفرة الفلسفة : لا ينسى المهتمون بالفلسفة ذلك المنعطف النوعي الذي قام به طاليس اليوناني (حوالي عام ٥٤٧ ق.م) يوم نظر (عقلياً) في الأساطير القديمة وقال بأن الماء هو أصل كل الأشياء . وهذا ليس بفعل الآلهة أو بفعل (آلهة الماء) تحديداً بل بفعل الماء نفسه . وبذلك شطر طاليس الأسطورة الى فرعين (معرفة عقلية وفلسفية) و(خرافة) "ولا تنبع أهمية هذا الحادث في القول بأن أصل الأشياء هو الماء لأن ذلك ورد كثيراً في أساطير الخلق العراقية والمصرية القديمة وغيرها ، ولكن الأهمية تكمن في إثارة سؤال عقلي عن أصل الأشياء .. وفي وضع جواب عقلي برد الأشياء لأصل واحد ، ولذلك فقد أقام اليونان نظاماً عقلياً منفصلاً عن النظام اللاهوتي او الميثولوجي في تفسير العالم والوجود . ومن هذه النقطة انفصلت الفلسفة عن اللاهوت والأساطير . وكان لهذا الحادث أثره الرهيب على الفكر الإنساني اذا تسلسل بعد طاليس مفكرون كثيرون نظروا في فكرة الوجود ونوعوا عليها ، وكانوا بذلك يكرسون ذلك الانشقاق على الفكر الميثوبي الملي ، بالخرافات والأساطير .. حتى تكونت الفلسفة بعد ذلك كنظام عقلي على أيدي عملاقي الفلسفة اليونانية أفلاطون وأرسطو" (١٢) .

ان الفكر الميثوبي الذي يتموج في الاسطورة كان شفرة للفكر الفلسفي الذي استغرق (عقلياً) في تأمل الوجود والمعرفة والاخلاق ، وكانت الأسطورة في تلك الأيام الخوالي فلسفة مشاعية يتبناها الناس ويتداولونها ، الى ان صارت اليونان موطناً لفلسفة التخبئة ثم دخلت

الفلسفة في مسالك ومدارج أبعدتها كثيراً عن الناس وجعلت منها منطقة خاصة لا يرتادها إلا من تحصن بفكر غزير .. في حين كانت الأسطورة تَطوِّع الفكر وتجعله متداولاً ومحكياً وممارساً بين كل الناس .

ان هذا لا يعني بأن الاسطورة أرقى أو أفضل من الفلسفة ولكنه يعني تحديداً بأن الفلسفة كانت مشفرة هناك في اعماق الاسطورة . لقد أحسنَ الانسان في الاسطورة "بمشكلة الأصل ومشكلة الغاية ، غاية الوجود ، وأدرك أن هناك نظاماً للعدل لا تراه العين ، ترعاه عاداته وعرفه وتقاليده ، وقرن هذا النظام المحجوب بالنظام المرئي ، بما فيه من تعاقب الليل والنهار ، والفصول والسنين ، وهو النظام الذي اتضح له أن الشمس تبقي عليه" (١٠) .

ان الفكر الديني يتكىء على الاسطورة وينهل منها وقد كان هذا الفكر ممهداً للفكر الفلسفي الصارم ومعبداً الطريق نحن نشوء مذاهب فلسفية متعددة ، ولكن الفكر الديني يتشرب في جذوره بالفكر الميثوبي وينهل منه ، ودليلنا على ذلك ان ما يحتفظ به الفكر الديني من اعماق اسطورية ما زال قائماً في مدارس ومذاهب عديدة كالفيثاغورية والاورفية والهرمسية والغنوصية تنتمي الى الفلسفة وتقع في المنطقة الفكرية الدينية ولكنها تنبضُ بروح الاسطورة والسحر ، وسجد الاسطورة في أهم منابع (العرفان) و (الفلسفة الباطنية) وعماد قصة المبدأ والمعاد التي "توظف أساطير بابلية وايرانية ويونانية بالإضافة الى استلهام قصة الخلق الواردة في التوراة . ومن أهم النصوص الهرمسية التي تشرح قصة المبدأ والمعاد بواسطة السرد الاسطوري ، والتي يمكن اعتبارها المصدر الهرمسي الأول في هذا الموضوع ، ذلك النص الذي صدر منه المدونة الهرمسية Corpus Hermeticum (١١) .

ان الشفرات الفلسفية والفكرية في الأساطير أمرٌ لا يحتاج الى الكثير من الجهد لاثباته ، بل لعلنا نستطيع القول أن هذه القصص الاسطورية لم تكن ذات يوم سوى نضج فكري للجماعات البشرية وتعاليم فلسفية تأملية لأجيالها القادمة .

شجرة التاريخ : قبل أن يتكرر الانسان الكتابة تداول الأساطير وسجل فيها بعض ملامح تاريخه القديم . والأساطير لم تنشأ بعد الكتابة بل سبقتها بمعهود طويلة ثم دونت بعدها وتداولتها الأجيال اما مكتوبة أو شفاهية . وضاع الكثير منها خارج هذين المسربين . في الكثير من الأساطير تأريخ سحيق يذكر بأحداث كبرى مرت بها البشرية كأساطير الطوفان ونشوب الأمراض والحروب والدمار وغير ذلك . ويأتي بعضها واضحاً ومفصلاً ويأتي البعض الآخر ملمحاً به . وفي كل الأحوال "تروي لنا الأسطورة تاريخاً مقدساً . حدثاً بدئياً جرى في بداية الزمان . لكن رواية تاريخ مقدس تعني الكشف عن سر . لأن شخصيات الاسطورة ليسوا كائنات بشرية : هم آلهة أو أبطال حضارة ولذلك كانت بواردهم اسراً : لا يسع الانسان معرفتها اذا هي لم توح له . الاسطورة ، اذن ، هي تأريخ ماحداث في ذلك الزمان و(قول) اسطورة هو اعلان ما حدث في الاصل"^(١٦) . لقد نبضت الأساطير بنوع من التأريخ المقدس ولذلك ألهمت الأساطير الانسان فكرة (العود الأبدى) التي تعني بال تكرار الأبدى لايقاع الكون : العصر الذهبي ، السقوط الى الأرض ، الطوفان ، البحث عن الفردوس ، هبوط الملكية من السماء . الكوارث ، نشأة المدن ، دمارها ... الخ

هذه الايقاعات التي أوحى للبابليين مثلاً بفكرة السار SAR وهي الدورة الكونية الممثلة بحلقات صغرى وكبرى متكررة . وهي التي اخذها اليونان عنهم وأسموها (الساuros) حيث نلاحظ (العود الأبدى) يتردد بين الماضي الذهبي والمستقبل المهدد بالماء أو النار (الطوفان أو الحريق) .

ان التاريخ المقدس النابع من الاسطورة يضغط باتجاه اعطاء معنى للسنة الدورية ويتجلى ذلك شعبياً في إقامة طقوس أعياد رأس السنة ابتداءً من السومريين (عيد الزكمك) والبابليين (عيد الاكيتو) حتى أيامنا هذه (عيد رأس السنة الميلادي والهجري) .. كل هذه الاحتفالات الطقسية كانت ذات يوم نبضاً تاريخياً مقدساً يملأ أحشاء الأساطير "ففي كل عام ، يتكرر خلق العالم ، يتجدد خلق العالم ، وبهذا يخلق الزمان أيضاً ، وتتجدد ولادته إذ « يبدأ من جديد » وهكذا تصلح الأسطورة الكوسموغونية نموذجاً مثالياً لكل « خلق » أو لكل « بناء » . وهي تصلح حتى وسيلة طقسية للشفاء . فالمریض اذ يصبح رمزاً معاصراً

للخلق . فلئما يسترجع الامتلاء البدني فيشفى لأنه يبدأ حياته من جديد ومعه قدر من الطاقة لم ينفذ منه شيء" (١٧) . وبذلك تمنحنا الأسطورة احساساً وتدويناً مشفراً لمسراه الدوري .

شفرة الدراما : تتضمن أغلب الأساطير نوعاً من الصراع مع قوى الطبيعة أو قوى الشر . ويأخذ هذا الصراع أشكالاً عدة ومنحنيات مختلفة ونهايات متنوعة . ونلمح في الكثير من هذه الأساطير ، بالإضافة الى طريقة سرد الصراع التصاعدي ، حوارات احتدامية تعزز وتماسك هذا الصراع وتخدمه .

لا أظننا بحاجة الى التذكر بأن المسرح نشأ من الأسطورة وتحديداً من أساطير الإله تموز وعشتار في سومر وبابل وما يقابلهما في مصر أوزيريس وإيزيس ثم حانت ولادته الحقيقية في اليونان عندما كانت دراما ديونيزيوس (الإله اليوناني المقابل لتموز وأوزيريس) تمثل شعبياً في طقوس احتفالية كبرى . وقد ظهرت التراجيديات الماعزية التي كانت تترثي هذا الإله حيث يرافقها التضحية بالحيوانات وخصوصاً ذكور الماعز ، وظهرت أيضاً الساتيرات الكوميديّة ذات الطابع الجنسي التي تمثل ولادة وزواج ديونيزيوس وفجوره ، حيث يرافقها سكب الخمر وشربها في احتفالات جنسية جماعية هائجة .



شكل (٤) : ديونيزيوس : الأسطورة والدراما

قدمت الأسطورة المسرح في اليونان كواحد من أعظم منجزاتها مثلما قدمت الفلسفة ، لكن المسرح والفلسفة عندما شبّا قتلا الأسطورة وابتعدا عنها ، الأسطورة مازالت تنبض في المسرح من خلال الطقوس المسرحي ، وفي الفلسفة من خلال الميتافيزيقيا .

لقد ثبت لنا أن اسطورة (هبوط انانا الى العالم الأسفل) السومرية كانت تمثل في اوروك في عيد الزكمك الثاني الذي يوافق مجيء فصل الصيف وكانت المرأة أو الكاهنة التي تمثل دور (إنانا) تسمى (ممثلتو) واستمر عرض مثل هذه الأشكال الدرامية في اعياد رأس السنة البابلية (أكيتو) وكانت اسطورة الخليقة (إينوما إليش) تمثل درامياً أو تتلى أجزاء كبيرة منها في هذه الأعياد .

إن شفرة الدراما في الأسطورة أعلى وأوضح من الشفرات العميقة المضنية للعلم والفلسفة والتاريخ فيها ، ولذلك طفت على سطح النصوص الأسطورية (ذات الصراع) وشكلت بوضوح بذرة النوع الدرامي الأدبي والفني لاحقاً ، وابتدأ ذلك بالمرشح الطقسي أو الاحتفالي ثم تطور المسرح بعد ذلك بعيداً عن الأسطورة وتناول مواضيع من الحياة اليومية .

لقد كانت الأساطير القديمة الرافدينية والمصرية منبعاً للدراما والمسرح ، وفي مصر ظهر نوعان "من العروض المسرحية اتخذت سبيلين مختلفين لا يمكن الخلط بينهما وهما : الحفلات الطقسية ، والدراما الدينية . وكانت الحفلات الطقسية يقيمها الكهنة في المعابد ، وقد يشارك فيها النظارة ولم يكن لها من الدراما إلا الأداء ، وما بعد هذا فإيماءات وحركات شعائرية تصاحب المشاهد المسرحية ي تسلسلها ، وأقوال تضيء على هذه الطقوس ثوباً أسطورياً تصلح لأن تكون دراما فكرية لا تقع العين فيها إلا على رموز" (١٨) .

شفرة النص :

هل سنكون في حاجة لإثبات أن الاسطورة هي حكاية في شكلها المحكي أو المكتوب ؟ وإنها تعتمد السرد أسلوباً في توضيح الأحداث وتفصيله !

وإذا كان فن القصة القصيرة أو الرواية الآن قد أصبح فناً تحكمه أساليب وقواعد معينة وتنتج لنا مدارس مختلفة ، الا انه كان ذات يوم تابعاً من الأساطير .. فهي الرحم الأول الذي ظهرت منه فنون القصة والشعر والدراما كذلك فقد ظهرت من الأسطورة أو منها أنماط قريبة من القصة كالخرافة أو الحكايا الشعبية أو الملحمة وجميعها تعتمد على السرد الذي هو عماد فن القصة . وإذا كانت الأسطورة حكاية مقدسة فالخرافة حكايا خيالية والحكايا

الشعبية حكاية دنيوية والملحمة حكاية طويلة تتحدث عن بطل أو أبطال قوميين . لقد ظهرت الرواية كفن مستقل من الملاحم الأوروبية التي سبقت عصر النهضة .. وكانت هذه الملاحم تصهر في داخلها الكثير من الأساطير القديمة .

وإذا أردنا تتبع نشوء فن القصة أو الرواية فلا شك أننا سنجد بأن الحكاية الشعبية كانت همزة الوصل بين الأساطير ، وفن القصة أو الرواية "والآداب الشعبية ، باعتبارها حلقة كبيرة من حلقات الفولكلور ، لها وشائج متعددة بالأساطير . ومن الصعب أن نفرق بين نوع آخر يميل الى الإيجاز ، حتى ينحصر أو يكاد في عبارة واحدة ويتوسل بالنثر ، ذلك لأن (الشعبية) وصلت بين الأنواع والأجناس .. بين المضامين والوظائف ومن الممكن أن نجد مثلاً شعبياً قد اقتطع من نشيد طويل أو ملحمة ضخمة . ومن اليسير كذلك أن نرد لغزاً أو أحجية الى سيرة بطل يستغرق انشاؤها الأيام والليالي . وأوضح من هذا وذلك أن نشير الى البطل الأسطوري الذي حكى ، أو كان يحكي ، أفعال إله أو ابن إله أو شبه إله ، قد مهد الطريق لبطل انساني ، مهما اضيفت اليه من خوارق . وهذه النقلة بين الكائن الأسطوري والبطل الملحمي الإنساني تؤكد بدورها التواصل بين المثلولوجيا والفلكلور" (١٩) .

إن سلسلة التدرجات التي مرت بها الأسطورة في حقلها الحكائي بدأ من انتزاع صفتها المقدسة فتحولت الى خرافة أو حكاية شعبية أو ملحمة ، وتشربت في الروح الشعبي بعناصر فولكلورية وبيئية معينة ، وتحولت الى قصة أو رواية يوم تدخل الوعي الفني والقصد المسبق لإنتاج غط أدبي محدد اسمه (القصة) أو (الرواية) .

شجرة الشعر : لا نريد أن نجعل أسبقيات الظهور بين الشعر والأسطورة موضوعاً للنقاش هنا . ولكننا نقول إن الشعر والأسطورة توأمان .. ظهر كل منهما في الآخر . ويقيناً أن الاسطورة كانت تؤدي مضامينها وقصصها من خلال الشعر .. ويقيناً أن هناك شعراً انتزع نفسه من الأسطورة وظهر كنمط وجداني محض ليعبر عن خوالج النفس البشرية وأعماقها وأحاسيسها .

لقد دخلت قصائد الغزل والرتاء السومرية في متن الأساطير وأصبحت جزءاً منها ، ونظمت أسطورة الخلقية البابلية وملحمة جلجامش الأسطورية شعراً سواء عن طريق الإيقاع

التفصيلي المعروف أو عن طريق تقنيات شعرية وبلاغية . ولم يكن الشاعر السومري "يعرف شيئاً عن القافية والوزن ، كانت أدواته الفنية الرئيسية التكرار والمقابلة والوصف والتشبيه . وكانت هذه الأدوات تستخدم في الأسطورة والترتيلة والغناء والثناء ، على هذا النحو أو ذاك ، لكننا نجد في الشعر الملحمي مستخدمة في حذق وخيال فائقين . خذ على سبيل المثال القصة الملحمية ، جلجامش وأجّا"^(٢٠) . لقد كان الشعر عماد الأسطورة وكانت الصورة الشعرية تطرز الأساطير وتعلو بها . وكان تدفق هذه الصور مثار شهية وخيال الناس الذين أسكرتهم لغة الأساطير الشعرية وجماله . ولنتأمل في هذا المثال الساطع بالشعرية في أسطورة سومرية :

"الرجل - العسل ، الرجل العسل - يجعلني حلوةً أبداً

سيدتي ، الرجل - العسل من الآلهة ، حبيبي الأثير من أمه

الذي يده عسل ، وقدمه عسل ، يجعلني حلوةً أبداً

يا جالب الحلاوة الى السُرّة .. [؟] ، أثيري من أمه

..... ي أجمل الأنفاذ ، هو خسٌ مزروع قرب الماء"^(٢١)

تعتمد الأسطورة على المخيلة وكذلك الشعر ويتدفق من الأسطورة والشعر خيالٌ قدسي لا نظير له ، وتلعب التقنيات الشعرية دوراً هائلاً في تفجير المخيلة ، فعلى سبيل المثال يعطي التشبيه التالي قوة خيال عظيمة حين توصف الآلهة التي يعصرها الألم على دمار مدينتها بأنها (تنبطح ساجدة مثل بقرة على عجلها) أو عندما يوصف إنسان جمع به الوهم والخيال بأنه (مثل بقرة عقيم تظلّ تبحث عن عجلها الذي لا وجود له) وغيرها من الصور التي لا شك بأنها عماد الشعر وجوهره .

٢. محيط الأسطورة: فضاء العقل وغاباته

لم تمت الأساطير ، وما انقطع ظهورها ولكن نظرتنا إليها ، في الغالب ، هي التي تجعل منها موضع رغبة أو شك أو تراجع أو تقدم . لقد ظهرت الأسطورة في الماضي السحيق ومثلت بذرة العقل ، لكن العقل وهو (يتميز) وينتج حقوله المتتابعة قد أصبح في أفاق جديدة ، فترعرعت هذه الحقول وأصبحت لها شخصيتها المميزة ، لكن هذا لم يفقد صلتها ببعضها وصلتها بالبذرة الأم « الأسطورة » . وستناول فيما يلي علاقة الأسطورة بمختلف الحقول المعرفية التي احاطت بها ومازالت تحيط بها وتتبادل معها الأفكار والمضامين والرموز :

الأسطورة والعلم

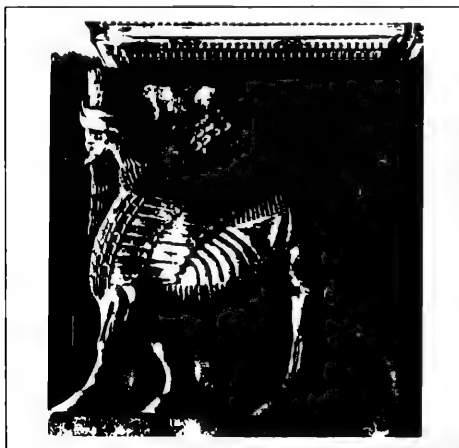
يُخَيَّلُ للناظرين أن العلم ، وقد قطع شوطاً كبيراً في تقدمه ، لم يعد يمت للأسطورة . التي تضمنته ذات يوم ، بعلاقة وأنه انفصل نهائياً عنها .. لكننا نذهب مذهبا آخر ونقرر أن بعض النظريات العلمية تقترب في روحها من النصوص الأسطورية القديمة ، وأن تحقيق هذه النظريات على أرض الواقع سيبدو لنا ضرباً من « الأساطير » .

ان أحدث نظرية علمية يقودها علماء (الكون - المرأة) وهم أصحاب نظرية المبدأ الكلي أو الشمولي . لتفجر فينا حيناً إلى عالم الأسطورة ، وهذه النظرية العلمية التي ظهرت في الربع الأخير من القرن العشرين ومازالت تزاوج بين الكثير مما طرحته الأفكار والفلسفات والأساطير القديمة والتصورات الجديدة عن العالم والوجود والطبيعة . فهي ترى أن هناك وحدة عميقة بين الأشياء كلها في هذا الكون وان انفصال الأشياء عن بعضها كما نراه في حياتنا اليومية هو وهم ، وان هناك حقيقة باطنية خفية تجمع هذه الأشياء "ولاتعد وحدة الكون الخاصة الجوهرية لهذا الخبرة الصادرة عن الحكمة بل تعد أيضاً خاصة تتميز بها إلهامات الفيزياء الحديثة . انها تتجلى عند المستوى الذري وتكشف عن ذاتها أكثر فأكثر كلما توغلنا الى أعماق المادة ، وإلى نطاق الجزيئات دون الذرية ، وهكذا تكون وحدة الأحداث والأشياء الموضوع المتواتر في المقارنة التي سنجرىها بين الفيزياء الحديثة والحكمة القديمة . فكلما تقصينا الأنماط المتنوعة للفيزياء دون الجوهرية رأينا بأنها تعبر . مرة تلو مرة . وبطرق مختلفة عن تبصر واحد مشترك" (١٢) . والأساطير بطبيعتها وتكوينها

تنظر الى العالم أو الأحداث بطريقة مختلفة تتجاوز عالم الأضداد الذي نراه في الواقع . فأن تكون (عشتار) أو (اتانا) إلهة للحب والحرب في نفس الوقت فهذا أمرٌ يتجاوز هذا التناقض . وأن يكون البعل ربا للخصوبة والحب أو يكون عاصفة مدمرة غاضبة والهيا للحرب في نفس الوقت فهذا أمرٌ تطرحه الأساطير بقوة ، بل ان واحداً من أهم ميزات الأساطير هو تجاوزها عالم الأضداد لما بعده ، وهذا ما تطرحه نظرية المبدأ الكلي "فقد أوضح اكتشاف العالم الذري واقعاً يتجاوز اللغة والمنطق ، وأشار الى أن وحدة التصورات التي كانت تعتبر متعارضة وغير قابلة للتوفيق هي معلم مذهل من معالم هذا الواقع الجديد . وفي هذا المستوى دون الذري نجد . كما تقول الفيزياء الحديثة ، توحيد التصورات المتعارضة ، بحيث تكون الجزئيات قابلة وغير قابلة للانقسام ، وتكون المادة متصلة ولامتصلة . وتكون القوة والمادة معلمين مختلفين لظاهرة واحدة"^(٢٢) . كذلك فإن الأساطير تطرح صلة لا منفصلة بين الزمان والمكان ويبدو الزمان مكاناً وبالعكس ، فأساطير الخليقة مثلاً تتحدث عن مكان ما ، ولكنها في حقيقة الأمر تطرح زمناً كلياً مطلقاً لا متعيناً تمت فيه الخليقة . إن واحدة من أهم مزايا الأسطورة طرحها الخفي العميق لمشكلة الزمان والمكان باعتبارها كلاً واحداً وان النظر اليها منفصلين أمرٌ طرحته التصورات العقلية المختلفة ، لا الحقيقة كما هي . ويقول سوزوكي إن ثمة حالة من الانحلال ينتهي فيه التمييز بين العقل والجسد ، بين الفكر والموضوع "وإذا نظرنا من حولنا ، ونحن نختبر هذه الحالة ، شاهدنا ببصيرتنا صلة كل شيء بكل شيء ، آخر ليس على النحو الزماني فحسب ، بل على النحو المكاني أيضاً . ويشير واقع الخبرة الصافية الى أن المكان غير موجود بدون الزمان ، وان الزمان غير موجود بدون المكان . انهما متداخلان على نحو تبادلي"^(٢٣) . ولا شك أن الأساطير كلها تطرح صيغة ديناميكية للعالم ، وذاًئماً هناك عالم أولي هولي كان يسيطر على العالم ، ينتج عنه عالم جديد يحاول نفيه ثم ينتج عن هذا العالم الجديد عالم ثالث أكثر دينامية يحاول أن ينفي ما قبله ، وهكذا تتواتر الأحداث في جدلية فذة وكأن العالم قائم على صراع ديناميكي لا ينتهي . وإذا تجاوزنا الكثير من تفاصيل (المبدأ الكلي) الذي تنبض فيه ورح الأسطورة والشعر والحكمة القديمتان وذهبنا الى واحد من أكثر العلوم حداثة وهو علم (الهندسة الوراثية Genetic Engineering) لوجدنا ما لا يصدق العقل فقد بدأت

عمليات مختبرية منظمة لإنتاج هجائن وراثية بين الكائنات الدقيقة والمختبرية والكبيرة .
 وإذا كنا لمسنا بعضاً منها في إنتاج البذور والثمار المحسنة فإن هناك آفاقاً لا تحد لإنتاج
 كائنات جديدة وذلك بالسيطرة على بعض الصفات الوراثية في مقاطع من الشريط
 الوراثي DNA ونقلها إلى شريط وراثي لكائن آخر مما يقرب فكرة ظهور (أنواع) جديدة
 مصنعة من المخلوقات . وقد تحمل آفاق الزمن القادم ظهور كائنات مهجنة بالنسفات
 والأشكال . وعلى سبيل المثال : كائن بشري بإطراف لا بشرية من حصان أو ثور وبجلد
 حرشفي .. وغير ذلك . ونقول أن الأساطير طرحت مثل هذه المسوخ وقالت بها وإلا فكيف
 نفسر الثور المجنح في آشور بوجه بشري وجسد ثور وأجنحة طائر والذي كان يشير إلى
 الجنى (لاماسو) ؟ أو ذلك التمثال الذي بوجه بشري ذي لحية وجسد عجل والذي عثر عليه
 في لجش (من فترة حكم كوديا) ؟ أو أبو الهول المصري أو الكائنات المسخية على بوابة
 عشتار ؟ أو السنطور اليوناني حيث نصف الكائن العلوي بشري ونصفه السفلي حصان ؟

ان تلاقي هذه الحقائق بين الأسطورة والعلم تعطي انطباعاً بايقاع مشترك ينبض فيها
 وهو ما جعلنا نؤمن أن العلم وهو يجترح معجزاته الكبرى يبدو كما لو أنه أسطورة قد
 تحققت .



شكل (٥) : الثور المجنح ذو الوجه
 البشري . وهو يدل على الجنى (لاماسو)
 - وجد على مدخل قصر سرجون
 الأشوري في خراساباد .



شكل (٦) : عجل بوجه بشري ذي لحية وجد في لجش السومرية في عصر كودبا (٢٢٩٠-٢٢٥٥) ق.م.

الأسطورة والدين

نشأت الأسطورة كجزء من الدين ، ورافقت جميع الأديان القديمة والشمولية ، والوثنية والسماوية ، فلا دين بلا أساطير يتغذى منها وتغذيه . وتبقى الأديان تفرز أساطيرها على مدى تاريخها حتى اذا انقرضت تلك الأديان نزلت أساطيرها من المستوى المقدس الى المستوى المدنس . وتداولها الناس على شكل حكايات ، وقد تنتقل هذه الأساطير من المدنس الى المقدس ثانية لكن في اديان اخرى جديدة تعيد صياغتها في المكان المناسب .

يطرح فراس السواح نظريته عن بنية الدين أو المكونات الأساسية للدين ويرى بأن كل دين لا بد وأن يتكون من ثلاثة مكونات أساسية هي (المعتقد والطقس والأسطورة) . حيث المعتقد هو الأفكار ، أما الأسطورة فهي حكاية مقدسة "تنشأ عن المعتقد الديني وتكون امتداداً طبيعياً له ، فهي تعمل على توضيحه واغناثه وتثبيته في صيغة تساعد على حفظه وعلى تداوله بين الأجيال ، كما أنها تزوده بذلك الجانب الخيالي الذي يربطه الى العرافات والانفعالات الانسانية ، ويبدو ان المهمة الأساسية للأسطورة هي تزويد فكر الألوهة بألوان ظلال حية ، خصوصاً في المعتقدات التي تقوم على تعدد الآلهة"^(٢٥) . فالمعتقد

اذن هو البنية المصاغة صياغة مبسطة عن طريق القص والحكي والمعنية بنقل مضامين المعتقد بطريقة حية متداولة بين الناس .

ان الاسطورة هي الشكل الأكثر تداولاً ومتعة وبساطة في حياة الناس المؤمنين بذلك الدين أو تلك العقيدة . فإذا كان المعتقد يشكل النظام الفكري المركب والذي لا يهضمه أو يبينه إلا من عرف شؤون الدين العميقة من الكهنة أو رجال الدين ، فإن الأسطورة تشكل الصيغة المتداولة التي يفهمها جميع الناس ، الكبير والصغير ، رجال الدين وعامة المتعبدین وهي الأوفر حظاً وانتشاراً من بنية المعتقد الخاصة بفئة صغيرة من الناس . ان هذا يدلنا على أن الأسطورة تمارس وهي تنتشر بين الناس أثراً على المعتقد وقد تعيد صياغته بين حين وآخر ، أي انها تطوره وتجعله أكثر قبولاً في الفترات اللاحقة . ومن هنا جاءت علاقتها الصمیمة بالدين .

الأسطورة والسحر

السحر هو دين بدائي .. دينٌ أولي مبكر بدأت به البشرية أولى مراحلها في الدين . وقد يضعه بعض العلماء في مرحلة تسبق الدين كما يقول فريزر في كتابه (الفن الذهبي) . لكن الحقيقة تقول أن السحر دين يغلب الطقس على المعتقد وعلى الأسطورة ، ففي السحر اعتماد كلي على الطقس التابع من معتقد بدائي بسيط والمستند الى حد أدنى من المثلولوجيا ، فالألهة المثلولوجية في السحر غير موجودة ، بل ان هناك قوى سحرية (قد تكون لها قصص مقدسة) تكون ما يشبه (بالأساطير السحرية) التي يصعب أن نعثر عليها مدونة ، ولذلك نلجأ في الغالب الى كشفها عن طريق استنطاق العقائد البدائية للأقوام البدائيين الذين ما زالوا يعيشون على الأرض .

أن الأساطير السحرية تحولت فيما بعد الى مضامين أساسية في الأساطير الدينية اللاحقة ، كذلك فإن السحر باعتباره طقساً ، دخل في مضامين الأساطير وأصبح جزءاً منها . ولذلك نرى بأن علاقة السحر بالأسطورة تصورت مع ظهور الأديان القديمة والقومية ثم الشمولية ولكن هذه العلاقة ما زالت تحتاج الى مزيد من تسليط الضوء عليها للكشف عن كوامنها وكيفية حركتها . أن الأديان السحرية القديمة الثلاثة (الفيتشية والأرواحية

والطوطمية) حملت معها أساطيرها البدائية وهي تنتقل الى مرحلة لاحقة من مراحل التطور الديني والمثيولوجي . ودليلنا على ذلك أن أساطير الشعوب تحمل الكثير من النبض الفتيشي (عبادة الشيء وتقديسه) والأرواحي (الروح تحل في الأشياء) والطوطمي (الأشياء والنباتات والحيوانات هي الأجداد الأولى للإنسان) . لقد كانت الممارسات السحرية في هذه المستويات الثلاثة عملاً خارقاً وخلاقاً حمل أساطيره الى الأديان اللاحقة وظلّ يعيش في جوهرها .. وهو دائماً مثار إنعاش وكيميائية غريبة تجعل من الدين ينسرب الى أعماقه .

تشكل المعتقدات الباطنية في جميع الأديان صدى لظهور السحر في الدين وتقوم الأسطورة في هذه المعتقدات بأدوار مهمة ، حيث تتواشج مع السحر في استنبات عقيدة داخلية جديدة .

ان ظهور عقائد جديدة من داخل الأديان تسببه في الغالب قوة سحرية لأسطورة تقبع فيها تلك الرؤيا الشمولية الموشحة بطابع شعري ، وما العقائد العرفانية (GNOSIS) الا أحد الأمثلة المميزة "فالنظرية العرفانية يختلف صياغاتها ، تتركس رؤية سحرية للعالم صميمة ، ذلك لانه بمجرد ما ينتهي الموقف العرفاني بالعارف الى اعتبار نفسه كائناتاً الهياً فانه يمنح نفسه قدرة من جنس القدرة الالهية ، فلا يعود يعترف لا بقيود الزمان ولا بقيود الطبيعة ولا بناموس أو سنة من نواميس الكون وسننه ، وهكذا ينتقل في لمح البصر من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان لا يعترف بالمسافات المكانية ولا الزمانية ، بل كل شيء عنده حاضر حضوراً زمنياً ومكانياً"^(١٩) .

الأسطورة والفكر

تحرك الاسطورة الفكر وتجعله يتمدد ويتسع بحكم طبيعتها الشعرية منطقة تغاير وحركة لا تهادن منطقة الثبات والتحجر في الفكر ، ولذلك ظهر المفكرون والفلاسفة المغايرون وكأنهم يشحنون الفكر بروح أو شحنة اسطورية أو شعرية .

ان الاسطورة ليست بديلاً عن أية فلسفة أو طريقة فكرية ، بل هي دلالة توتر وجدة دائمين بحكم عدم خضوعها لثابت فكري داخلي ، فتأملاتها في الكون والوجود والانسان والحياة مرنة وتمشي في مسارب وسياقات غير قسرية .

ان الفكر الميثوبي ما زال يقدم لنا طاقة غير مستنفذة في حين تتكلس انماط الفكر الفلسفي والميتافيزيقي والعقلي في أطر تكاد تكون ثابتة ويكون دائماً من السهل إنعاشها وشرها عن طريق نفحة اسطورية أو شعرية يقترحها قادم جديد يبني تطوير الفكر وتنغيله .

الأسطورة والأدب

يوماً بعد آخر تظهر الامكانات اللامتناهية لعدوى دائمة للأدب من قبل الأساطير السحرية والدينية منها على السواء .. واذا كانت الأساطير تستخدم ذات يوم في تاريخ الأدب كزينة أو ككولاجات مقتبسة فانها الآن تمكنت من الدخول في روح الأدب (شعراً وقصة ومسرحية) واستطاعت أن تكون مثل موكد جديد ودائم لشحنات غير اعتيادية . ويبقى الأدب الحديث بتياراته الطليعية والحداثية مديناً للروح الاسطوري والسحري في نقلاته الكبرى . ولن أطيل في هذا المجال ولكني سأشير الى مدرستين أدبيتين كبيرتين الأولى ظهرت في بداية هذا القرن وهي السورالية التي اعتمدت في منطلقاتها الأساسية على السحر والحلم والكيمياء الأولى ، والثانية تتمثل في تيار الواقعية السحرية في الرواية وغيرها والذي يتمثل الأساطير والسحر ويشحن بها نسيج العمل الأدبي .

أنواع الأساطير وتصنيفها

درس علماء المثلولوجيا أنواع الأساطير وحاولوا وضع تصنيفات متعددة لها ، فمنهم من قسّم الأساطير بشكل عام الى أساطير سببية واخرى اجتماعية ، ومنهم من قسمها حسب مضامينها الى أساطير الخليقة وأساطير الطوفان وأساطير العالم الأسفل ، ومنهم من قسمها الى أساطير أساسية وأساطير ثانوية ومنهم من اختار طرقاً أخرى في التقسيم .

ان دراسة أنواع الأساطير وتصنيفها استوجب دائماً حضور أنماط مسبقة توضع الأساطير قسراً .. اذ ليس بالضرورة ان تعالج الأسطورة موضوعاً معيناً أو ان تكون سببية بالكامل . كما أننا لا نرى أساطير أساسية واخرى ثانوية . ولذلك فنحن نرى أن تصنف الأساطير أولاً حسب اللغة التي كتبت بها ، ثم يتبع ذلك تصنيفها حسب الاله أو المقدس الذي تدور حوله .. كأن نقول : الأسطورة السومرية - هبوط اناثا الى العالم الأسفل ، الاسطورة الكنعانية : بناء هيكل الاله بعل الخ . ان هذا يجنبنا القسر ويضع الأسطورة في مكانها الطبيعي حسب ما تقرره مثلولوجيا ذلك الشعب أو تلك الأمة .

أساطير الشعوب

تنطلق الدراسات الحديثة لأساطير الشعوب من منطلق تاريخي صرف يتدرج في وضع أساطير العالم القديم ثم العالم الوسط . وقد عالج جوزيف كاميل أساطير الشعوب في مؤلفه الضخم (أقنعة الله) الذي صدر في أربعة مجلدات هي (المثلولوجيا البدائية ، المثلولوجيا الغربية ، المثلولوجيا الشرقية ، المثلولوجيا الخلاقة) ويبدو أن اخفاقات متعددة رافقت هذا الكتاب أولها سوء التصنيف وثانيها خلطه بين الدين والمثلولوجيا .

أما السير جيمس فريزر فقد قدم في موسوعة (الفنن الذهبي) كمّاً هائلاً من الأساطير القديمة وأساطير الشعوب البدائية التي مازالت تعيش على الأرض وكانت موسوعته هذه أقرب الى الأنثروبولوجيا الدينية منها الى المثلولوجيا .

وتقدم لنا (موسوعة لاروس للمثلولوجيا Larousse Encyclopedia of Mythology) (١٧) صورة حسنة في التدرج التاريخي لمثلولوجيا شعوب العالم ، ولكي نتعرف على هذه

المثولوجيات نذكر هنا ما احتوته هذه الموسوعة :

- | | |
|-----------------------------|---------------------------------|
| Prehistoric Mythology | ١- مثولوجيا ما قبل التاريخ |
| Egyptia Mythology | ٢- المثولوجيا المصرية |
| Assyro-Babylonism Mythology | ٣- المثولوجيا البابلية الآشورية |
| Phoenician Mythology | ٤- المثولوجيا الفينيقية |
| Greek Mythology | ٥- المثولوجيا الإغريقية |
| Roman Mythology | ٦- المثولوجيا الرومانية |
| Celtic Mythology | ٧- المثولوجيا السلتية |
| Teutonic Mythology | ٨- المثولوجيا التوتونية |
| Slavonic Mythology | ٩- المثولوجيا السلافونية |
| Finno-Urgic Mythology | ١٠- المثولوجيا الفينو اورغية |
| Ancient persi Mythology | ١١- المثولوجيا الفارسية القديمة |
| Indian Mythology | ١٢- المثولوجيا الهندية |
| Chinese Mythology | ١٣- المثولوجيا الصينية |
| Japanese Mythology | ١٤- المثولوجيا اليابانية |
| Two Americas Mythology | ١٥- مثولوجيا الأمريكيتين |
| Black Africa Mythology | ١٦- مثولوجيا إفريقيا السوداء |
| Oceanis Mythology | ١٧- المثولوجيا الأوقيانوسية |

لكننا نرى أن تقسيم لاروس هذا يحتاج الى بعض التعديلات لأنه أغفل ودمج وتجاوز أساطير الكثير من الشعوب ولذلك سنضع مقترحاً خاصاً لتقسيم مثولوجيا الشعوب وكما يلي :

١- مثولوجيا العصور الحجرية وتتضمن :

- ١ . الباليوليت (الحجري القديم)
- ٢ . الميزوليت (الحجري الوسيط)
- ٣ . النيوليت (الحجري الحديث)
- ٤ . الكالكوليت (الحجري المعدني)

٢- مئولوجيا جنوب وشرق المتوسط (المئولوجيا السامية وما رافقها) وتتضمن :

- ١ . المئولوجيا الرافدينية (السومرية ، البابلية ، الآشورية)
- ٢ . المئولوجيا المصرية
- ٣ . المئولوجيا الكنعانية
- ٤ . المئولوجيا الشامية القديمة (الأمورية ، الأرامية ، العمونية ، المؤابية ، الادومية ، النبطية)
- ٥ . المئولوجيا العربية (اليمنية ، مئولوجيا القبائل العربية قبل الاسلام)

٣- مئولوجيا شمال المتوسط (المئولوجيا الايجية وما رافقها) وتتضمن :

- ١ . المئولوجيا الكريتية
- ٢ . المئولوجيا الحيثية - الحورية
- ٣ . المئولوجيا اليونانية
- ٤ . المئولوجيا الرومانية

٤- مئولوجيا الشرق الأقصى وتتضمن :

- ١ . المئولوجيا الفارسية
- ٢ . المئولوجيا الهندية
- ٣ . المئولوجيا الصينية
- ٤ . المئولوجيا اليابانية

٥- مئولوجيا أمريكا القديمة :

- ١ . مئولوجيا المايا (يوغتان وغواتمالا)
- ٢ . مئولوجيا الأنكا (بيرو)
- ٣ . مئولوجيا الأزتيك (المكسيك)

٦- المئولوجيا الأوروبية وتتضمن :

- ١ . المئولوجيا السلتيّة
- ٢ . المئولوجيا التيوتونية
- ٣ . المئولوجيا الفينو اورغية
- ٤ . المئولوجيا الأوقيانوسية
- ٥ . المئولوجيا الاسكندنافية

٧- المثلولوجيا البدائية المعاصرة وتتضمن مثلولوجيا الأقوام والقبائل البدائية التي مازالت تعيش على سطح الأرض وتتضمن :

- ١ . مثلولوجيا الأقوام البدائية الأسترالية والنيوزلندية
- ٢ . مثلولوجيا الهنود الحمر والأقوام البدائية في أمريكا
- ٣ . مثلولوجيا الأقوام البدائية الآسيوية
- ٤ . مثلولوجيا أفريقيا السوداء

٨- مثلولوجيا الديانات السماوية (الشمولية) :

- ١ . المثلولوجيا اليهودية
- ٢ . المثلولوجيا المسيحية
- ٣ . المثلولوجيا الإسلامية

أرى أن تقسيم المثلولوجيا الى هذه المجموعات الثمانية يعطي فرصة لايجاد العلاقات والتشابهات بين مثلولوجيات كل مجموعة من ناحية وبين المثلولوجيات القريبة منها في مجموعة مقارنة .

هل توقف ظهور الأساطير ؟

تبدو لنا الأساطير وكأنها مرتبطة بالشعوب والعقائد القديمة ، ولا تغيب صورة ارتباطها بالدين ، فإن انقطع ظهور الأديان انقطع ظهور عقائد جديدة وأساطير جديدة .. ولذلك علينا أولاً الإجابة عن سؤال أسبق هو : هل توقف ظهور عقائد دينية جديدة ؟

إذا رجعنا الى معنى الدين الجوهري فسنجد بأن معناه يتفاوت في الكثير من وجهات النظر عند الباحثين ، يرى ماكس مولر "أن الدين هو كدح من أجل تصور ما لا يمكن تصوره . وقول ما لا يمكن التعبير عنه ، انه توق الى اللانهائي" (٢٨) .

ويرى دوركهائم "أن الدين هو نظام متسق من المعتقدات والممارسات التي تدور حول موضوعات مقدسة يجري عزلها عن الوسط الدنيوي وتحاط بشتى أنواع التحريم وهذه المعتقدات والممارسات تجمع كل المؤمنين والعاملين بها في جماعة معنوية واحدة تدعى كنيسة" (٢٩) . ان الدين في خلاصة تعاريفه هو الايمان بمقدس مفارق عن الدنيوي ، اي ان الايمان بمجال مقدس بعيد عن المجال المدنس .. قد يعني هذا الايمان (علو المقدس على المدنس) .

لنسأل الآن : هل انقطع ظهور المقدس بتجليات جديدة ؟ ومن الاجابة سنقرر جواباً لسؤال هذه الفقرة الرئيسي حول الأساطير . يجيبنا مرسيا الياد فيقول "ليس ثمة انقطاع لاستمرارية الظهورات الالهية بدءاً من اكثرها ابتدائية كتجلي المقدس في شيء ما ، حجر أو شجر . وانتهاءً بالتجلي الأعلى الذي يتمثل لدى المسيحي في تجلي الله في يسوع المسيح ، فهو دائماً نفس الفعل الحقي : تجلي شيء « مختلف تماماً » ، اي حقيقة لا تتناسب الى عالمنا ، في أشياء تشكل جزءاً لا يتجزأ من عالمنا « الطبيعي » الدنيوي" (٢٠) . ان هذا يجبرنا على اعادة صياغة العلاقة بين الأسطورة والدين الى علاقة اخرى بين الأسطورة والمقدس ، وهذا يعني أن ظهور الاسطورة مرتبط دائماً بظهور المقدس دائماً أو فلنقل أن ظهور أساطير جديدة مرتبط بظهور تجليات جديدة لهذا المقدس .. فهل هناك تجليات لهذا المقدس ؟

لقد أعطت الأديان الشمولية السماوية منها بشكل خاص (اليهودية والمسيحية والاسلام) أفقاً شبه نهائي يتجول فيه هذا المقدس ، واقلقت (من داخلها) امكانيات ظهور المقدس خارجها أو خارج بعضها .

لكن هذه الصيغة لا تناسب التكوين الروحي اللامتناهي للانسان .. وما ظهور المذاهب والفرق والعقائد داخل هذه الأديان الثلاثة الا محاولة لظهورات جديدة للمقدس ، وان كان من داخل هذه الأديان ، مما يدل على محاولة تحريك الانسان للمقدس الذي فيه والذي في الأعالي لأفاق جديدة .

هناك اذن حركة للمقدس داخل الأديان الشمولية وتوق لأن يتجلى المقدس خارج منظومة الأديان بكاملها .. وقد يكون الشعر والفن باعثن جديدين لحركة المقدس .. وقد تكون النزعات الدنيوية المتعالية باحثة في تصاعدها عن المقدس ، وقد تحاول كل هذه الأفاق خلق أو تشكيل (مقدس) جديد لها .

المقدس اذن يتحرك داخل الأديان وخارجها ولا سبيل الى وضعه في القيود . ولذلك فهو متجدد الظهور الى الأبد .. وهذا يدفعنا الى القول مباشرة : ان الاسطورة لن تتوقف عن الظهور ، لأنها مرتبطة بظهور مقدس جديد ، ولكن شكل الظهور وطريقته مختلفان ، ولو ان عقلاً فذاً دأب ويبحث في تراث الإنسان منذ عصر النهضة والى الآن لوجد سيلاً من (الأساطير الجديدة) التي لها (أشكال جديدة) غير تلك التي ألفناها في الماضي .

ان فصلاً في غاية الأهمية حول (الالهات في القرن العشرين) وضعته الكاتبة كارولين لارنكتون في كتابها (الدليل النسوي للمثولوجيا)^(٢١) يتضمن ثلاثة بحوث متميزة : الأول للباحثة روزماري ايلين كولي بعنوان (العراقة السحرية كعبادة للإلهات) .. العراقة السحرية هنا تعني ما يسمى بـ(Witch craft) الذي يعني السحر المصاحب للديانات والمثولوجيا والمرتبطة الى حد ما بالشر والمعتني بشكل خاص بالمقدس ذي القطبين ، الاله والالهة ، ولكنه يعطي ارجحية كبيرة للإلهات الأنثوية ، وقد ابتدأت هذه الملة أو النحلة على يد الأنجليزي جيرالد كراندر Gerald B. Grander (١٨٨٤ - ١٩٦٤) الذي اهتم بـ(السحريات الموروثة) و (الدين القديم) ثم أودع فلسفته السحرية في كتابه (كتاب الظلال Book of Shadows) ثم توسعت كتبه وأبحاثه وأصبح له أنصارٌ كثيرون . وانقسمت مدرسة (العراقة السحرية) الى عدة مذاهب منها : المذهب الكراندري الذي يعتمد على التعاليم الأساسية التي وضعها كراندر . والمذهب الثاني الواسع هو المذهب الاسكندري (على اسم صاحبه الكساندر ساندريز Alexander Sanders) (١٩٢٦ - ١٩٨٨) وهو عرَافٌ انجليزي . والمذهب الثالث في الولايات المتحدة وهو المذهب الدياني (من الالهة ديانا) وهنا مذاهب تأويلية أخرى صغيرة .

إن الفلسفة التي تقام عليها (العراقة السحرية) مشتقة من الغيبيات المصرية اليونانية ومؤلفات هرمس والقبالا الغربية وشجرة الحياة . ومن المؤثرات الاخرى هي مفتاح سليمان ، وتستفيد عقيدتها من الأساطير القديمة والرموز السحرية الأولى . وتظهر (العراقة السحرية) كديانة تحاول اكتشاف المقدس الانثوي لتنشيط (الانثوي) عند الرجال والنساء معاً . لقد أوجدت نوعاً من الطريق الروحي للحياة والخلق . وقد أكد كل من (يونغ) و (كامبل) بأننا (دون الأسطورة سنُقطع من جذورنا الروحية) .

أما جان كيبوتي في بحث (في الفعالية الحوارية ، صنع الأساطير النسوي) فنرى عقل المرأة مالكة الفعالية الحوارية (Psychic Activism) معتمدة على مضاعفة وشرط المذاهب الاسطورية . وتعتمد هذه الحركة في فلسفتها على كتابات ماري دالي (Mary Daly) وتدعو لخلق أساطير جديدة تعتمد على أساطير غريبة إفريقية أو مكسيكية لتنشيط القوة الحيوية للانسان .



شكل (٧) : الساحر (witch) يركب على عنزته
الشرطانية وهو يحرضها مع أتباعه الصغار على الطيران

وترى دايان بورتس في (إعادة
الكتابة النسوية للأسطورة) بأن نساء
القرن العشرين من الكاتبات والفنانات
قادرات على إعادة تشكيل صورة المرأة
من خلال الأساطير الكلاسيكية .

ان هذه الأمثلة البسيطة وعشرات
غيرها حول ظهور حركات دينية
/ سحرية / اسطورية في الغرب
والشرق ، تحمل معها بذور أساطير
جديدة لتدل على أن عصر الأساطير لم
ينقرض . بل انه يبدأ بداية جديدة في
هذا القرن ، وستكون وظيفته المزيد
من العمق الانساني والفعالية الروحية
والجسدية وشدة وتماسك النسيج
الانساني في عصور العمل والحروب
والتناحر السياسي والتكنولوجي .
وبالتالي فانه سيكون عاملاً أساسياً في
الحفاظ على النوع الانساني من الانقراض
وابقاء شعلته الروحية ناصعة مضيئة .

هذا بالإضافة الى الطبقات الاسطورية الجديدة التي يمكن أن يفرزها (المقدس) الديني
الذي نشأ في أديان شمولية وقومية ومحلية تسود العالم الآن . إذ يجب ان لا نفترض ان
توليد الأساطير قد انتهى عند تلك الحدود التي قررتها مجالات تلك الأديان فما زال ظهور
الحكايات القدسية المرتبطة بالمركز الإلهي أو شبه الإلهي عبر القديسين والأولياء واصحاب
المعجزات الروحية والباراسايكولوجية .

ان هذا المسرى من (المث) الديني والدينيوي لن ينقطع وسيبقى يثري الحياة ويشحنها بطاقات جديدة . وستبقى الأسطورة واحدة من أهم ينباع حياتنا في الحاضر والمستقبل . تماماً . مثل الشعر والموسيقى والفنون .. والأديان بطبيعة الحال .

مثولوجيا الأردن القديم

أول سؤال يثيره عنوان كهذا هو : هل هناك مثولوجيا أردنية قديمة ؟ ..

أرى أن الأردن القديم يتمتع . رغم انتمائه الى أرض الشام بعامة ، بخصوصية تاريخية ودينية وثقافية تميزه عن غيره من مناطق الشام الأربع (سوريا ، لبنان ، فلسطين ، الاردن) .

هناك مثولوجيا اردنية تحاول درس وفحص وفرز النمط الروحي والاسطوري الذي ساد في الاردن القديم وليس في غيره .. ربما يفتقر الاردن أكثر من غيره من دول المنطقة الى أساطير مكتوبة .. الى نصوص مدونة تعبر عن نسيجه المثولوجي ، ولكن هذا لا يمنع من وجود مثولوجيا أو دراسة في اساطيره وألته . ان ظهور آلهة خاصة ومعابد خاصة وظهور أديان وعبادات كانت سائدة في المنطقة تعطي امكانية لدراسة تكوينه المثولوجي القديم ، ثم أن عدم غزارة و شيوع النصوص في هذه المنطقة أمر معروف ، فباستثناء نصوص أوغاريت (رأس الشمرا) في سوريا نرى أن المادة الاسطورية في كل منطقة الشام عبر حقبه التاريخية مبشرة ومجزأة ويجمعها ما يتصف به الاردن من ظهور الآلهة (أسماء وصفات) والمعابد والتماثيل واللقي والنقود وغير ذلك .

تحف الكتابة عن مثولوجيا الاردن القديم صعوبات كثيرة لعل أهمها اشتراك هذه المنطقة مع عموم منطقة الشام في تراث روحي وثقافي وديني واحد ، وندرة النصوص الأسطورية وتبعثر مادتها لدرجة أن هذا الأمر جعل الكثير من الباحثين والمفكرين في حقل الأساطير والأديان القديمة يعجزون حقاً عن تناول مادة خاصة بالاردن القديم ، ولذلك سادت لغة عامة في بحوث ذات طابع حقري محض .. أما المادة الفكرية والمثولوجية فانها نادراً ماكانت تخضع للبحث والدراسة .

لكننا نرى بعد فرز دقيق لعقائد وأساطير منطقة الشام الكبرى ، أن الاردن يتمتع بقدر واضح من التميّز والتنوّع الذي يجعل من مادته الدينية والأسطورية قابلة للتوصيف والتصنيف على أمل أن تساهم الكشوفات الأثرية الحالية والمستقبلية في تعزيز هذه المادة وجعلها في حكم الثوابت .

إن المناطق الأربع المتميزة لأرض الشام تقودنا الى فرز خصوصيات كل منطقة دينياً وثقافياً . وانني أدعو الى دراسة مقارنة مستفيضة لعقائد وأساطير وأديان هذه المناطق ، لأن في كلّ منها خصوصيات لا يمكن إهمالها ، وسنرى أن التعميمات السابقة لاتصلح أبداً لأن تكون وسيلة لإظهار هذا الكم الهائل شديد التنوع .. شديد الخصوصية الذي ساد مناطق وأقاليم هذه البقعة الخصبة في عقائدها وأفكارها وحضارتها .

إن نظرة أولية سريعة يمكن أن تدلنا على أن خصوصية سوريا تكمن في حضارات ايبلا واوغاريت وبعض من التراث الأموري والآرامي ، وإن خصوصية لبنان تكمن أساساً في الحضارة الفينيقية ، وإن خصوصية فلسطين تكمن في الحضارة الكنعانية والفلسطينية والتوراتية ، وإن خصوصية الاردن تكمن في الثقافات العمونية والمؤابية والأدومية والنبطية .. وتتأزر كل هذه الخصوصيات الروحية والثقافية في اعطاء هذه المنطقة تنوعاً ثقافياً وروحياً فريداً .. اضافة الى أن الملاحقة الثقافية بين هذه الأنماط والثقافتين اليونانية والرومانية وسيادة المسيحية لاحقاً جعلت من هذه المنطقة ينبوعاً انسانياً فريداً في العقائد والأديان والأساطير لايُنظره فيها تراث أية منطقة في العالم ، فقد صهرت هذه المنطقة تراث الجهات الأربعة : الرافدينية والمصرية والجزيرة والمتوسطة الشمالية في أرفع تكوين واعادت تخليقه وفق أشكال جديدة ، وبذلك كانت بؤرة هذه الجهات الأربعة ونقطة انصهار ثقافتها وأديانها .

إن البحث في مثولوجيا الاردن القديم يدفعنا أولاً الى البحث في الجذور التاريخية الأولى له ومعانيته انثروبولوجياً وثقافياً وملاحقة ما انفرد به هذا الوادي وما أخذه وما أعطاه من تراث المنطقة الشامية المحيطة به ومنطقة الشرق الأدنى والمنطقة المتوسطة عموماً .

وسنحاول في الفصول القادمة الامساك بالمادة المثولوجية الخاصة بالأردن القديم حصراً .. وهذا ما دفعنا الى وضع تصنيف خاص بهذه المادة المثولوجية على ضوء المراحل التاريخية للأردن القديم .

ان وضع تصنيف خاص لمثولوجيا الأردن القديم كان يحد ذاته مفتاحاً هاماً لتقصي المادة المثولوجية وتتبع آثارها المبعثرة هنا وهناك . وقد عمل هذا التصنيف على جمع هذه الآثار مثل قطع الفسيفساء وتشكيل لوحة كبيرة تعطي صورة حيوية معبرة عن مثولوجيا الأردن القديم .

لقد كان أساس هذا التصنيف هو تقسيم المثولوجيا الأردنية القديمة الى طبقات يغور أقدمها في العصور الحجرية ويظهر على سطحها القريب المثولوجيا المسيحية التي هي خليط من تراث المنطقة القديمة وتراث الديانة السماوية السمحة التي بشر بها السيد المسيح .
إن طبقات مثولوجيا الأردن القديم تتمثل في التسلسل التالي :

١ . مثولوجيا العصور الحجرية (الباليوليت والميزوليت والنيوليت)

٢ . المثولوجيا الكنعانية (المثولوجيا الأم لمنطقة الشام بأكملها)

٣ . المثولوجيا الأردنية الخالصة (العمونية والمؤابية والأدومية)

٤ . المثولوجيا النبطية

٥ . المثولوجيا اليونانية – الرومانية

٦ . المثولوجيا المسيحية

ولعل هذا التصنيف يفرض نفسه لا لغايات مدرسية وبحية فقط ، بل على ضوء التابع التاريخي للأردن القديم والتنوع الغزير للثقافات والأقوام التي سكنت فيه .. مما يلقي تلك الصورة القاحلة التي كانت تصور الأردن تابعاً دينياً وثقافياً لمنطقة أكبر ، أو يبدو لنا وكأنه معبر أقوام سريعة اجتازته صعوداً أو نزولاً الى مناطق أخرى من اجل الغزو او الاستيطان ، وانه لا يحمل ذلك العمق الحضاري أو الثقافي الذي ساد المنطقة بأكملها فلا أسطورة ولا دين ولا أدب ولا فنون .

وتشكل هذه الآراء - من وجهة نظرنا - واحدة من أكبر المغالطات التي شاعت في ثقافتنا التاريخية والسياسية والدينية ، والتي لا بد من تصحيحها بالدرس العميق لتراث الاردن في مختلف مراحلها التاريخية .

لقد اخترنا تسمية (الأردن القديم) لتوصيف منطقة الأردن التي يجتازها نهر الأردن وتمتد من جنوب سوريا حتى ميناء العقبة وتتأخم أرض فلسطين شرقاً وتفتح على الصحراء الشمالية الغربية لجزيرة العرب .

وكانت أمامنا مصطلحات أخرى مثل (شرق الأردن) و (وادي الأردن) و (غور الأردن) لكننا فضلنا استخدام (الأردن القديم) لكي تتجنب التقييد الجغرافي الذي تضعنا فيه المصطلحات الأخرى ولندل على منطقة ثقافية وسياسية ودينية محددة تتميز عن المناطق المحيطة بها .

هوامش الفصل الأول

١. السواح ، فراس : "دين الانسان" . بحث في ماهية الدين ومنتشأ الدافع الديني . منشورات دار علاء الدين ط ١ ، دمشق ١٩٩٤ ص ٥٦ .
٢. يونس ، عبد الحميد : "الفولكلور والمثولوجيا" . مجلة عالم الفكر ، وزارة الاعلام ، الكويت . العدد (١) ١٩٧٢ ص ١٦ .
٣. انظر تفصيلياً في كتاب فراس السواح (دين الانسان) . منشورات دار علاء الدين ط ١ ، دمشق ص ٥٨ ، ٥٧ . حيث تعزز النقاط المذكورة بأمثلة وشواهد كثيرة .
٤. يونس ، عبد الحميد : "الفولكلور والمثولوجيا" . مجلة عالم الفكر ، وزارة الاعلام ، الكويت . العدد (١) ١٩٧٢ ص ١٧ .
٥. ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري : "لسان العرب" . المجلد ٧ ، دار صادر بيروت ، بت ، ص ٣٦٣
٦. يونس ، عبد الحميد : "الفولكلور والمثولوجيا" . مجلة عالم الفكر ، وزارة الاعلام ، الكويت . العدد (١) ١٩٧٢ ص ٤٦
٧. فروم ، اريك : "اللغة المنسية" ترجمة د. حسن قبسي ، منشورات المركز الثقافي العربي ط ١ ، بيروت ١٩٩٢ ص ٢٠٩ .
٨. أبو زيد ، حامد : "الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي" مجلة عالم الفكر ، وزارة الاعلام ، الكويت ، العدد (٣) المجلد (١٦) ١٩٨٥ ص ٥٩٢ .
٩. ابراهيم ، زكريا : "مشكلة البنية" . منشورات مكتبة مصر ، القاهرة ، بت ص ٩٠ .

١٠. غيربر ، ه.أ. : "أساطير الاغريق والرومان" ، ترجمة حسني فريز . منشورات دائرة الثقافة والفنون . عمان ١٩٧٦ ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
١١. صالح . عبد المحسن : "التنبؤ العلمي ومستقبل الانسان" . منشورات عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٩٨١ ص ٦٧ .
١٢. اليازجي . ندره : "مدخل الى المبدأ الكلي" . منشورات دار الفريال ، دمشق . المنشورات الجامعية . طرابلس ١٩٨٤ ص ٤٢ .
١٣. الماجدي ، خزعل : "بيان أول للحدائث ميتاجماليا الشعر" . مجلة المهدي . دار المهدي للنشر والتوزيع . عمان العدد (٩ ، ١٠) السنة (٣) ١٩٨٦ ص ٧٤ .
١٤. فرانكفورت ، ه. ه. فرانكفورت ه.أ. وآخرون : "ماقبل الفلسفة" . ترجمة جبر ابراهيم جبرا . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٢ بيروت ١٩٨٢ ص ١٩ .
١٥. الجابري ، محمد عابد : "بنية العقل العربي" . مركز دراسات الوحدة العربية ط٢ . بيروت ١٩٨٧ ص ٢٦٠ .
١٦. الياد ، مرسيا : "المقدس والدينيوي" . ترجمة نهاد خياطة ، ط١ . العربي للطباعة والنشر ، دمشق ١٩٨٧ ص ٩٠ ، ٩١ .
١٧. المرجع السابق ص ١٠٠ .
١٨. دربوتون ، اتين : "المسرح المصري القديم" . ترجمة وتقديم الدكتور ثروت عكاشة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢ . القاهرة ١٩٨٨ ص ٦٩ .
١٩. يونس ، عبيد الحميد : "الفولكلور والمثولوجيا" . مجلة عالم الفكر ، وزارة الاعلام .

الكويت . العدد (١) ١٩٧٢ ص ٤٥ .

٢٠. كريم ، صموئيل نوح : "طقوس الجنس المقدس عند السومريين" . ترجمة نهاد

خياطة . دار الغريال ط١ دمشق ١٩٨٦ ص ٥٥ .

٢١. المرجع السابق ص ١٤١ .

٢٢. اليازجي ، ندره : "مدخل الى المبدأ الكلي" منشورات دار الغريال . دمشق .

المنشورات الجامعة ، طرابلس ١٩٨٤ ص ١٦ .

٢٣. المرجع السابق ص ٢٢ .

٢٤. المرجع السابق ص ٢٩ .

٢٥. السواح ، فراس : "دين الانسان" . بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني .

منشورات دار علاء الدين ط١ ، دمشق ١٩٩٤ ص ص ٥٨ ، ٥٩ .

٢٦. الجابري ، محمد عابد : "بنية العقل العربي" . مركز دراسات الوحدة العربية ط٢ ،

بيروت ١٩٨٧ ص ٣٧٩ .

٢٧. Larousse Encyclopedia of Mythology Prometheus press , انظر ,
New York 1959 .

٢٨. السواح ، فراس : "دين الانسان" . بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني .

منشورات دار علاء الدين ط١ ، دمشق ١٩٩٤ ص ٢٣ .

٢٩. المرجع السابق ص ٢٣ .

٣٠. الياد ، مرسيا : "المقدس والديوي" . ترجمة نهاد خياطة - ط١ .

العربي للطباعة والنشر . دمشق ١٩٨٧ ص ٣

Carolyne Larrington ,The Feminist companion to Mythology. ٣١ . انظر

Pandora Press , London 1992 .

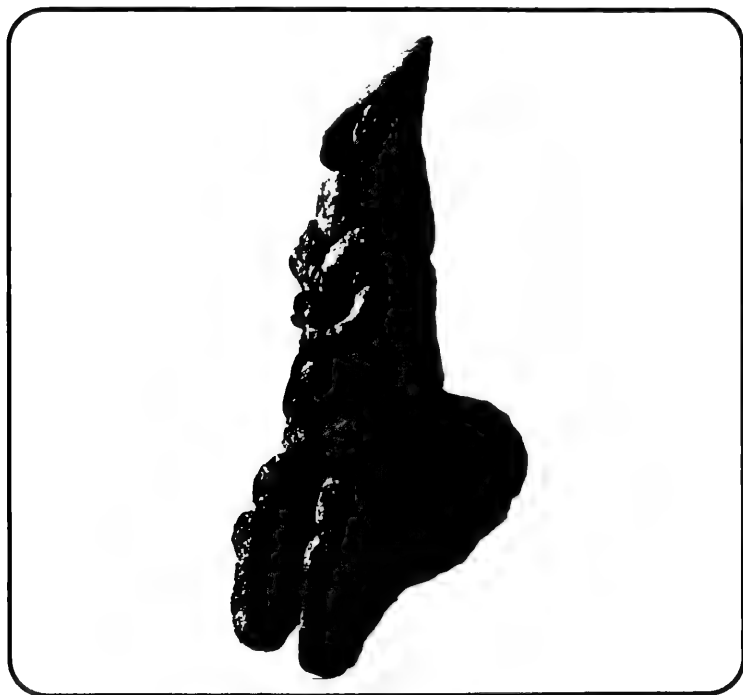
Part 6 : Goddesses in the Twentieth Century.

1. (Witchcraft as Goddess Worship) R.E.Guiley.

2. (On Psychic Activism : Feminist Mythmaking) J. Caput.

3. (Women's Rewriting of Myth) . Diane Purkiss.

الفصل الثاني مثولوجيا العصور الحجرية



منحوتة تمثل الآلهة الأم من العصر الحجري الحديث من منطقة المنحطة في الضفة الغربية

إطلالة تاريخية

قبل الخوض في مناقشة التراث الروحي في الاردن القديم ، والمثولوجي منه بشكل خاص ، لا بد لنا من إطلالة تاريخية عامة على تاريخ الاردن توضح المراحل والحقب التي مرّ بها ، ولن نفصل أو نناقش هذه المراحل بل سنوضحها عبر جداول تاريخية تسهل للمطلع عليها معرفة الأدوار والحقب بصورة دقيقة .

وقد جهدنا في جمع تفاصيل بعض هذه الجداول، لكي نوّفر معرفة عامة بتاريخ الأردن تكون ظهيراً لمعرفة ثقافته والديانات التي ظهرت فيه ، وسنبداً بالجدول التاريخي العام :

العصر	أقسامه	مدته الزمنية
العصور الحجرية	١. القديمة (الباليوليت)	٥٠٠,٠٠ - ١٦,٠٠٠ ق.م
	٢. الوسيطة (الميزوليت)	١٦,٠٠٠ - ٨,٠٠٠ ق.م
	٣. الحديثة (النيوليت)	٨,٠٠٠ - ٤,٠٠٠ ق.م
العصور المعدنية	١. النحاسية (chalcolithic)	٤٠٠٠ - ٣١٥٠ ق.م
	٢. البرونزية (Bronze)	٣١٥٠ - ١٢٠٠ ق.م
	٣. الحديدية (Iron)	١٢٠٠ - ٣٣٢ ق.م
العصور اليونانية الرومانية	١. الهيلنستية	٣٣٢ - ٦٣ ق.م
	٢. الرومانية	٦٣ ق.م - ٣٢٤ م
	٣. البيزنطية	٣٢٤ - ٦٤٠ م

جدول (٢) : الجدول التاريخي العام للاردن القديم

ويمكننا أن نتفصل أكثر ونوسع الجدول السابق لكي نعرف طبيعة الثقافة التي سادت في كل عصر من العصور والأقوام التي ظهرت خلاله :

العصر	أقسامه	نوع الأقوام والحضارة في الأردن
العصور الحجرية	١. القديمة (الباليوليت)	الصيدادون الأوائل
	٢. الوسيطة (الميزوليت)	الكبارية والنطوفية
	٣. الحديثة (النيوليت)	الخيامية والسلطانية واليرموكية
العصور المعدنية	١. النحاسية (chalcolithic)	الفسوليون
	٢. البرونزية (Bronze)	الكتعانين والعموريون والهكسوس
	٣. الحديدية (Iron)	المونين والمؤابيون والأدوميون ثم السيفرة (الأشورية والبابلية والفارسية)
العصور اليونانية الرومانية	١. الهيلنستية	السلوقيون والبطالمة والأنباط
	٢. الرومانية	الرومان والأنباط
	٣. البيزنطية	المسيحية

جدول (٣) : الجدول التاريخي العام بدلالة الأقوام والحضارة في الأردن

قد لا يكفي ما طرحناه في الجدولين السابقين رغم أنه يشير بصورة عامة الى التاريخ والأقوام والحضارة .. لكننا سنكون بحاجة الى دليل تاريخي أكثر تفصيلاً ولذلك سنقدم جدولاً تفصيلياً يجمع التاريخ والأقوام والحضارة :

العصر	أقسامه	أدواره	مدته الزمنية	الأقوام والحضارات في الأردن
الحجري	الباليوليت	الأدنى الأوسط الأعلى	٥٠٠,٠٠٠ - ١٠٠,٠٠٠ ق.م ١٠٠,٠٠٠ - ٤٠,٠٠٠ ق.م ٤٠,٠٠٠ - ١٦,٠٠٠ ق.م	الإنسان المنتصب القائمة إنسان النياندرتال الإنسان العاقل
	الميزوليت		١٦,٠٠٠ - ٨٥٠٠ ق.م	الكبارية والنطوفية
	النيوليت	قبل الفخاري الفخاري	٨٥٠٠ - ٥٥٠٠ ق.م ٥٥٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م	الخيامية والسلطانية اليرموكية
	النحاسي		٤٠٠٠ - ٣١٥٠ ق.م	الغسوليون
المعدني	البرونزي القديم	الأول الثاني الثالث الرابع	٣١٥٠ - ٢٨٥٠ ق.م ٢٨٥٠ - ٢٦٥٠ ق.م ٢٦٥٠ - ٢٣٥٠ ق.م ٢٣٥٠ - ٢٢٠٠ ق.م	الكنعانيون والعموريون
	البرونزي المتوسط	الأول الثاني أ الثاني ب	٢٢٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م ٢٠٠٠ - ١٧٥٠ ق.م ١٧٥٠ - ١٥٥٠ ق.م	العموريون (الفنوت فلما والشنوت السفلى والكرشان) الهكسوس
	البرونزي الحديث	الأول الثاني أ الثاني ب	١٥٥٠ - ١٤٠٠ ق.م ١٤٠٠ - ١٣٠٠ ق.م ١٣٠٠ - ١٢٠٠ ق.م	السيطرة المصرية ممالك العموريين (حشبون وباشان وسعير)
	الحديدي	الأول الثاني الثالث	١٢٠٠ - ٩٠٠ ق.م ٩٠٠ - ٥٥٠ ق.م ٥٥٠ - ٣٣٢ ق.م	ممالك عمون ومؤاب وأدوم الممالك ، ثم السيطرة الآشورية السيطرة البابلية ثم الفارسية
	الهلينستي الروماني البيزنطي		٣٣٢ - ٦٣ ق.م ٦٣ ق.م - ٣٢٤ م ٣٢٤ م - ٦٤٠ م	السلوقيون والبطالمة والانتباط الرومان والانتباط المسيحية

جدول (٤) : الجدول التاريخي المفصل بدلالة الأقوام والحضارات في الأردن

يمكننا أيضاً إضافة جدول مقارنة يوضح لنا العصور القديمة في الاردن وفي مصر ووادي الرافدين باعتبارهما أهم معلمين حضاريين في الشرق الأدنى القديم ، ويعطينا انطباعاً عن طبيعة الثقافات التي سادت في أهم ثلاثة وديان في المنطقة : وادي الرافدين ووادي النيل ووادي الأردن . وقد أخذنا هذا الجدول من كتاب (فن الاردن) لمؤلفه بنكوفسكي ^(١) .

الزمن	الأردن	مصر	وادي الرافدين (العراق)
العصر الحجري القديم (الباليوليت) ١,٢٠٠,٠٠٠ - ٨,٥٠٠ ق.م	الصيد وجمع القوت والاستقرار التدريجي والاستزراع		
العصر الحجري الحديث (النيوليت) ٨٥٠٠ - ٤٥٠٠ ق.م	الانتشار الواسع للزراعة المستوطنات الكبرى الفخار الاول ٥٥٠٠ ق.م	عصر ما قبل السلالات	بداية الزراعة الحقلية
العصر الحجري النحاسي (الجالكوليت) ٤٥٠٠ - ٣٢٠٠ ق.م	ظهور العمل المعدني (التعدين) في الأردن		مرحلة العبيد مرحلة الوركاء اكتشاف الكتابة
العصر البرونزي المبكر ٣٢٠٠ - ١٩٥٠ ق.م		العصر الأول : توحيد مصر ظهور الكتابة المملكة القديمة : الاهرامات العصر الوسيط الاول	عصر السلالات المبكر . السومريين نمو المدن الكبرى والمعابد القبور الملكية في اور العصر الاكدي : سرجون الاكدي سلالة اور الثالثة : افسول السومريين
العصر البرونزي الوسيط ١٩٥٠ - ١٥٥٠ ق.م	عودة انتعاش الحياة المدنية في مدن شديدة التحصين	المملكة الوسطى العصر الوسيط الثاني	عصر بابل القديم : حمورابي
العصر البرونزي المتأخر ١٥٥٠ - ١٢٠٠ ق.م	(دويلات المدن) الامبراطورية المصرية	المملكة الحديثة : تحوتمس الثالث اختنازون رسائل العمارة توت عنخ آمون رمسيس الثاني	العصر الكاشي والميتاني الدبلوماسية العالمية

الزمن	الأردن	مصر	وادي الرافدين (العراق)
العصر الحديدي ١٢٠٠ - ٥٣٩ ق.م	ملوك أدوم ومزاب وعمون الامبراطوريتان الآشورية والبابلية فلسطين : المملكة الاسرائيلية للوحدة بقيادة شاول ، داود ، سليمان الاسر اليهودي الى بابل	العصر الوسيط الثالث حكم الكهنة آمنون الكبار حكم النوبية الاجتياح الآشوري	الامبراطورية الآشورية الامبراطورية البابلية
الفترة الفارسية ٥٣٩ - ٣٣٢ ق.م	الحكم من قبل حكام فرس	العصر الاخير : الاحتلال الفارسي	الامبراطورية الفارسية
الفترة الهيلنستية ٣٣٢ - ٦٣ ق.م	احتلال الاسكندر الكبير حكم البطليموس والسلوقيين	السلالة البطليموسية كيلوباترا	الامبراطورية الفارسية
الفترة الرومانية والنبطية ٦٣ ق.م - ٣٢٤ م	الاحتلال من قبل بومبي في ٦٣ ق.م المملكة النبطية في العاصمة البتراء واحتلال روما لها في ١٠٦ م الأردن جزء من الاقليم الروماني لجزيرة العرب	الحكم الروماني	السلالة البارثية
الفترة البيزنطية ٢٣٤ - ٦٤٠ م	التحول الرسمي للمسيحية انفجار سكاني	الفترة القبطية (المسيحية)	السلالة الساسانية
الفترة الاسلامية ٦٣٠ م -	- الفتح العربي بقيادة النبي محمد - حكم السلالات الاسلامية في دمشق وبغداد والقاهرة - المملكة الصليبية في اورشليم (١٠٩٩ - ١٢٩١) - السلالات الاسلامية : الاموية (٦٦١ - ٧٥٠) ، العباسية (٧٥٠ - ٩٦٩) ، الفاطمية (٩٦٩ - ١١٧١) الايوبية (١١٧٤ - ١٢٦٣) ، المملوكية (١٢٥٠ - ١٥١٦) ، العثمانية (١٥١٦ - ١٩١٨)		

جدول (٥) : الجدول التاريخي المقارن الذي يظهر الأحداث الهامة والشخصيات البارزة .

عن بنكوفسكي (فن الاردن)

الاشارة (-) تحت السنين تدل على رقم تقريبي

مثنولوجيا الباليوليت

عاش الأردن فترة مطيرة شديدة الرطوبة في العصر الحجري القديم (Palaeolithic) وكان الإنسان فيه يعيش على جمع النباتات البرية وصيد الحيوانات . وكان يستعمل لهذه الأغراض اليومية الفؤوس اليدوية المصنوعة من حجر الصوان والبازلت . ولا شك بأن الإنسان اكتشف في هذا العصر النار واستعملها . وكان يعيش إما في العراء أو في الكهوف حيث لم تظهر بعد اهتماماته العمرانية . وقد تركزت أماكن سكناه في هذا العصر "حول شواطئ البحيرات القديمة ، وعلى ضفاف الأنهار الجارية حيث توجد في العادة الحيوانات ، وتنبت الأعشاب والأشجار المثمرة ، وهذه كلها مجتمعة كانت مصاده الغذائية إلا أنه ، أي الإنسان ، ومع نهاية المرحلة الثالثة من العصر الحجري القديم أصبح يعيش بشكل مجموعات بشرية صيادة ، لكنها شكلت أنماطاً معيشية متطورة عنها في السابق ، وهذه الأنماط أخذت صورة أوضح في المرحلة اللاحقة التي تمثل فترة انتقالية بين مرحلتَي الصيد والجمع وعدم الاستقرار إلى مرحلة الانتاج الغذائي والاستقرار داخل قرى زراعية ثابتة" (٢) . وهكذا تمثلت ثقافة الإنسان في هذا العصر بجمع القوت وصيد الحيوان واستعمال الحجر واكتشاف النار وسكن الكهوف وبدء التجمعات الصيادية . وكانت هذه الثقافة بذرة تطلع أعلى للإنسان الباليوليتي ، فقد أصبح يجمع ذاته في بؤرة ثقافية بعد أن كان سارحاً في طبيعة لا نهاية لها .

لقد شهد الباليوليت الأدنى "أولى الأدوات المعروفة أركيولوجياً باسم الأدوات الألدوفية واستخدموها بكفاءة ، وبذلك فقد ساروا أولى الخطوات نحو تكوين ما ندعوه "ثقافة" (Culture) . والثقافة في أبسط تعريفاتها ، تعني نمط حياة يجري اكتسابه اجتماعياً لا غريزياً ، ويتم نقله بين الأجيال بالتعلم" (٣) . أما الباليوليت الأوسط فقد ظهر فيه الإنسان العاقل النياندرتالي (Home Sapien Niandertalenis) وتظهر لنا بشكل خاص "الهيكل المكتشفة في فلسطين ، آخر تبدل الهيئة النياندرتالية قبل تحولها إلى شكلها الحالي . وقد مارس النياندرتاليون في فلسطين عادة الدفن في اتجاه شرق - غرب ، بحيث يكون الرأس في اتجاه المشرق والعقب في اتجاه المغرب ، ومعظم الهياكل المكتشفة كانت مسجأة على جانبها الأيمن ومطوية بشدة ضمن حفر صغيرة ، بطريقة تجعل الركبتين مضمومتين إلى الصدر ، وقد عثر على أكبر تجمع للقيور النياندرتالية الفلسطينية في مغارة السخول بجبل الكرمل التي احتوت على عشرة هياكل عظمية" (٤) .

وتشير ثقافة الباليوليت الأوسط الى شعور ديني مغلف بمخولوجيات بدائية ترتبط غالباً بالحيوانات التي كان الإنسان النياندرتالي يصطدم بها ويندهش بقوتها وشراستها ويجد فيها ندأً بل (قوة قدسية) يمكن أن يوصله تعظيمها أو قتلها الى عتبة عالم روحاني شديد الاختلاف عن عالمه المادي القاسي الذي يتعامل معه . "وهكذا نستطيع الحديث عن -دين نياندرتالي - دون أن نتعب أنفسنا في البحث عن - آلهة نياندرتاليه - وسوف نتعود منذ الآن أيضاً على التعامل مع ديانات صغرى أو كبرى لا وجود للآلهة فيها"^(٥) . لقد كان صيد الحيوانات يحد ذاته نوعاً من الميثولوجيا بالقدر الذي كان يحمل معه فائدته الغذائية .. ولكن التطلع الى الحيوان وامتلاكه بهذا القدر أو ذاك من القوة والشراسة والاختراق والعتو جعل الانسان في موقفين : الأول خشيته ومهابته وتقديسه ، والثاني قتله واقتراسه وكأن ذلك يعني تسرّب القوة والقدسية الى جسده ، مما كان يحفز مشاعره الروحية ، ويطلق قدراته الدفينة العميقة .

إن تخيل (المقدس) في الحيوان ثم (هضم المقدس) كان يعني ضمناً وضع صيغة للمشاركة بين المقدس والإنسان ، بل إن هذه التخيل ثم الإمساك به جعل الانسان يثق بقدراته ويعزز مقدرته على (اصطياد المقدس) .

يرى فراس السواح في كتابه (دين الانسان) بأن هناك ستة مظاهر لديانة الباليوليت الأوسط تظهر من خلال مدافن النياندرتال "فأولاً" ، في أغلب الحالات كانت الجثة مطوية بشدة ضمن حفر صغيرة وفي قبور افرادية . وثانياً ، تم توجيه الأجساد وفق محور شرق - غرب ، وفي بعض الحالات لدى النياندرتال الأوروبي ، وفي أغلب الحالات لدى النياندرتال المشرقي الأكثر تطوراً من الناحية المورفولوجية . ثالثاً ، هناك العديد من الأمثلة تنم عن عناية خاصة برأس الميت ، حيث تمت حمايته بأحجار كبيرة . رابعاً ، لدينا حالات غير شائعة عن إحاطة الجسد ببراعم وأزهار من أنواع معينة منتقاة . خامساً ، هناك شواهد عديدة على قربان حيواني تم عند الدفن ، وعلى (فن موازٍ لبسقايا الحيوانات المذبوحة) . سادساً ، لدينا أمثلة كثيرة على هدايا جنازية مكونة من أدوات أو عظام حيوانية منتقاة ، وقد وجدت الأدوات حتى في قبور الأطفال أو المواليد الجدد"^(٦) .

يمكننا ان نضيف ظاهرة ملفقة للانتباه ميزت الباليوليت الأعلى والأوسط في الشرق بعامة وهي خلّوه من فن الكهوف الذي امتازت به كهوف اوروبا ، وكان ظهوره دالة على أعلى حسّ روحي ووجداني توجّ به إنسان العصر الحجري القديم تشوقاته الدينية والمثولوجية ، ورغم اننا لا ننفي إمكانية نشوء فن كهفي متميز في الشرق وفي مناطق الشام الجبلية وشمال العراق ، لكننا لن نقحم هذا الفن في تحريتنا عن مثولوجيات مشرقية شامية وأردنية على وجه التحديد .

ولأننا نفقد الحجة في العثور على دمي أنثوية في الاردن في الباليوليت الاعلى لذلك سنقتصر في حديثنا عن نمّو الشعور الميثوبي الذي عبر عن نفسه بـ(القوة القدسية) ، فقد ارتفعت هذه القوة الى مستوى الأداء العملي عبر الممارسات السحرية التي كان الانسان يمارسها بأشكالها (الفيتشية والأرواحية والطوطمية) والتي تشكل مراتب متدرجة في نمّو الميثولوجي السحري وطغيانه على الممارسات اليومية البسيطة كالغذاء والجنس والنوم ، فقد رادف السحر هذه الممارسات وعجنها وحولها الى طقوس في مرحلة الباليوليت الأعلى وبدأت تنهياً الأرضية العقلية والروحية المناسبة لنقلة في المعتقدات السحرية القدم وفي تكريس فن السحر على أنه الصيغة (العلمية والعملية) المناسبة للتعامل مع العالم وعجنه والسيطرة عليه وإعادة تشكيله ، وهنا نعمل الى التأكيد بأن الآلهة مازالت غير حاضرة في عقل الباليولتي أو في أرضه أو في مجاله القدسي .. لكن (المقدس) كان حاضراً . لقد كان السحر هو المقترح الأمثل لصياغة الروح اللاهوتي عنده "والحقيقة ان مؤسسة السحر بكاملها تقوم على مفهوم القوة السارية ، معتقد الانسان الباليوليتي ، الذي راكم الزمان فوقه غبار النسيان ، ولم يبق منه سوى طقوس معلقة في الفراغ" (٧) .

لقد كان تقدم الباليوليت من أدناه الى أعلاه بطيئاً في أوروبا ولكنه أنجز ذروة تقدمه في الباليوليت الأعلى "يلبغ أوج ازدهاره في عصر الحضارة المجدلانية التي تمثل المرحلة الأخيرة في الباليوليت الأعلى المؤرخة على حوالي ١٠,٠٠٠ سنة ق م. بعدها تراجع بشكل مذهل فن الانسان العاقل الأوروبي ، وتراجع الدور الحضاري لأوروبا أيضاً لتعود الشعلة من جديد الى المشرق وبلاد الشام تحديداً" (٨) .

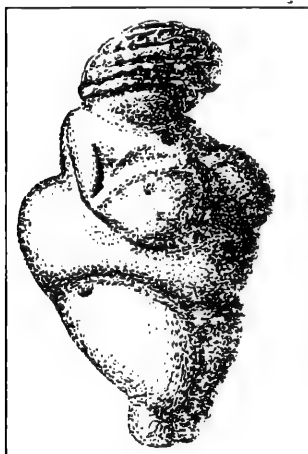
ورغم ان ظهور صور وتمائيل الإلهة الأم في أوروبا كان مبكراً في الباليوليت الأعلى الا انها عادت الى الظهور بكثافة وقوة في مواقع أثرية في الميزوليت والنيوليت الشامي والرافديني والأناضولي .

شكل (٨)

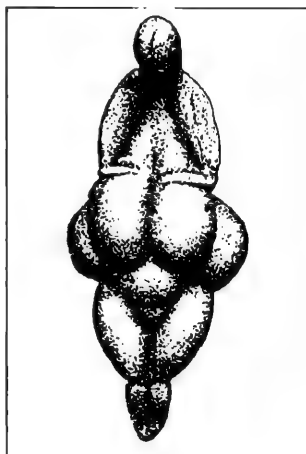
الإلهة الأم في الباليوليت الاوروبي.

١ . ليسبوغ فرنسا

٢ . ويلندروف النمسا



(٢)



(١)

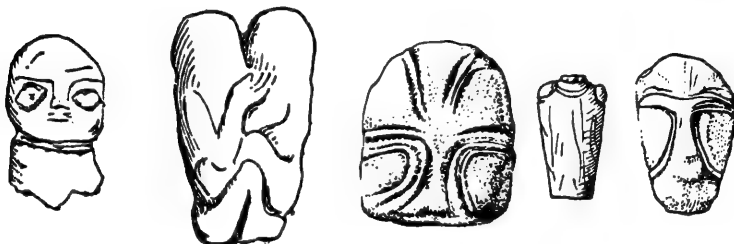
متولوجيا الميزوليت

أظهر الانسان القديم في الأردن في هذه المرحلة تخصصاً أشد في صيد وأكل أنواع محددة ومختارة من الحيوانات وبدأت تظهر الى الوجود بعض الأدوات المتطورة التي كان يستعملها في حياته الاقتصادية . مثل أدوات الطحن والجرحس والمنجل وغير ذلك . واستطاع هذا الانسان ان يعثر على "أكواخ دائرية الشكل ، بسيطة في بنائها ، تعود لبداية المرحلة الانتقالية في موقع « عين تجوف » على الضفة الشرقية لبحيرة طبريا ، وقد اعتبر بعض الباحثين ان مثل هذه التجمعات البشرية في منطقة معينة ، ولجوء الناس فيها الى عدد من الأكواخ أو البيوت خلال فترة معينة من السنة تمثل بداية أولية للقرى ، وأطلقوا عليها اسم (قرى الصيادين) . ومع مرور الزمن ازداد عدد سكان هذه القرى وتحسن تنظيمهم الاجتماعي والاقتصادي خاصة في نهاية المرحلة الانتقالية . فقد قاموا بدفن موتاهم بعناية ومارسوا الفنون والمعتقدات الدينية" (٨) .

ويظهر في هذا العصر نوعان من الثقافة في الاردن ، الأولى هي الثقافة الكبارية والثانية هي الثقافة النطوفية . وقد اطلق اسم الأول نسبة لمغارة (كبارا) التي تقع على بعد حوالي ١٥ كم الى الجنوب من جبال فلسطين . وقد مثلته مواقع مناطق وادي الحمة بالقرب من غور الاردن ووادي الحسا والحسمى الشمالية ووادي المدمع والخزانة ووادي جيلات في الاردن وتمتاز الثقافة الكبارية بصناعة الأدوات الصوانية المدببة والمكاشط والمخازر والمستننات وتدجين الغزلان والخنازير والأرانب والثعالب والطيور .

أما الثقافة النطوفية فتعدت ذلك باتجاه بوادر الزراعة والقرى الأولى البدائية ، وقد سادت هذه الثقافة مناطق مثل البيضا (قرب البتراء) وتليلات الفسول . وقد شكلت ثقافة الفسوليين النطوفية بؤرة هامة اجتمعت حولها مؤثرات ميزوليتية ونيوليتية ونحاسية لاحقة ، واستطاعت أن ترث الثقافة النطوفية مباشرة مع الثقافة البرموكية التي قامت قرب نهر البرموك "وفي الحقيقة فإن انتشار معالم مايعرف اليوم بالحضارة الفسولية « نسبة الى تليلات الفسول » كانت في منطقة شمال البحر الميت وشمال النقب وساحل البحر المتوسط" (٩) .

لقد تميزت الديانة النطوفية بالاهتمام بالحيوان وخاصة الغزال والأيل واليحمور والخنزير البري . وما زال الثور غير ظاهر في قائمة الحيوانات التي أصبحت مقدسة بعد ذلك . وظهر فيها أيضاً تدجين الكلب . وسنرى أن النطوفيين أبدوا اهتماماً بنحت التماثيل الحيوانية (الغزال ، الكلب) والتماثيل الإنسانية كالتمثال الغرامي في موقع عين صخري والذي يمثل عملية جماع لشخصين جالسين صدرأ بصدر ، وأشكال إنسانية أخرى .



شكل (٩) : تماثيل نطوفية (٣,٢٠١) من عين الملاحية (اشكال شبيهة بشعرية) .
(٤) من عين صخري (المائثقان) . (٥) من مغارة الواد (شكل بشري)

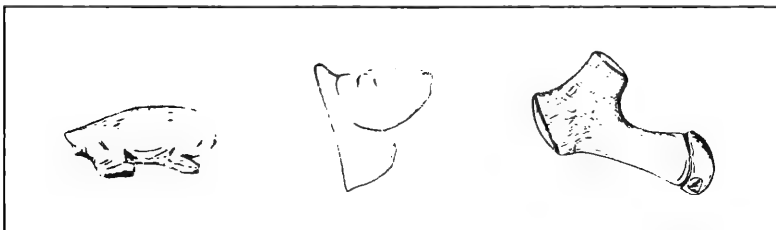
ويبدو أن مثولوجيا الميزوليت تركزت في ثلاثة اتجاهات هي :

١. جعل القوة العليا (القدسية) او (السحرية) ممثلة في الحيوان وخصوصاً الأيل والحصان .

٢. الصورة الهولوية الأولى للجنس واعتباره طاقة مخصبة (تمثال عين صخري) .

٣. الأنصاب .

وقد رأينا اهتمام الانسان الميزوليتي في الأردن بالحيوان كاستمرار لاهتمام الإنسان الباليوليتي . ويبدو الكلب والأيل هما الحيوانين الرئيسيين .

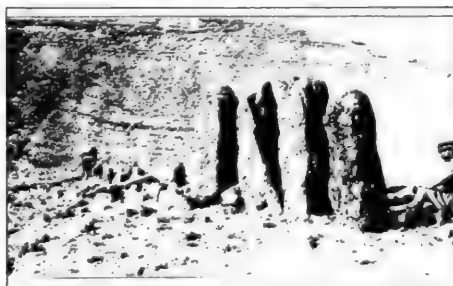
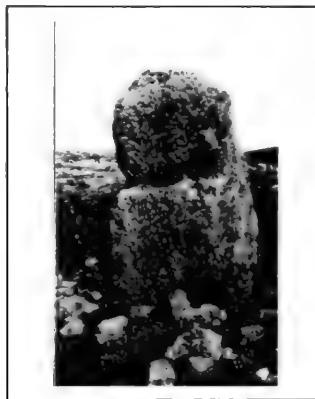


شكل (١٠) تماثيل نطوفية حيوانية (٢٠١) من ناحال اورون (رأس كلب) (٢) من ناحية ام الزويتية (جسد حيوان ربما كلب أو أيل)

ويرى بعض الباحثين "أن هذه الشعوب كانت تميل بشكل مقصود ليس فقط لتمثيل الآلهة ، قبل كل شيء ، على شكل حيوان . وهذا ما تؤكده الاكتشافات من عصور ما قبل التاريخ ، وإنما إلى تشخيص هذا الإله ، تحت صورة (سيد الحيوانات) وحامي الطرائد وسيد الحياة عموماً" (١١) . ولقد قامت الحضارة النطوفية على نزعة روحية وفنية مبكرة وحفلت منحوتاتها ونقوشها وأدواتها الأولية بالكثير من مظاهر هذه النزعة ، ويظهر ذلك جلياً في الكثير من لقى المواقع النطوفية في الشام مثل عينان ووادي فلاح ، وفي الأردن بشكل خاص مثل "رأس الحيوان المنقوش على المنجل من الكباراء والرؤوس البشرية المكتشفة في عينان أو رأس الغزال المأخوذ من مقبرة في وادي فلاح فإنها تظهر تنظيمًا محددًا لفن الرسم للإنسان والحيوان أكثر حيوية وزهواً . كما ولا ينبغي أن ننسى المجموعة الجنسية المأخوذة من (عين صخري) والموجودة حالياً في المتحف البريطاني" (١٢) .

أما المظهر الثالث من المثلولوجيا النطوفية فهو عبادة الأنصاب ، فرغم أن الكثير من الباحثين يرى أن هذه العبادة ظهرت في العصر الحجري الحديث (النيوليت) (١٣) وبعضهم يؤكد أنها من عبادات العصر الحجري النحاسي ، لكننا نرى أن الأنصاب (Dolmens) والمنهير (Menhir) والأحواض الحجرية الضخمة . وأجمالاً نقول أن هذه المظاهر تشكل ما تعارف عليه دارسو الأديان القديمة بالديانة الميغاليتية (Megalithic) أي «الأحجار القديمة» ويرى مرسيا إلياد في كتابه (تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية) إن الديانة الميغاليتية ظهرت في مناطق متفرقة من أوروبا في الألف الثالث ق م . ويرجح أن يكون مصدرها آسيوياً ، ونرى أن الأردن وفلسطين هما أهم الأماكن الآسيوية التي ظهرت فيها هذا الديانة مبكرة في نهاية العصر الحجري القديم وبداية الوسيط ثم انتشرت إلى أوروبا بعد ذلك ، فقد "وجدت في مرتفعات فلسطين وشرق الأردن مدافن ضخمة سميت دولمين (Dolmen) وصخور كبيرة قائمة تصل أحياناً إلى ما يقرب ١٥ قدماً تسمى منهير (Menhir) يصعب جداً إعطاؤها تاريخاً معيناً وربما تكون من عمل رجال أواخر العصر الحجري القديم ، ونظراً لضخامتها فقد سرى الاعتقاد بأنها قد بنيت من قبل عمالقة من البشر ، وهذا أمرٌ نجد صداه في العهد القديم وترفضه الأدلة الحديثة" (١٤) . إن الأنصاب والمنهير والدوائر الحجرية تدل على طريقة معينة في دفن الموتى ويتبع ذلك نظام من المعتقدات الدينية والمثلولوجية

التي كانت غالباً ما تقرن بالتضحية والقربابين الحيوانية . ورغم أن الديانة الميغاليثية لم تحظ بدراسات واسعة الا انها تؤشر واحدة من أهم عقائد الانسان القديم حول الموت وما بعده ، فهي أول تداول ميثافيزيقي جسد عقائد الانسان في هياكل العراء والقبور الضخمة قبل ظهور المعابد ، وستشكل هذه الأنصاب الجذر الذي تميزت به لاحقاً الديانة الكنعانية واهتمامها بالمرتفعات وهياكل العراء ، والأحجار المنتشرة على الطرق الكبيرة . "ولقد وجدت حقولاً من هذه الأنصاب في جهات كثيرة من شمالي الأردن وخاصة في وادي الأردن عند أسفل التلال الى الشرق من تليلات الغسول ، وفي الأراضي الوعرة تقريباً من حسان وشرقي جرش وحوالي اربد ، ومن المرجح ان الدوائر الحجرية الكثيرة التي توجد هنا وهناك تعود أيضاً الى هذا العصر وان لها علاقة وثيقة بالأنصاب" (١٥)



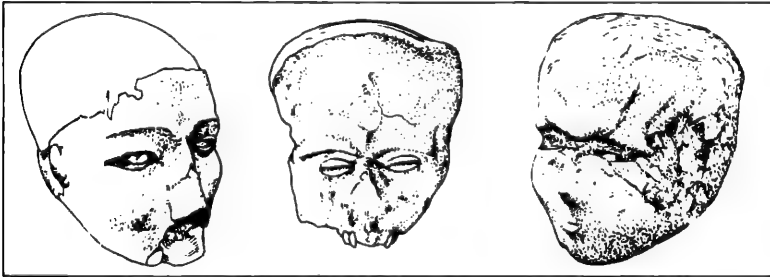
شكل (١١) : أنصاب ومانهير مختلفة وجدت في الاردن وفلسطين

متولوجيا النيوليت

يبدو أن العصر الحجري الحديث قدم مبكراً إلى وادي الأردن بسبب الاستيطان الزراعي ونشوء القرى مما أعطى إمكانية لنشوء ثقافة زراعية مختلفة عن ثقافة الصيد والكهوف تلك التي سادت في العصر الحجري القديم . وتشكل مناطق الهضاب (البيضا في الجنوب وأبو صوانه قرب جرش في الشمال ووادي الأردن) أهم مناطق النيوليت المبكر .

١. المصلى العائلي

لقد ظهرت في عصر النيوليت مجموعة من العقائد الدينية المحملة بمتولوجيات مختلفة ، فهناك عقيدة التضحية بالحيوانات الصغيرة كملاقة بين الإنسان والقوة العليا التي أصبح الإله يمثلها فيما بعد . وهناك الشعائر الجنائزية التي تفصل الجماع من البشرية عن أجسادها في أثناء الدفن . ولقد كشفت في فترة مبكرة من النيولت في أريحا مجموعة من الجماع المنفصلة أو الهياكل العظمية الكاملة التي تدل على دفن جماعي أو فردي ذات طابع مقدس أو ديني . كذلك كشفت (كينيون) عن مصلى عائلي "وشبهت العمود الصغير بالنصب المسمى مسبوت (Masseboth) لدى الساميين" (١٦) .



شكل (١٢) : جماع منفصلة عن أجسادها في أريحا (نيوليت ما قبل الفخار) وهي تدل على ديانة (عبادة الجماع)

وبالإضافة إلى عقائد (التضحية بالحيوان) و (عبادة الجماع) و (ظهور المصلى كمكان للعبادة) فإننا نرى عقيدة (التضحية بالإنسان) وقد كانت واضحة من خلال الأطفال . ولاشك أن فكرة الأضاحي قضية مثيرة ظهرت "مع بدايات التدجين وذلك على الرغم من أن التفسير الأيدولوجي الدقيق للأضاحي في الحيام غير واضح ومن المؤكد أن هذه العقيدة استمرت في العصور التاريخية اللاحقة مباشرة" (١٧) .



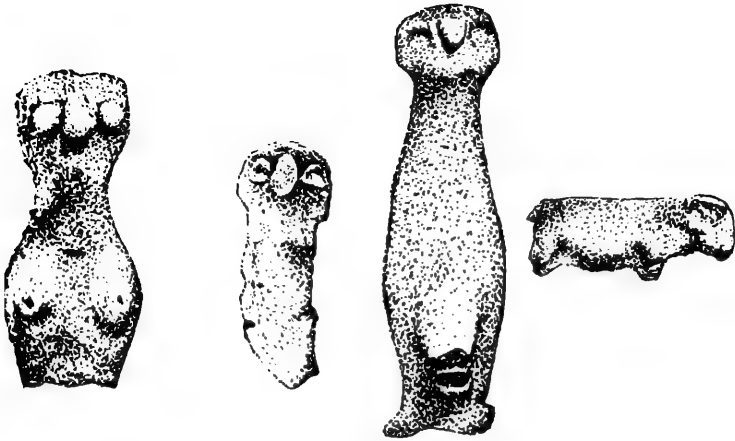
شكل (١٣) : المصلى العائلي في اريحا ويظهر المسبوت في احد جدرانه



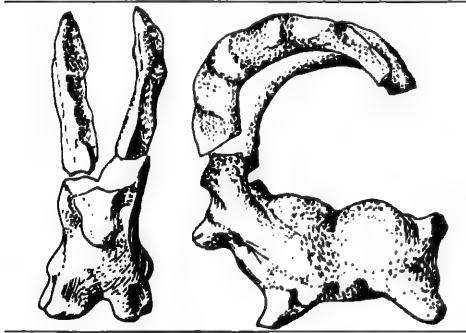
شكل (١٤) : (١) شكل تخطيطي للمصلى العائلي ، (٢) مزار في اريحا اكثر تطوراً من المصلى العائلي

٢- من الالهة الأم الى الالهة الرهيبة

أما النمط الرابع من العقائد الدينية فقد كشفت عن منطقة (المنحلة) في الضفة الغربية من خلال تماثيل حيوانية ذات قرون طويلة وتماثيل بشرية مضخمة لعيون والأنوف وجرى التركيز على أعضائها الجنسية الذكورية أو الانثوية . وكذلك تزودنا منطقة البيضا بما يعزز هذا النمط من العقائد الدينية .



شكل (١٥) المنحطة : تماثيل شبيهة بالإنسان رقم (١، ٢، ٣) تماثيل شبيهة بالحيوان رقم (٤) من عصر النيوليت ما قبل الفضة

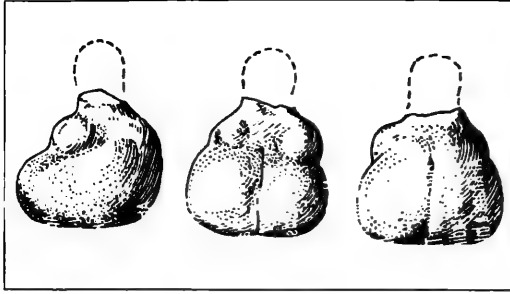


شكل (١٦) : البسيم

عنزة برية من الطين المشوي

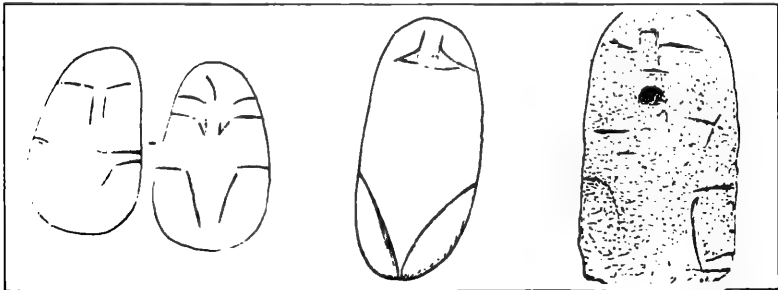
النيوليت ما قبل الفخار

وبذلك بدأنا نتجه نحو العقيدة الخامسة في النيوليت وهي عبادة (الالهة الأم) . فقد زودتنا وثائق موقع البيضا الأردنية بحقائق أكبر حول نشاط تقني أعلى وتخصص زراعي أشد وفيها يظهر لأول مرة تمثال لإلهة عارية بدينة جالسة ذات نهود بارزة دون أذرع ورأسها مكسور .



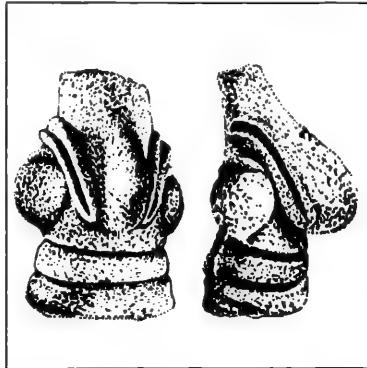
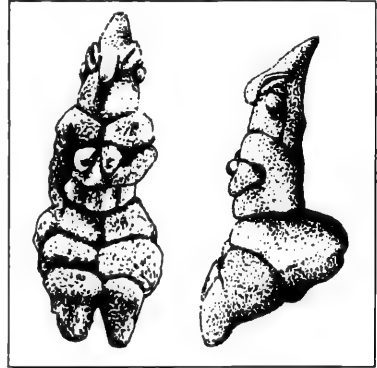
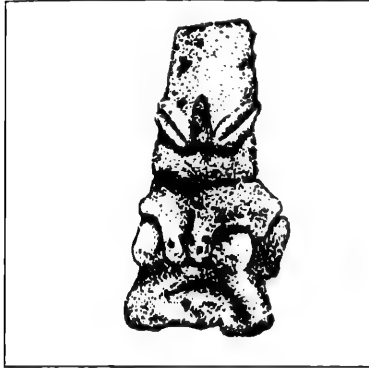
شكل (١٧) : البِيضَا
أو الدمى العشتارية التي تذكر
بـ(الالهة الأم)
نيوليت ما قبل الفخار

ويبدو ان نهاية النيوليت شهدت تطوراً سريعاً باتجاه ظهور (الالهة الام) في عموم الشام فقد بدأت هذه الآلهة بأخذ صفات مضاعفة وجديدة وأطلق عليها اسم (الأم الرهيبة) (Mere terrible) في فلسطين والأردن . فقد تطور تجسيد القوى الجنسية والروحية والشيطانية في التماثيل الأنثوية وظهرت لنا تماثيل لا يمكن إلا أن تدل على (إلهة) ذات قوى بطش وسحر فقد "أبرزت البطن والتهود بخاصة ، وكانت الأذرع مثنية وترفع التهود أحيانا وقد عومل الوجه بشكل مقصود ليظهر مربعاً بأنفه الضخم وآذانه التي على شكل كرات دائرية ملصقة من الجهتين وعيونه التي لمسنا الظهور الأول لها في تل الرماد وجيل"^(١٨) . لقد تطورت الأم الرهيبة من شكلها البدائي الانثوي البسيط في البضا الى شكلها المركب المزدوج الانوثة والذكورة في المنحلة وشار هاغولان والتي سماها البعض فينوس القضيب (Venus-Phallus) التي تظهر رغبة الانسان لتصوير الانسان بجنسيه الذكري والانثوي ، ثم ظهرت النماذج المركبة للام الرهيبة في المنحلة وشارها غولان .



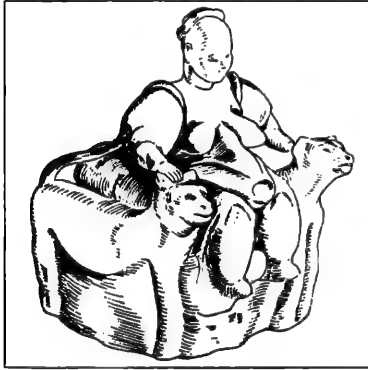
الشكل (١٨) : تماثيل على حصى من المنحلة وشارهاغولان تمثل الانثى - الذكر والتي نجدها متطورة أكثر في الشكل (١٩)

لقد سادت وبشكل كبير في الاردن في النيوليت المتأخر عبادة الالهة الام والاهة
 الرهبة تحديدًا والتي كانت تجمع في صفاتها ثلاث قوى ١) الانوثة ٢) الذكورة ٣) الحيوان .
 وكان هذا المزج بمثابة مشولوجيا النيوليت في افصح تجلياته الاله الانثى والاله الذكر والاله
 الحيوان اجتمعوا في (الالهة الرهبة) التي هي حدٌ قدسي مصنوع من الحجر أو الطين كان
 بمثابة البرزخ بين عالمين دنيوي وميتافيزيقي .



شكل (١٩) : تماثيل (الأم الرهبة) من (المنحطة) والتي تجمع فيها قوة الذكر والانثى والحيوان

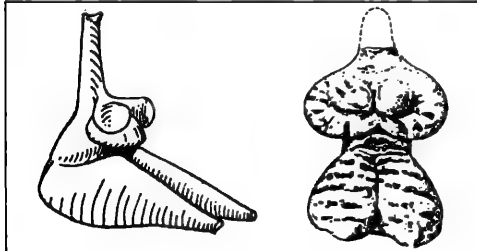
ويكاد مشهد (الالهة الأم) يتشذب ويكتمل في منطقة (شتال حيوك) الأناضولية حيث تظهر هذه الالهة بطريقة كهنوتية قائدة تخضع لها الحيوانات ويدل شكلها الضخم على قوى جسدية واضحة واصبح ما يقابل هذه الالهة الأم في الاردن ما وجد في (المنحطة) التي "لاتترافق الآلهة مع الحيوانات ، وقد لاحظنا الانطباع (الشياطيني) الناتج ليس فقط عن المبالغة في التصوير وإنما عن التشويه الاصطلاحي للصفة الشترحية للمرأة ، ومن جهة اخرى ، وكما في شتال حيوك ورأس الشمرة ، فقد مثلت الآلهة الأم هنا جالسة ونحن نعلم أن فينوس (الاورينياسيه) كانت بدينة ، ولكن عادة اظهار المرأة جالسة على جزء من مقعدها لم تظهر قبل عصر النيوليت ما قبل الفخار الذي اعطى نماذجها الاولى" (١٩) .



شكل (٢٠) : الالهة الأم في اقصى تطورها :
في شتال حيوك وهي في وضع ولادة ترافقها الحيوانات

ان ظهور الدمى العشترية الجالسة في النيوليت وهي ذات شكل هرمي يفارق كثيرا الدمى العشترية ذات الشكل المغزلي التي كانت قد ظهرت في اوربا في الباليوليت . وهذا تطور يعكس الوظيفة التي من أجلها اصبح هذا التحول في الشكل (من المغزلي الى الهرمي) حيث كانت "الدمية المغزلية المستدقة الطرفين للعصر الباليوليتي ، تغرس في الارض في سياق طقوس قد تكون ذات علاقة بالخصب ، أما الدمية المخروطية المستقرة على عجزيتها ، فيبدو أنها كانت معدة لأن توضع فوق المحاريب

أو المذابح في المقامات المكرسة للطقوس الدينية لأن معظم هذه الدمى النيوليتية قد وجدت قرب هذه المقامات" (٢٠) .



شكل (٢١) : الالهة الأم الباليوليتية (المعزلية الشكل)
والإلهة الأم النيوليتية (الهرمية الشكل)

٢. عبادة الجماجم

ومع الانتشار الطاعي للزراعة وتكون المجتمعات الزراعية النيلوليتية تبدأ عبادات (الحيوان) و (الأجداد) و (الجماجم) و (الأرواح) بالانحسار تدريجياً لتتصهر أو تجتمع في بؤرة الإلهة الأم الزراعية المخصصة في صورة سحرية ميثوية ، وينحدر مع تلك الصورة الدينية الأولى (مشودولوجيات دينية) ظهرت من خلال الفتيشيه والأرواحية والطوطمية .. وهي عقائد سحرية . وبهذا الاجتماع بين السحر والإلهة الأم تصبح هناك امكانية لظهور (الأسطورة) بشكلها المتماusk .

إن المثلولوجيا التي يقدمها لنا النيلوليت تظهر مبعثرة ومشظاة بل وممزقة فيما أتى من الباليوليت السحيق وما جرفته عقائد خيالية حول الحيوان والجماجم والأجداد . وما زال هناك شوط طويل لنضج عقلي يخص الإلهة الأم لتظهر المثلولوجيا بصورتها المتماسكة وليكون الحديث عن خلق كوني أو خلق طبيعي واضحاً وأساسياً . وحتى صورة خلق الإنسان من الأرض كالحشيش ما زالت بعيدة عن العقل النيلوليتي المقيد بالأصول والمربوط بظلال الأحجار وأدوات القتل والصيد .

لقد تطورت الثقافة النطوفية في النيلوليت وتخصصت وكادت تنشط الى ألوان وثقافات فرعية ، فبالإضافة الى الاهتمام بالغزال والأيل الأسمر ، ظهر الثور باعتباره قوة روحية وجسدية مخصصة "إن رأس الثور هنا قد صار مركزاً لإجماع روحي واختيار ايدولوجي يتخطى شكله الطبيعي ، ليغدو رمزاً للقوة السارية في الطبيعة ، كما ان هذا الاختيار الايديولوجي لم يكن مدفوعاً بضغط من الوسط الطبيعي قدر ما كان مدفوعاً بضغط فكري من نوع خاص"^(١١) . وهكذا تحسر عبادة الحيوان العفوية التلقائية لصالح مثلولوجيا الحيوان ذات الطابع الفكري والروحي والمقرر سلفاً .

كذلك توحى لنا الجماجم النيلوليتية في أريحا المعادة التشكيل كإنها "صورة شخصية بورتريه للسلف المبجل ، واستخدم في عملية التشكيل عجينة من كلس وطين وملئت محاجر العيون بأصدف تعطي شكل البؤبؤ ، ثم طلي الوجه بلون يماثل لون البشرة الانسانية ، وتمّ حشو الجمجمة من الداخل بالطين المدكوك لأجل تقويمها"^(١٢) .



شكل (٢٢) : جمجمة نيولينية من أريحا ، في العيون
أصداف وعلى الوجه طلاء ، وهي محشوة
من الداخل بالطين .

وهناك رأيان أو أكثر في ظهور جماجم
من هذا النوع يرى (كوثان) بانها تحمل
دليلاً على ما يمكن تسميته لعبادة الجماجم
التي تجعل من الرأس مقراً للروح أو وعاء
للقوة المقدسة ويمكننا أيضاً حسب (كينيون)
الاستنتاج بأن هذه الجماجم لم تجمع من
"الأعداء الموتى بل انها حفظت كأوعية لقوة
مقدسة غير محدودة وعلى الأرجح فان
اجلال ارواح الأفراد الموتى كان الدافع
لتوسطهم بهذا الشكل" (٢٣) .

ويرى فراس السواح أمراً مختلفاً فيها فهو يعتقد ان ظهور التشخيص في مثل هذا
الجماجم ومحاولة الانسان بتشكيل ملامح وجه انساني هو بدء ظهور فكرة الاله حيث
"دخل الفكر الديني مرحلة التشخيص ، تشخيص القوة غير المشخصة (سواء عن طريق
تشكيل الجماجم أو تشكيل الحجر والصلصال فيما بعد) . وأخذ الانسان ينظر الى القوة من
خلال تمثيلات مشخصة وشيئاً فشيئاً تحولت القوة الى شخصيات ذات قوة ، وتكسر مبدأ
القوة السارية الى عدد من القوى ، وظهرت الآلهة" (٢٤) .

٤ . التماثيل الجصية

وجدت التماثيل الجصية (Plaster Statues) في ثلاثة مخايب ، معدة للدفن في منطقة
(عين غزال) وهي تظهر مجموعة من البشر تشكلوا في مادة جصية بهياكل قصبية ويتراوح
طولها بين (٤٠ - ٨٠) سم . وقد تجمعت بطريقة ثلاثية ويرجع تأريخها الى النيوليت قبل
الفخاري (٧٥٠٠ - ٥٥٠٠ ق م) . وتعكس هذه التماثيل الجصية تمثيلات مشخصة ، وتكاد
هذه النصب او التماثيل الجصية تشكل أول الأوثان (حيث الوثن هو جثة كاملة معمولة على
صورة الانسان) التي عبدت بعد الانصاب الميزوليتية (التي هي احجاراً بلاصورة بشرية او
حيوانية يطاف حولها) .

وهذا يدل على تحول من الانصباب الى الأوثان ، والذي يعكس تطورا في العقائد الدينية والروحية .



شكل (٢٣) : تمثال من عين غزال

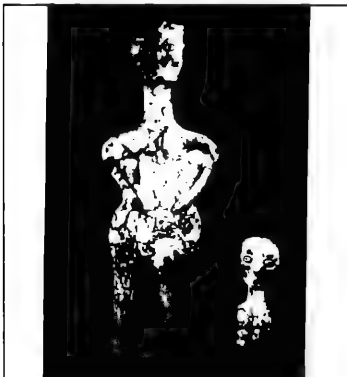
هـ . زينة ويوريا

عثر على التمثال المعروف باسم يوريا (Uriah) في عام ١٩٨٣ في

(عين غزال) مع مجموعة أخرى في مخايب، معدة للدفن منصوبة على قاعدة من القصب أو الأسل . وقد تميزت برقبة طويلة وبما يدل على وجود شعر على الرأس وعينين يؤشرهما بؤبؤ أسود ، وأيدي تتقاطع على الصدر مع كتف عريض وكأنها تبدو في حالة صلاة .

أما رفيقتها (زينة Zeina) فأكبر حجما ويقف على ساقين ، وعلى وجهه ورقبته منزلقات بيضاء ولون برتقالي . وضع بالأصابع عموديا على رجله اليسرى . وقياساً ليوريا فان الأذرع تبدو قصيرة ونحيلة^(٢٥) .

ويبدو هذان التمثالان مؤشرين على منعطف فني كبير في وادي الأردن فهما أول تمثالين صنمين .. ولا يعرف ما إذا كانا يعبدان أم لا .. رغم ان وقت ظهور آلهة مشخصة ما زال



غير قريب ، ولكننا يمكن ان نطلق عليهما تسمية (آدم وحواء الأردن) لما ينطوي عليهما شكلهما ووضعهما من ايهاء بحالة آدم حواء .

شكل (٢٤) : من عين غزال

(آدم وحواء الأردن)

زينة ويوريا : تمثالان من

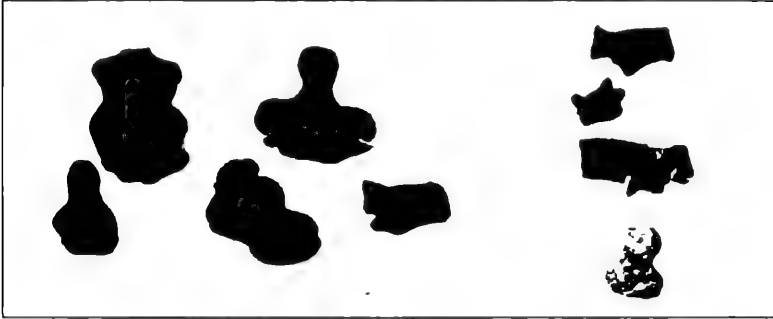
عصر النيوليت قبل الفخاري

٥٥٠٠-٧٥٠٠ ق م .

٦. تماثيل التراكوتا

تعتبر التراكوتا (Terracotta) أي الطين الناضج الموجود في (عين غزال) من مظاهر الباليوليت قبل الفخاري . وتنقسم هذه التماثيل الى إنسانية وحيوانية ، وهي تماثيل صغيرة ، الأنثوية منها تمثل الإلهة الأم وهي بأعضاء أنثوية كبيرة وخصيبة مثل مناطق الحوض والصدر ويظهر عضوها التناسلي كشق عرضي كبير . وهناك تماثيل لشخص منطرح على الأرض وقد وضع يده تحت رأسه بطريقة تدعونا لأن نسميه بـ(المفكر) . وهناك تماثيل ذكري يبدو وكأنه إله .

أما التماثيل الحيوانية فيمكن تمييز العنز والغزال والخروف والكلب . وتعتبر مجموعة هذه التماثيل الطينية عن اهتمام بتشخيص الحيوان او الانسان وتحديد صورته في تماثيل .

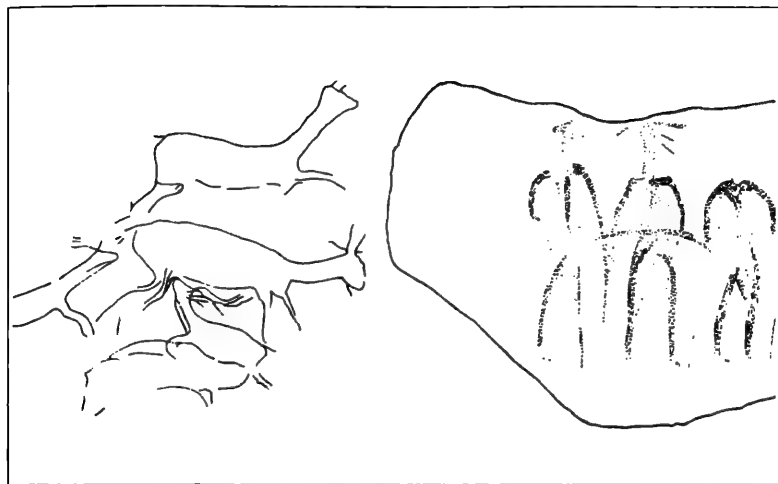


شكل (٢٥) تماثيل التراكوتا ، المجموعة الانسانية تمثل الاله ، الالهة الأم ، المفكر ، تماثيل نسائي ، دمية بشرية المجموعة الحيوانية تمثل مجموعة حيوانات مختلفة

٧. رسومات الصيادين

عثر في (ذويلة) على رسومات تعود الى النيوليت ما قبل الفخاري (ب) علي صخور بازلتية في الصحراء الغربية حوالي (٧٥٠٠ - ٥٥٠٠) ق م ، والرسومات عبارة عن لوحتين ؛ الأولى تمثل مجموعة من الصيادين وقد وقفوا على شكل صف من الرجال يبدوون وكأنهم يسكون بأيدي بعضهم ، أو ان هناك ما يشير الى سلاح في أيديهم .

أما اللوحة الثانية فتشير الى مجموعة من الحيوانات صاحبة القرون ولعلها الغزلان أو الأيل ، وتشير اللوحتان الى استمرار تقاليد الصيد التي كانت سائدة في الميزوليت .



شكل (٢٦) : لوحتان على صخور بازلتية. الأولى : مجموعة الصيادين
الثانية : الحيوانات المصطادة من ذبيلة - الصحراء الغربية

٨. الثقافة اليرموكية



شكل (٢٧) : رأس لتمثال
يرموكي من الغضار منطقة
اليرموك

إذا كنا قد حددنا نمطين من الثقافة في الميزوليث الأردني هما (الكبارية والنطوفية) فإننا نستطيع أن نستطيع أن نحدد نمطين من الثقافة في النيوليث الأردني هما (اليرموكية والغسولية) .

والثقافة اليرموكية فرعٌ من المرحلة الأخيرة من عصر جيبيل الحجري الجديد الأوسط في وادي الأردن التي حملت لنا نمطاً متقدماً من الصناعة الفخارية . ويظهر لنا رأس تمثال يرموكي

مصنوع من الغضار قفزة متقدمة في تمثيل المعتقدات الدينية "إضافة الى التماثيل الصغيرة المصنوعة من الحصى والتي تتميز باللامح المنقوشة على غرار تماثيل جبيل في العصر الحجري الحديث . لقد ظهرت هذه التماثيل مع تماثيل أخرى من الغضار المشوي والتي تتميز أيضاً بوجود العيون الجاحظة والأنوف والشفاه البارزة"^(١٦) . ومعروف أن الثقافة اليرموكية تقابل ثقافة حلف والعبيد في العراق القديم اللتان مهدتا لظهور المدنية والدخول في العصور التاريخية "لقد استطاعت الحضارات المحلية في فلسطين وسوريا أن تحافظ على استمرارها لكن أثر هذه الحضارات في حضارة الشرق الأدنى ليس واضحاً تماماً"^(١٧) .

إننا لانستطيع أن نفترض وجود تقدم حضاري نوعي في الثقافتين اليرموكية والغسولية يوازي ما جاء به عصر العبيد مثلاً حيث ظهرت وعلى نحو مذهل المعابد العبيدية التي تدل على تصورات دينية جديدة . ولكننا نقول أن الحضارتين اليرموكية والغسولية قدمتا عوناً محلياً خاصاً استطعنا تلمس مستوياته الروحية والفنية في اللقى والتماثيل والنقوش .

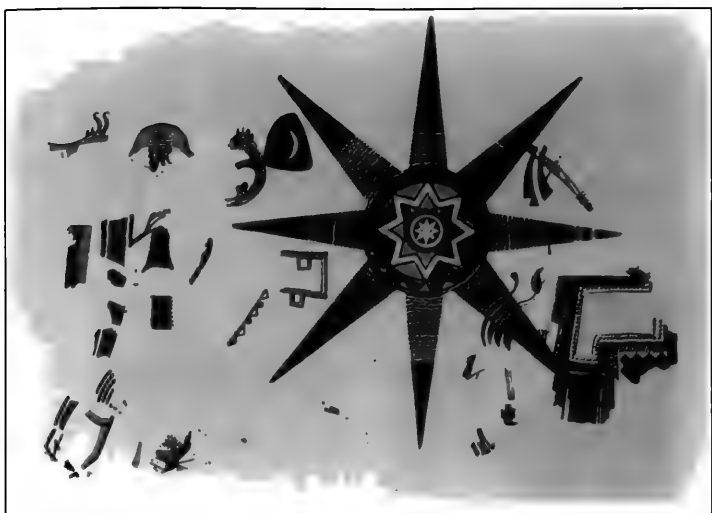
٩. الثقافة الغسولية

تشكل الثقافة الغسولية الحلقة الأخيرة من النيوليت والحلقة الأولى من ثقافة العصر النحاسي . ويبدو أن الغسوليين هم بقايا فلاحي النيوليت الذين أصبحت معرفتهم أكثر رقباً من غيرهم في العصر الحجري النحاسي .

وقد عثر من مجموع سبعة رسوم جدارية اكتشفت في تليلات الغسول (Tulailat El-Ghassul) الثلاثة الأولى وجدت بين ١٩٢٩ - ١٩٣٢ واشتملت على نجمة الغسول (Star of Ghassul) ونقشان آخران ، الأول هو النقش الهندسي (Geometric) والثاني هو نقش النمر (Tiger) . وهناك أيضاً القطعة المتعرجة (Zig Zag fragment) والرسم الجداري المسمى بـ(الموكب Procession)^(١٨) . وستناول أهم رسمين جداريين وهما نجمة الغسول والموكب .

نجمة الغسول

تمثل نجمة الغسول واحدة من أندر وأجمل اللوحات الجدارية في الشرق الأدنى بأكمله والتي تعبر عن أواخر عصر النيوليت الذي نضجت فيه الأفكار الروحية والدينية لتمهد لعصر مركب جديد .




شكل (٢٨) : نجمة الفسول المرسومة على جدار في حدود الألف الخامس ق م
وهي نجمة ثمانية وبدخلها نجمة ثمانية تضم نجمة ثمانية ثالثة ، وترمز النجمة الثمانية لفكرة الاله

وربما ظهرت فكرة الاله ، الذي أريد تشخيصه بالالهة الام ثم بالتماثيل البشرية ، رمزياً في مرحلة لاحقة . وقد تكون الطبيعة موثلاً لهذا الرمز ، فالشمس والقمر والنجوم تعطي للإنسان إمكانات هائلة في تشخيص القوة المقدسة أو السارية وترميزها . وتعكس لوحة نجمة الفسول (في حدود الألف الخامس ق م) اهتماماً مبكراً عند الفسوليين بالنجمة الثمانية الأشعة أو بالشمس ذات الأشعة الثمانية ، نجمة الفسول هي ثلاث نجمات ثمانية واحدة بداخل الأخرى .. وكأن هذا الرقم يعكسُ عدداً لانهاثياً من النجمات .. ولكنه رغم ذلك يمكن أن يتمثل بنجمة واحدة كبرى . ولنتأمل في جدل التعدد والتوحد هذا ، المعبر عنه برمز سماوي هو النجمة .. فقد يدل هذا على تشوق انسان النيوليت للمطلق واحد يظهر في عدة مظاهر أو انه يعكس اهتماماً مبكراً بالكواكب وربما بعبادتها ، وهذا بحد ذاته أمر في غاية الأهمية .. فربما دلت هذه النجمة على سومر في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد له علاقة كبيرة بهذه النجمة الثمانية فالرمز المسماري دنكر (Dinger) كما هو

معروف يدل على الإله ويرسم بأشعة ثمانية . ومعروف أيضاً أن النجمة



الثمانية ارتبطت دائماً بالإلهة عشتار وخصوصاً في شكلها ذي المربعين المتقاطعين  الذي تشير إليه بوضوح نجمة الفسول . فهل كانت نجمة الفسول هذه تشير إلى (الزهرة) ، الكوكب الذي دلّ على الإلهة عشتار ورمزها وبالتالي تكون نجمة الفسول حلقة وصل بين عشتار الالهة الأم المجسدة بتمثال خصي وبين شكلها الرمزي الكواكبي ... ربما ؟ إن نجمة الفسول تخبرنا بأكثر من شيء ففيها نجد البواكير الأولى لمحاولات الترميز عند الانسان لينتقل بعد ذلك الى مراحل تجريدية أكبر فتتخلق في أعماقه فكره (الاله) وفكرة (الكتابة) .

جدارية الموكب

تنتمي جدارية الموكب للثقافة الفسولية في العصر النحاسي الحجري . وتمثل موكباً مكوناً من ثلاثة أشخاص مقنعين يسكون بأدوات غامضة ربما كانت أسلحة وقد يكون هذا المشهد مشابهاً لمشهد الصيادين في الصحراء الغربية ، وهناك شبه بين رؤوس وأطراف الأشخاص في كلتا اللوحتين .

لكن الأفتعة في لوحة الموكب أشد وضوحاً ، وهي تشير الى حالة طقسية سحرية يقصد منها العبادة والتأثير في المشاهد .



ولاشك أن لهذه الجدارية أكثر من معنى فهي أما تقدمه ، أو تضحيه ، أو كهنة يتقدمون لأداء الشعائر ، أو صيادون بأسلحة .

شكل (٢٩) ، جدارية الموكب في تليبات الفسول من العصر النحاسي الحجري وهي تدل على مظهر طقسي

يمكننا في نهاية بحثنا في مثولوجيا النيوليت وضع مجموعة من المحاور التي دارت حولها هذه المثولوجيا . والتي تشكلت من مجموعة من مظاهر العبادة وهي كما يلي :

- **مثولوجيا الحيوان** : وتتجلى في طقوس التضحية الحيوانية وعبادة الحيوان وظهور رأس الثور كقوة قدسية . وظهور التراكوتا الحيوانية لبعض الحيوانات ورسوم الصيادين على الصخور .

- **مثولوجيا الانسان** : وتتجلى في طقوس التضحية البشرية وخاصة الأطفال ، وعبادة الجماجم . وظهور التراكوتا البشرية . ورسوم الصيادين التي تصور مجموعات صيادة . وظهور تمثالي زينة ويوريا (آدم وحواء الأردن) والتماثيل الجصية البشرية (الأوثان) .

- **مثولوجيا الهياكل والأنصاب** : استمرت عبادة الهياكل والأنصاب في العراء وشكلت هياكل العراء واحدة من مظاهر العبادة . واستدرج بعضها الى داخل المنازل . وتشكل المصلى العائلي الذي يحوي على نصب (المسبوت) الصغير في أحد جدران المصلى .

- **مثولوجيا الآلهة** : ظهرت الآلهة مجسدة في تشخيصات نحتية من خلال الآلهة الأم البسيطة ذات الأعضاء التناسلية الكبيرة . ثم تركبت فظهرت الآلهة الأم الرهيبة التي تحتوي على قوى حيوانية وذكورية وأنثوية معا .

- **مثولوجيا الكواكب** : شكلت نجمة الغسول الثمانية مظهراً راقياً لتمثيل الاله رمزيا من خلال مظاهر طبيعية علوية أو سماوية هي النجمة . وقد تكون هذه النجمة هي الزهرة . وبذلك ارتفعت الأم الرهيبة الى شكل سماوي مشع ومسيطر على الطبيعة بأشعته الثمانية المتكررة التي قد لاتنتهي واصبح هذا المرتسم رمزا للاله في الكتابة لاحقا .

هوامش الفصل الثاني

1 Bienkowski, piotr "The Art of Jordan". Alan Sutton Publishing Ltd. 1991, P. (xiii).

٢. كفاي ، زيدان . "الأردن في العصور الحجرية" . ص ٩٧ .

٣. السواح . فراس : "دين الانسان" منشورات دار علاء الدين . ط ١ ، دمشق ١٩٩٤ .
ص ١٢٤ .

٤. المرجع السابق

٥. المرجع السابق ص ١٣٠ .

٦. المرجع السابق ص ١٢٧ .

٧. المرجع السابق ص ١٦٠ .

٨. محيسن ، سلطان : "بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ - الصيادون الأوائل" .
الأبجدية للنشر - مطابع الف باء الأديب . دمشق ١٩٨٩ ص ١٠٩ .

٩. كفاي ، زيدان : "الأردن في العصور الحجرية" . ص ١٠١ ، ١٠٢ .

١٠. الأحمد ، سامي سعيد : "تاريخ فلسطين القديم" . مركز الدراسات الفلسطينية .

جامعة بغداد . سلسلة دراسات فلسطينية ١٥ .

بغداد ١٩٧٩ ص ٥٤ .

١١. كوفان ، جاك : "ديانات العصر الحجري في بلاد الشام" ترجمة د. سلطان محيسن .

دار دمشق للطباعة ط ١٩٨٨ ص ٣٥ .

١٢. ميلارت . جيمس : "أقدم الحضارات في الشرق الأدنى" ص ٨١ .

١٣. ومن هؤلاء الباحثين جورج ميللر لاندس . ارجع الى اطروحاته باللغة الانجليزية :

A History of the Ammonites (Study of the political life and material culture
of Biblilcal land of Ammon as an Autonomous State (Ca. 1300 - 580 B.C)

George Miller Landes , Batinore , Maryland , 1956

١٤. الدباغ ، تقي . الجادر ، وليد : "عصور ما قبل التاريخ" . وزارة التعليم العالي .
جمعة بغداد . بغداد ١٩٨٣ ص ١٦٧

١٥. الأحمد ، سامي سعيد : "تاريخ فلسطين القديم" مركز الدراسات الفلسطينية . جامعة
بغداد . سلسلة دراسات فلسطينية ١٥ بغداد ١٩٧٩ ص ٥٤

١٦. كوفان ، حال : "ديانات العصر الحجري في بلاد الشام" ترجمة د. سلطان محيسن
دار دمشق للطباعة ط ١٩٨٨ ص ٥٥ .

١٧. المرجع السابق ص ٤٨ .

١٨. المرجع السابق ص ١٠٥ .

١٩. المرجع السابق ص ٧٧ .

٢٠. السواح ، فراس : "دين الانسان" . منشورات دار علاء الدين ط ١ ، دمشق ١٩٩٤
ص ١٦٥ .

٢١. المرجع السابق ص ١٦٤ .

٢٢. المرجع السابق ص ٢١٤ .

٢٣. كوفان ، جام : "ديانات العصر الحجري في بلاد الشام" . ص ٧٥ .

٢٤. السواح ، فراس : "دين الانسان" . منشورات دار علاء الدين ط ١ ، دمشق ١٩٩٤
ص ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

٢٥ . انظر كتاب (فن الاردن) لـ Bien Kowski ص ٣١ , ٣٢ , ٣٣ .

٢٦ . ميلارت ، جيمس : "أقدم الحضارات في الشرق الأدنى" ص ٨١ .

٢٧ . المرجع السابق . ص ١٧٥ .

٢٨ . انظر انسكلوبيديا الأرض المقدسة . ص ٥١٠ .

The New Encyclopedia of archeolglcal excavations in the Holy land , Ephraim Stern , Ayelet

Lewinsn - gilbor , Joseph - Aviram

Vol.2 . The Isreal Exptoration sociaty

Carta, Jerusalem, 1993 , p. 510.

الفصل الثالث

المثولوجيا الكنعانية



الاله نعل وهو يحمل الصاعقة بيده اليمنى والرمح بيده اليسرى

مقدمة تاريخية

يشكل الكنعانيون فرعاً جنوبياً من شعوب سامية كبرى تعرف بـ (الأموريين) وقد نزح الكنعانيون واستقروا في مناطق الشام (سوريا ، فلسطين ، لبنان ، الأردن) قبيل مطلع الألف الثالث قبل الميلاد . ولم يتزحزح النظام الاجتماعي والسياسي للكنعانيين حتى مجيء هجرة سامية كبيرة هي الآرامية وهجرة أرية صغيرة هي الفلسطينية . وفي القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد ، وقد توزع الكنعانيون في جميع مناطق الشام لكن كثافتهم كانت في فلسطين حيث كانت تسمى أرض كنعان واطلق عليهم اسم (اليبوسيون) وفي لبنان اطلق عليهم اسم (الفينيقيون) وفي سوريا كان (الاوغاريتيون) وفي الأردن سكنت بعض القبائل الكنعانية مناطق تليلات الغسول والبيضا وأريحا وأماكن متفرقة أخرى .

وكانت أهم المدن الكنعانية المبكرة هي (أريحا وحازر واورشليم وشكيم) وهي مدن داخلية ثم نشأت المدن الساحلية مثل (اوغاريت وارواد وجبيل وصور وعسقلان وصيدا) . ولم تتكون دولة كنعانية واحدة بل تكونت دويلات مدن كنعانية ، ولم يكن الشعب الكنعاني شعباً محارباً بل كان شعباً محباً للسلام فنشطت فيه الديانات والثقافة والفنون والتجارة والصناعة . ولهم فضل تقديم صناعات الخزف والبرونز والزجاج والأنسجة الأرجوانية والمراكب الفينيقية العملاقة التي رافق ظهورها نشاط ملاحي وبحري جابها في بحر وشواطئ العالم القديم بأكمله .

قدم الفينيقيون الكتابة الأبجدية الى العالم والتي تعتمد الحروف بدل المقاطع الصوتية واستعملها الأغريق وقدموا اسم (اوربا) الذي هو (عوروبا) اسم ابنة ملك فينيقي ، وأسماء ليبيا ويبروت وقبرص وبريطانيا التي هي أسماء آلهة الحب الفينيقية بارات وهي ترحل في رحلتها العشوائية في موانئ البحار وجزره .

وما أن حلّ القرن السابع عشر قبل الميلاد حتى كانت معظم أراضي الشام تابعة لنفوذ ما بين النهرين الاكدية والبابلية . ومع مجيء الألف الأول قبل الميلاد ودخول الآراميين بلاد الشام اتجه النشاط الكنعاني لتأسيس مستعمرات خارج الشام منها قرطاجنة (٨١٤ ق م) التي تحدت سلطة روما البحرية وخاضت معها سلسلة من الحروب الطويلة حتى ظهر

(هاني بعل) الذي حارب روما على أرضها ، لكن روما دمرت قرطاجنة في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد . وهكذا دام ظهور الكنعانيين في التاريخ قرابة ثلاثة آلاف سنة قدموا فيها أعظم المنجزات للعالم القديم .

كان العصر البرونزي الوسيط زمن انتعاش كنعاني واضح انتهى بالرد على المصريين من خلال هجرة الهكسوس الذين خرجوا من أرض كنعان الى أرض مصر وحكموها ، لكن طرد الهكسوس وتعرض وادي الرافدين لغزوات كاشية وميتانية (من اصل حوري) جعل الحوريون يؤسسون مملكة حورية في بلاد الشام ويضفون من جديد على الكنعانيين الذي أبدوا مرونة في التعامل معهم حتى إذا ما نهضت مصر انكسر الحوريون وتبعت ارض الشام لمصر ، ثم جاءت الهجرات الآرامية الى بلاد الشام ومنها قبائل العبيرو وجاءت بعدها الهجرات الايجية الفلسطينية التي اصطدمت مع العبيرو وخاضت صراعاً طويلاً .

لقد كان النسيج الكنعاني ازاء هذه الغزوات يزداد ثراءً ثقافياً وروحياً ولكنه من ناحية اخرى كان يتمزق سياسياً حتى وجد الكنعانيون الفينيقيون مسرباً مهماً لهم خارج بلاد الشام عن طريق المستعمرات البحرية .

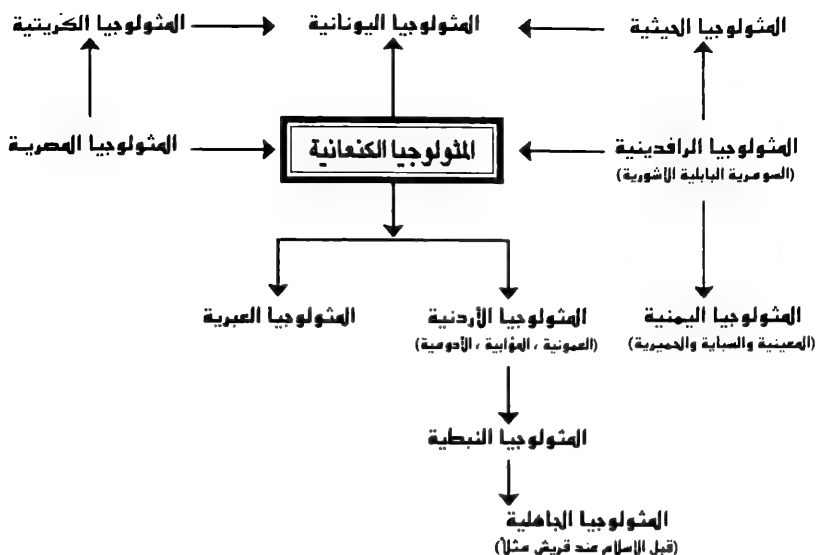
ومن الواضح ان حضور الكنعانيين في الاردن كان محدوداً فهناك من القبائل الكنعانية الاولى من سكنت الاردن ولكن ظهورها على مسرح التاريخ كان يقل تدريجياً كلما تقدم الزمن ، ونعتقد أن سبب ذلك يعود الى أن الكنعانيين في الأصل كانوا أقواماً سامية جزيرية قدمت من سواحل الخليج العربي قرب البحرين وقد انساقوا في هجراتهم الى بلاد الشام نحو سواحل البحر الأبيض المتوسط تحديداً وكان استيطانهم في مدن بحرية يزداد مع الزمن حتى دفعهم هذا الى ركوب البحر المتوسط وبناء مدن وأحياء وجزر فيه ، وقد جعلهم هذا يزحفون مع الزمن نحو فلسطين مبتعدين عن الاردن مما جعل حضورهم في الاردن مبكراً وضعيفاً مع الزمن . وقد كان للأموريون حضوراً مكثلاً للكنعانيين في الاردن ولا تختلف من حيث الجوهر المثلولوجيا الكنعانية والأمورية فجذرهما واحد .

المثولوجيا الكنعانية

كانت الديانة الكنعانية هي البؤرة التي اجتمعت فيها الأشعة القادمة والطالعة من وإلى الديانات المتوسطة كلها ، فقد صبت فيها مؤثرات رافدينية ومصرية وخرجت منها مؤثرات باتجاه الشمال نحو اليونان وباتجاه الجنوب نحو جزيرة العرب عن طريق الاردن .

ان الذي ينظر في العلاقة بين المثولوجيات المتوسطة يجد ان المثولوجيا الكنعانية تبدو مثل الرحم الذي يستقبل بذور الخصب وينبتها في نفس الوقت .

هناك ما من يرى ان المثولوجيا اليونانية مثلاً تعود بأكملها الى المثولوجيا الكنعانية فقد ورد عن الكاتب السوري فيلو الجبيلي (نهاية القرن الأول الميلادي) الذي وضع مؤلفاً ضخماً في تاريخ الفينيقيين مكون من تسعة أجزاء ضاعت جميعها ولكننا نعثر على شذرات منها في كتب آخرين "وفي حديثه عن المثولوجيا حاول ان يثبت ان الأساطير الاغريقية قد بنيت في معظمها على اصول كنعانية شرقية ، وارجع معظم آلهة الاغريق الى جذورهم الفينيقية . وقد وضع معظم افكاره على لسان كاتب فينيقي قديم عاش في القرن الرابع عشر قبل الميلاد اسمه (سانخو نيأتان) مدعياً أن مؤلفه الكبير ليس الا ترجمة لافكار ذلك الكاتب العظيم"^(١) ، وفي ذلك ما يشير الى اصداء رحيل الفينيقي (قدموس) الى الاغريق وتعليمهم الكتابة الأبجدية بعد أن اختطف زيوس اخته (أوروبا) الى اليونان حيث سميت (قارة أوروبا) على اسمها .



جدول (٦) : المثولوجيات المتوسطة ومركزية المثولوجيا الكنعانية فيها

١. أسطورة التكوين

يبدو أن الإله (ايل) انجب من زوجته (عشيرة) ابنتهما (يم) إله المياه الأولى ، ثم يبدأ (يم) صراعاً مع الإله بلع فيبعث (يم) كتاباً موجهها لمجمع الآلهة يطلب فيه تسليم بلع يصبح من خدمه . فيوافق الآله (ايل) على ذلك ويثور بلع ويقفز الى سلاحه لقتل الرسولين اللذين حملا الكتاب ، لكن الآلهتين عناة وعشتارت تحولان دون ذلك . ثم أعد بلع طريقة للانتقام فيصنع له الآلهان الحرفيان (كوثر) و (حاسيس) سلاحين ، الأول يشل حركة يم والثاني يقضي عليه . ويقوم بلع باستعمالهما ويقضي على يم فيثير هذا الحدث ارتباكاً في مجمع الآلهة يؤديه البعض ويسخط عليه البعض الآخر ، ويقسم الآله بلع احتفالاً عظيماً هو وزوجته الآلهة (عناة) . ويذهب بعدها الى جبل صفون ليرى بناته (بدرية) ابنة البدر و(طلية) ابنة الطل و (أرضية) ابنة الأرض الحصة .

ثم يبدأ بعل ببناء بيت عظيم له بعد أن تتوسط عناة وعشيرة عند ايل فيشير هذا الى (كوثر) و (حاسيس) ليينيا البيت مثل كتلة من خشب الأرز والفضة والذهب معتلياً جبل صفون .
ويظهر الاله (يم) في اساطير اخرى بأنه ابن البعل من عناة .

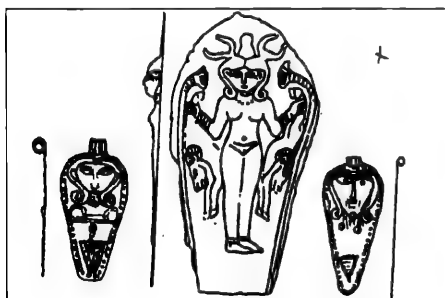
٢. اسطورة بعل وعناة

تمتاز الإلهة (عناة) بصفات مميزة ولكنها متناقضة في نفس الوقت (وهي تشبه في هذه الناحية الالهة السومرية انانا أو البابلية عشتار) فهي الهة الحب والخصب من ناحية والهة الحرب والدمار من ناحية اخرى ، وتظهر في هذه الأسطورة وهي تقتل الناس جميعاً من المشرق الى المغرب ، حيث كانت قد قررت افناء الجنس البشري .

(إنها تخوض في دماء الأبطال حتى الركب

إنها تخوض في دماء الناس حتى العنق)

بعدها تغسل عناة ايديها في دماء الجنود وتجمع المياه وتغتسل بندى السماء وبزيت الأرض وبأمطار راكب الغيوم . وعند ذاك يحاول الاله بعل أن يهدأها واعدأاها أن يكشف لها أسرار الطبيعة إن هي اتت لزيارته في مسكنه الجبلي . وأخيراً تذهب مع الرسلين اللذين بعثهما بعل ويستقبلهما بعل ويذبح لها ثوراً ويلتقيان فتزدهر الطبيعة ويكثر النبات وتكاثر الحيوانات .

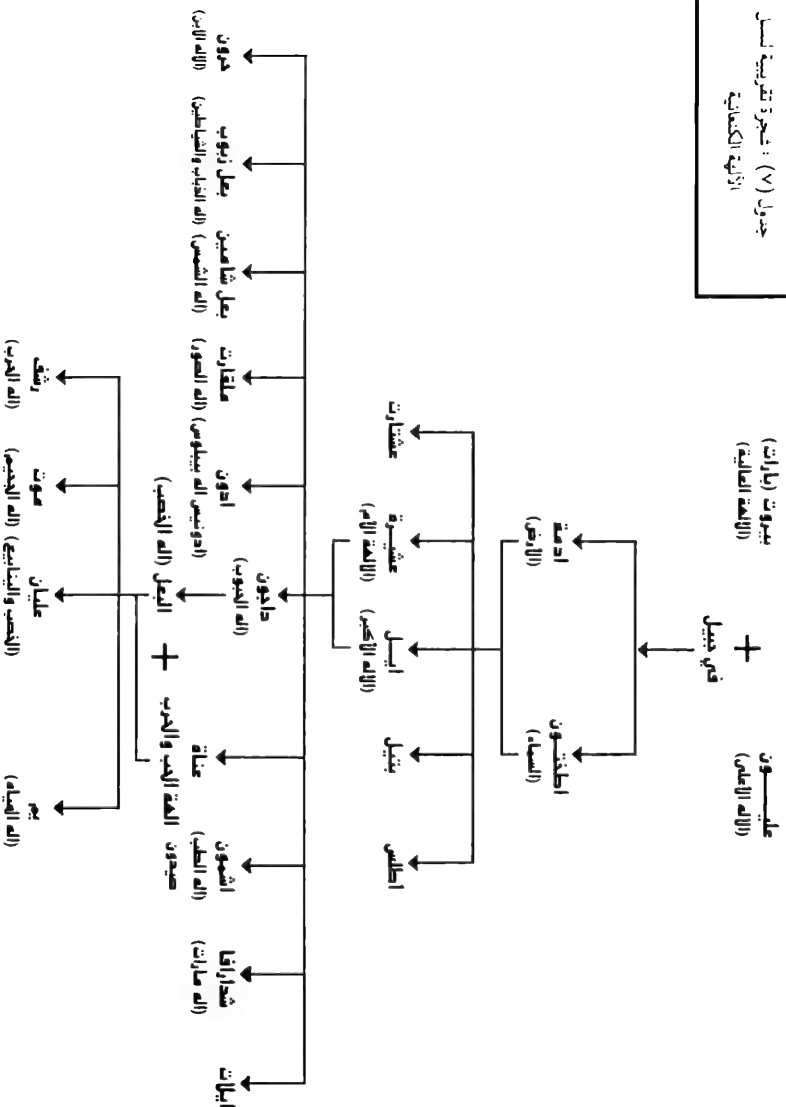


شكل (٣١) : الالهة عناة مصورة على أقراط ذهبية وتبدو رموز الخصب حولها



شكل (٣٠) : الالهة عناة تصحبها حيتان وتقف على أسد

جدول (٧) : شجرة تفرعية لسل
الألهة الكنعانية



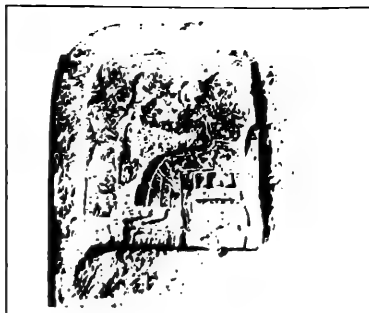
٢. اسطورة ايل

الاله ايل هو أكبر الالهة الكنعانية ، وكان يلقب بالاله العليّ أو الاله العظيم . وقد اسماه العرب لاحقاً بل(الله) وموئنه (اللات أو ايلات) وهي الالهة الام الكنعانية الكبرى (عشيرة) .

ويقع مقر الاله ايل في منطقة غربية حيث تغرب الشمس عند مصب الانهار في البحر أما مقامه فقد سمي بحقول ايل ، وقد وصفته التراتيل الشعرية الكنعانية بأنه "هو الذي يبعث بيماء الأنهر لتجري في الأرض وتحيي مواتها ، وهو الذي يبعث بالمطر فيجعل الأودية تفيض عسلاً ، وهذا هو نفس الاصطلاح الذي ورد في التوراة في وصف خصوبة أرض كنعان ، والاله ايل هو الذي يمنح الاذن بانشاء المعابد الالهية الاخرى ، وهو القادر على كل شيء ، والحاكم والملك المطلق لا يناقسه منافس ولايستطع أحد أن يغير ارادته وحكمه السامي ، وجميع أرض كنعان هي أرض الاله ايل" (١٦) .

ان أصل اسم الاله ايل يظهر لنا مبكراً في الكتابات السومرية التي كانت تستخدم كلمة (ايل) أو (ال) بمعنى البدء والتعريف "فلقد تميزت الذهنية السومرية باستخدام البادئة (أل) قبل كل اسم للتعريف به ، وهذا ما ورثه الاكديون ، فمن أجل تمييز صفة اله ما ، كانوا يضعون تلك البادئة الى جانب اسمه ، فكأنما هم فعلوا ذلك بغية الاسارة الى وجود نظام عامل شامل ، وربما ايضاً ، مطلق لكل الآلهة ، أي لكل الظواهر الكونية" (١٧) . ونحن نرى مع ستيفن لانغدن أن السومريين استخدموا اسم (أن) أو (علامة دنكر) لوصف الاله الأكبر السماوي وان البابليين استخدموا اسم (ال) دون ان يتحول ذلك قبل ظهور الكتابة في تليلات الفسول الاردنية ليس على شكل اشارة بل بفن تشكيلي دال على قوة كونية .

وانتشرت صفة ايل ومعانيه على الكثير من الآلهة ، فالاله مارتو "الذي عرف في النصوص الاكادية باله البادية السورية ، يدعى كذلك (رمانو) اي (رحمان) وقد ورد اسم هذه الاله غالباً مسبقاً باشارتين لاهوتيتين (أل أل) اي (الاله) أي (الذي جرى الادغام عليه ، فأصبح (الله)" (١٨) .



شكل (٢٢) : سلة الاله (ايل) من اوغاريت ويظهر ايل جالسا على عرشه وهو يستقبل هدايا ملك اوغاريت

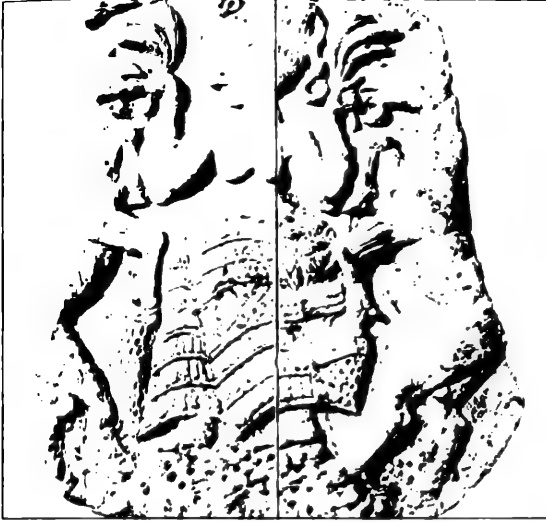


شكل (٢٣) : تمثال برونزي لاله الحرب
(رشف) من مجدو
حوالي ١٥٠٠ - ١٢٠٠ ق م

وترتبط اسطورة ايل بمجموعة كبيرة من أساطير
الآلهة الآخرين ، لكن اسطورة ظهوره أو وجوده هي
الأساس فقد ورد على لسان فيلو عن سنغن يتن ان
الاله عليون اي العالي كان يسكن هو وزوجته (بيروت)
في جبيل وولد لهما ولد هو (أطختون) الذي هو
السماء واخته (أدمه) التي هي الأرض ثم قتل الاب
(عليون) مع حيوانات برية وتسلم ابنه اطختون السلطة
فتزوج اخته وولد منهما أربعة أبناء هم (ايل وتبيل
وداغون وأطلس)

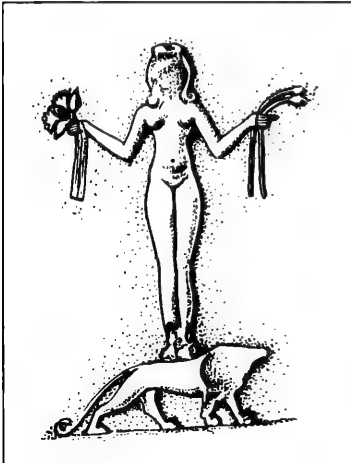
ثم دب الخلاف بين اطختون مع اخته وزوجته أدمه
بسبب كثرة خلياته وحاول قتل أولاده منها ولكنها
كانت تحمي نفسها منه بالتعاويد ، ولما كبر ايل وصار
شاباً اتخذ من همرس او تحوت مستشاراً له ثم أعلن

الحرب علي أبيه أطختون وصنع رمحاً وتعاويد سحرية وبدأ حربه ضد السماء والالهة لصالح
الأرض وأخيراً انتصر ايل في المعركة وحل مكان أطختون في السماء ، وبني سوراً حول مركز
سكنه وبني في داخله أو مدينة كنعانية هي (جبيل) ودعى رفاقه (ايلوهيم) اي الآلهة (٥) .



وأصبح بعد ذلك
للالة ايل سبعون من
الأبناء (٥٠ ذكر و ٢٠
انثى وهم الرفائيم)
وامتلك الاله ايل ألقابا
كثيرة مثل (اله
الرحمة ، الفؤاد ، خالق
الخلاتق ، ابو الزمن ،
اللطيف) وكان أهم أبناء
ايل هما بعل وعناة
وهناك من يرجع بعل الى
اله عتيق هو داجون .

شكل (٢٤) : الآلهة الام الكنعانية عتيقه ونظير وهي تمسك بقبضتين من الذرة
وحولها عنزتان وهي زوجة الاله ايل



ويرمز الاله ايل الى عقيدة صحراوية
شمسية سماوية ويعود ذلك الى البيئة الأولى
التي ظهر فيها أما ابنه بعل فيرمز الى عقيدة
زراعية قمرية أرضية ، وسيكون هذا التناقض
مدعاة لصراع أزلني بين الصحراء والخصب . وهو
الجوهر الذي تقوم عليه المثلولوجيا الكنعانية .

شكل (٢٥) : الهة الحب والحرب الكنعانية
عناة زوجة الاله بعل

٤. اسطورة الاله بعل

يمكن اعتبار اسطورة الخليقة السالفة الذكر هي القصة الأولى للاله بعل وصراعه مع يم ، اما الثانية في قصة بناء قصر بعل ، لكن الأسطورة البعلية بامتياز هي اسطورة هبوطه الى العالم الاسفل وموته .

ولنتعرف أولاً على (بعل) ومعنى اسمه الذي يدل على السيد أو الرب ويوصف بأنه راكب الغيوم وصاحب الصوت المرعد (الرعد) والضوء الخاطف (البرق) وأنه يصارع دائماً الحية الملتوية لوتان .

ويصور الاله بعل دائماً في نقوشه وتمائيله كشخص ذي طلة حادة التقاطيع يلبس على رأسه قلنسوة مدببة النهاية يخرج منها قرنان أماميان ويده دائماً مرفوعة وتحمل قضيب الصاعقة ، أما اليد الأخرى (اليسرى) فتمسك رمحاً ينتهي بأغصان نباتية ويقف على مياه الأرض .

يجمع بعل صفتين متناقضتين هما القسوة والعنف والخصب والشر والخير ، والمطر الذي يشير له يمتلك معاً هاتين الصفتين بقدر ما هو كاسح مدمر الا انه يسقي المزروعات ويحيي الأرض ويسقي الانسان والحيوان والنبات .

ويبدو ان بعل ظهر من (بيل) البابلي الذي كان يلقب به (مردوخ) ملك الآلهة البابلية وهناك ما هو مشترك بين مردوخ وبعل ، وقد ارتبط بعل بالاله هدد الاله الأرامي الذي يمثل الامطار والمواصف وتشكل منها مركب يسمى بعل حدد أو بعل هدد ، وربما كان اله العبرانيين ، وقد جمع ايل وبعل وعشيرة في ثالث كان المصدر المباشر للثالوث المسيحي الأب والابن والروح القدس .

وقد عبد الاله البعل في كل مناطق الشام وتحت أسماء مختلفة وترك اسمه هو والاله (ايل) في اكثر من مكان . وسنطرح هنا رأياً خاصاً بتسمية (الأردن) مرتبطة بالاله بعل حيث نرى انها تسمية مثولوجية .



شكل (٣٦) : إله بعل حدد وهو يحمل الصاعقة ويدل على المطر والسحاب والرعد



شكل (٣٧) : بعل حدد في صورته المعجل أو الثور

سنأخذ بنظر الاعتبار وجود منطقتين هامتين يفصل بينهما نهر الأردن ، ما زالت تحتفظ كل منها بتلك الأصداء الأسطورية قسمية أورشليم في فلسطين اطلقت على مدينة اسمها يتكون من مقطعين هما (أور) و (شليم) و أور هي تسمية رافدينية سامية ذات جذر سومري تعني مدينة ، وشليم اسم كنعاني من أسماء الاله (ايل) ويدل على الاله في حالة الغروب اي الاله ايل في حالة السلام او التسليم او الغروب وهي مدينة السلام ايضاً وتسمية (اورشليم) تسمية كنعانية ييوسية سبقت ظهور العبرانيين ولا علاقة لهم بتسميتها .

أما تسمية (الأردن) فقد اطلقت على منطقة ونهر ، يتكون اسمها من مقطعين (اور) و (ادون) واور بمعنى مدينة و (أدون) بمعنى (السيد) أو (الرب) وهي تدل على الاله (بعل) وهو الاله الزراعي الفتي المعروف وبذلك يكون اسم الأردن بمعنى (مدينة الرب) وتدل على الاله أدونيس الذي هو بعل ، وهذا يعني انها تسمية مقابلة لا تختلف عن تسمية (أورشليم) ، فأورشليم مدينة الاله في الغرب والأردن مدينة الاله في الشرق ولذلك لم تأت تسمية شرق الأردن اعتباطاً بل لتدل على ان الاله في حالة شروق ، حيث الاله أدون هو الاله الاب الفتي الذي في حالة شروق والاله ايل هو الاله الأب الكهل الذي في حالة غروب . وهنا نرى التوازن الصحراوي الزراعي ظاهراً كما



شكل (٢٨) : الإله بعل تحتل بروبزي

اننا نجد صدى الأديان التي ظهرت في كل من منطقتي شرق الاردن وغربها حيث تمكزت النزعات التفريدية على الاله (ايل) بينما استندت الديانات المتعددة الآلهة على الاله (بعل) وهذا ما يعكسه التراث التوراتي بوضوح .

وأصل بعل هو ابن داجون (داغون) بن ايل "سموه في ما بين النهرين (بيل) و (امورو) وتكاثر اسمه مقرونا باسم مكان أو مدينة مثل بعل صور . بعل ارواد ، بعل مرقود (اله الرقص اله بيروت وهيكله في بيت مري في دير القلعة ويطل على بيروت) وبعل غزة وبعل لبنان وبعل شامين (اله السماء في تدمر ، بنوا له هيكلًا لاتزال آثاره قائمة وبعل أباميا ... الخ) وانتشرت عبادة بعل في اسرائيل وكادت تقضي على عبادة يهوه أو تمتزج بها واصبح بعل جزءاً من الأسماء المركبة عند الاسرائيليين" (٦) .

واسطورة هبوط بعل الى العالم الاسفل مدونة على أربع لوحات من الواح اوغريبت وتشكل جوهر الميثولوجيا الكنعانية ، فبعد ان يستقر بعل فوق عرشه ويبني قصره ويترف على مملكته ويعلن الاله (موت) وهو ابن بعل أو اخوه الذي يمثل الجانب السفلي منه ، جانب الموت والقحط والجفاف ، انه يقود الثورة ضد الاله بعل ، فيبعث بعل الهين هما (جبار) و (اوغار) للتفاوض مع (موت) وينصحهما بأن لا يقتربا كثيراً منه حتى لا يأكلهما وأن يخبراه برسالة (عليان بعل) أي بعل العلي ، ويبدو ان الرسولين لم يتمكنوا من الاتفاق مع لاله موت . ويقوم (موت) بتحريض التنين (لوتيان) الراقد في مياه (يم) ليصارع برؤوسه السبعة الاله بعل فيسحقه بعل فيثور موت ويقرر مواجهة بعل وجهاً لوجه ، وقبل أن تتم المواجهة يرضخ بعل لتهديدات موت ويولم وليمة لجميع الآلهة ويستلم تعليمات موت قبل أن يهبط

الى العالم الأسفل ثم يقوم الاله بعل بمضاجعة العجلة (ولعلها عناة) سبع وسبعون مرة متوالية فتحمل منه هذه العجلة . ويكون هذا الاجراء بمثابة وضعه لبذوره في رحم عناة ضمناً لاستمراره عبر ابنه القادم لانه سيموت عندما يهبط الى العالم الأسفل . ثم ينزل هناك فيستلب موت منه روحه ويرمي بجثته الى سطح الأرض .

يفجع الاله ايل بموت ولده أو حفيده بعل وتندبه عناة وتبحث عن جثته حتى تجدها :

فرفعته على كتفها

وصعدت به أعالي جبل صفون

وهناك بكت عليه وقامت بدفنه

واضعة إياه في مقبرة إلهة الأرض

ثردبحت سبعين رأساً من الجاموس

تقدمةً لبعل العلي

وضحت سبعين رأساً من الثيران

تقدمةً لبعل العلي^(٧)

ثم تذهب الالهة عناة الى مقر ايل عند نبع النهرين وترى (عشيرة) زوجة ايل فرحة بموت بعل لانها ستتنصب ابنتها (اتثر) مكان بعل ، ويصعد اتثر الى الجبل وعندما يجد كرسي بعل لايمكن من ملئه فرأسه لم يصل الى قمة الكرسي وقدماه لاتستندان على مسندهما فيعترف ببعظه وينزل راجعاً فتحنن عناة أكثر وتقرر الانتقام من (موت) فتنتقم منه وتمزقه ، ثم يرى الاله ايل حلاًماً يتحقق بعودة الحياة الى الاله بعل ، فتهرع عناة الى الحقول فتجد بعل وهو يثار بنفسه من أعدائه فيعوداً معاً ويصعد عرشه من جديد وتعود حياته الخصيبة مع عناة ، ولكن بعد سبع سنين ينهض الاله موت من الموت ويحاول ان ينتقم من بعل من جديد ويلتقيان هذه المرة وجهاً لوجه :

تشابكا كأنهما جاموسان
قوي موت ، وقوي بعل
تصارعا كأنهما ثوران
قوي موت ، وقوي بعل
نعاضا كأنهما ثعبانان
قوي موت ، وقوي بعل
ترافسا كأنهما حيوانا سباق
قوي موت ، وقوي بعل
وقع موت ، ووقع بعل (فوقه) ^(١٨)

ويتكرر هذا الصراع بين بعل وموت كل سبع سنوات ويرمز الى صراع الخصوبة والجفاف في أرض كنعان .

وسنسمع صدى هذه الأسطورة يتكرر بصيغ مختلفة في أساطير بلاد الشام بأكملها

٥ . أساطير وملاحم كنعانية اوغاريتية اخرى

هناك أساطير وملاحم كنعانية اخرى عشر عليها في اوغاريت تنطرق الى ذكر الآلهة وتندرج في مجموعة الأساطير الكنعانية القديمة وهي :

١ . اسطورة كرت ملك هوبور وتقع في حوال ٣٠٠ سطر

٢ . اسطورة اقهت بن دانيال وتقع في حوالي ٤٥٠ سطر .

٣ . اسطورة اللآلي عن الملك الكبير .

وهذه الأساطير الثلاثة تقترب من الملاحم وتبرز فيها شخصيات هؤلاء الأبطال هي المركزية .

٤ . قصة سحر وشالم .

٥ . نيكال والكثيرات .

٦ . لوحات الرفائيم الأربعة .

وهذه القصائد الأسطورية الطابع تقترب من الشعر وتحاول وصف ظواهر في الطبيعة

٦. أساطير كنعانية يونانية

هناك مجموعة من الأساطير الكنعانية المعادة بالصياغة اليونانية وهي أساطير ذات شهرة كبيرة أدرجها الاغريق ضمن اساطيرهم وكانت ذات يوم متداولة في أرض كنعان سنمر عليها سريعاً .

١. **أسطورة أدونيس** : دخلت اسطورة أدونيس الى اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد . وتروي الاسطورة قصة ولادة ادونيس من شجرة أَلر التي كانت بالأصل ابنة ملك ضاجعت أباه ، وتفتن الالهة افروديت بجمال الطفل وتضعه في صندوق وتسلمه الى بيرسفون الهة العالم الأسفل التي تحبه عندما يكبر وترفض اعادته الى افروديت فيتدخل زيوس كبير الآلهة ويقضي بأن يبقى ادونيس ثلث السنة مع بيرسفون وثلثها الثاني مع افروديت والثلث الآخر حسب ما يشاء . فيفعل .

و ذات مرة قتل خنزير بري ادونيس فسالت دماؤه على الأرض وامتلاً نهر ادونيس بدماؤه وتلونت الزهور البيضاء بدمه فسميت شقائق النعمان الذي هو ادونيس الناعم ، ومعه يتجدد الحصب كل سنة .

٢. **اختطاف اوربا** : أوربا وقدموس ابناء الملك الفينيقي . يقع الاله زيوس بحب اوربا فيمسح نفسه الى عجل ويستدرج اوربا ويخطفها ويتزوجها في كريت .

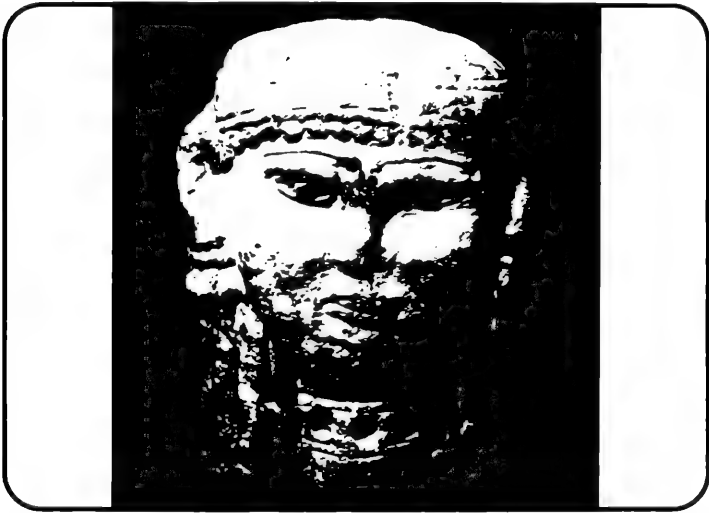
٣. **مأساة قدموس** : يبحث قدموس عن اخته دون نتيجة .. ثم يبدأ ببناء مدينة طيبة ويتزوج من هرمونيا ابنة اريس وافروديت حيث يلد منها ولداً وأربعة بنات الذين ماتوا في كوارث متتالية فيحزن قدموس وزوجته ثم يشيخان ويتحولان الى أفعى و ثعبان يجوبان الغابات والأحراش .

هوامش الفصل الثالث

- (١) السواح ، فراس : "مغامرة العقل الاولى" سومر للدراسات والنشر والتوزيع -
نيقوسيا قبرص ط٦ ١٩٨٦ ص ١١٥ .
- (٢) سوسة ، أحمد : "مفصل العرب واليهود في التأريخ" . العربي للاعلان والنشر والطباعة
والترجمة . ط٤ دمشق ١٩٧٥ ص ٦٨ .
- (٣) تيزيني . الطيب : "الفكر العربي في بواكيره الاولى" . ج٢ دار دمشق . ط١ . ١٩٨٢
ص ص ٢٧٦ , ٢٧٧ .
- (٤) المرجع السابق . ص ٢٧٨ .
- (٥) بشور ، وديع : "المثولوجيا السورية أساطير آرام" . ط٢ ١٩٨٩ ص ١١٥ .
- (٦) المرجع السابق ص ١٢١ .
- (٧) السواح ، فراس : "مغامرة العقل الاولى" . ص ٣٢٦ .
- (٨) المرجع السابق . ص ٣٢٨ .

الفصل الرابع

المثولوجيا الأردنية الخالصة (العمونية والمؤابية والآدومية)



(عشتار ملكوم) إلهة العمونيين الأولى

(١)

المثولوجيا العمونية

مقدمة تاريخية

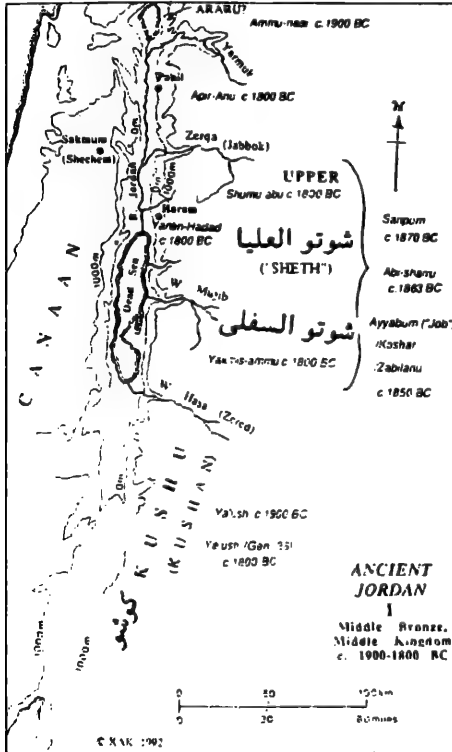
مع مجيء العصر الحجري النحاسي في الاردن كانت التجمعات البشرية المحلية قد شكلت نمطاً من الثقافة المتطورة أهلتها للدخول في عمليات تعدين النحاس وتطويره وإدخاله في الصناعات البدائية ، وكان الفسوليون هم أبرز من ظهر في هذه المرحلة . وحين قدم العصر البرونزي كانت المجموعات الكنعانية التي اجتاحت الأراضي الشامية في العصر النحاسي قد استقر بعضها في مناطق اردنية هنا وهناك . ولانستطيع أن نتوسع في موضوع الكنعانيين في الأردن لأن الأدلة الأثرية ما زالت قليلة ، الا انه من المؤكد أن ثقافة الكنعانيين في عموم منطقة الشام كانت قد بدأت بالدخول والتأثير في الحياة الاجتماعية والدينية لأقوام الأردن .

لكن الأقوام العمورية (وهم أصل الكنعانيين والأشد منهم براوة) بدأت بالتدفق الى الاردن وشكلت مع الوقت مدناً وممالك صغيرة وصرنا نلمح ممالك سياسية قوية في نهاية الألف الثاني ق م وهي ممالك باشان وحشبون ، وباشان أرض سكنها الرقائيون والكنعانيون وكانت قبلهم أرضاً كنعانية شرقي الاردن بين جبلي جرمود وجلعاد ، وتحدها شمالاً أرض دمشق وشرقاً بادية سورية وجنوباً أرض جلعاد وغرباً غور الأردن وقد قام موسى بطرد الرقائيين واحتل باشان ، وكان يسكن معهم الجشوريون والمعكيون الذين بقوا فيها (وهم من الكنعانيين أصلاً) وكان المؤابيون يسمون الرقائيين بـ(الاييمين) .

أما حشبون فأرض ملكها المؤابيون لكن سيحون ملك العموريين استولى عليها مع كل أرض المؤابيين ، واتخذ حشبون عاصمة له ، ثم استولى عليها الموسويون في عهد موسى ودمروا أركانها ، لكن المؤابيين عادوا واستعادوها .

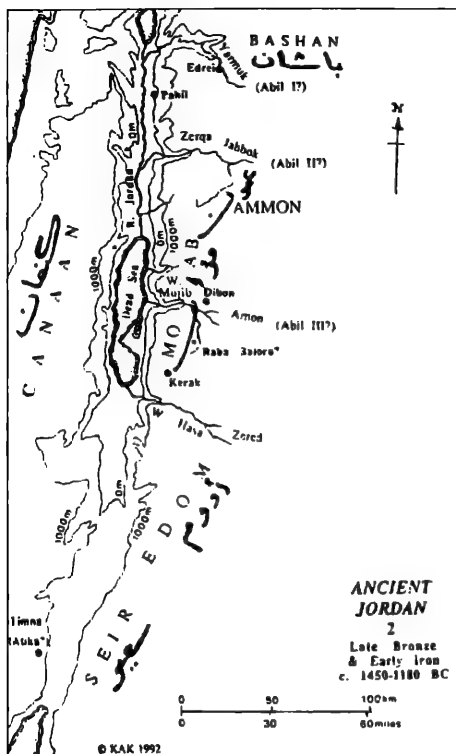
كذلك تظهر القبائل العمورية المسماة بـ(العماليق) في جنوب غربي الأردن ، ويتضح لنا أن هذا الاختلاط الكنعاني العموري مع الأقوام المحلية في الأردن من غسوليين ويرموكيين كان يمهد الطريق لظهور حياة سياسية وحضارية وثقافية أردنية جديدة تمثلت في الممالك الثلاثة (عمون ومؤاب وأدوم) .

قبل ظهور هذه الممالك الثلاثة ظهرت مقاطعات أو ممالك ثلاثة عمورية هي باشان وحشبون وسعير . وسبقت هذه الممالك جميعاً ظهور الأقوام البدوية العمورية والكنعانية . ومنها في الاردن قبائل الشوتو (Sheth) العليا شمال الأردن والشوتو السفلى وسط الأردن وقبائل الكوشو (Kushu) أو الكوشان (Kushan) في جنوب الأردن .



خريطة (٢) : الأردن في العصر البرونزي المتوسط
 الشمال : شوتو العليا
 الوسط : شوتو السفلى
 الجنوب : كوشو (كوشان)

لكن المسرح بدأ يتهاى مع نهاية العصر البرونزي المتأخر للممالك الأردنية الثلاثة (عمون ومواب وادوم) وكانت تتاخها ممالك باشان وحشبون وسعير .

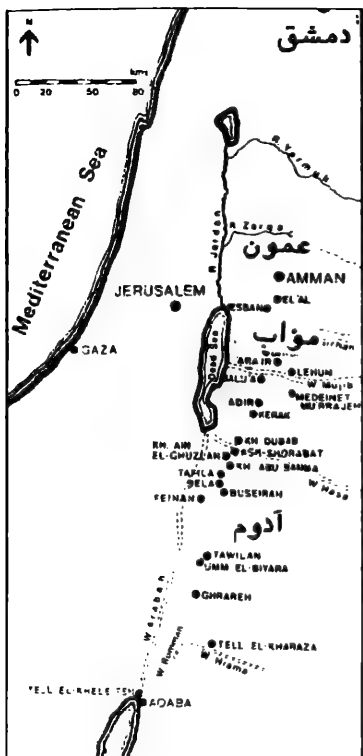


خريطة (٢) : الأردن في العصر البرونزي المتأخر
 الشمال : باشان وعمون
 الوسط : حشبون ومؤاب
 الجنوب : سدير وأدوم

ثم اختفت الممالك الثلاثة
 (باشان وحشبون وسدير) وظهرت
 مع بداية العصر الحديدي ممالك
 (عمون ومؤاب وأدوم) قوية ، وقد
 هضمت التراث الثقافي السابق
 المنحدر من النيوليث والنحاسي
 والمشيع بثقافات كنعانية وعمورية
 مختلفة .

تاريخ عمّون

كانت منطقة عمان مسكونة بالناس منذ العصر الحجري القديم حيث استعمل الانسان فيها أدواته الحجرية الأولى في الصيد واشعال النار . وظهرت الأنصاب في هذه المنطقة كنوع من الديانة الميفأليشية فقد كان هناك نصب حجري ضخم يرتفع الى السطح الهابط من جبل القصور الى وادي الحداة أزالته الأبنية الحديثة بعد سنة ١٩٥٠ . وكانت هناك الكثير منها مع مطلع القرن العشرين كما وصفها الرحالة (١) .



خريطة (٤) : الأردن القديم في العصر الحديدي
 الشمال : عمون
 الوسط : مواب
 الجنوب : أدوم

وقد تحدثنا عن الانصاب سابقاً فهي بداية ظهور ما أصبح يسمى لاحقاً بـ(هياكل العراء) حيث كانت هذه الأحجار أولى الأصنام التي عبدت ، وقد تكون أيضاً مدافن كبرى مقدسة بسبب دفن كبار القوم ، حيث كان يحفز هذه العقيدة عقيدة متساوقة معها هي عبادة الجمجم . وفي كلا الحالتين فقد اقيمت هذه الأنصاب لتكون "مقدّس" أو هياكل لمظاهر الطبيعة كالشمس والماء والشجر ، وقد أقيم أكثرها على مشارف الجبال أو عند عيون الماء أو أشجار الغابات . هنا كان الكهنة يقيمون الشعائر الدينية ويذبحون الضحايا التي تسيل دماؤها في الحفر والآبار لتشرّبها الآلهة السفلى أو يحرقونها لتستنشق روائحها الآلهة العليا ، وقد

وجدت حولها بعض الجرار التي كانت توضع فيها رفات الموتى بعد إحراقها ، وفي بعض الأحيان وجدت في القبور تماثيل آلهة صغيرة لم يرسم عليها شكل ولم تحفر عليها كتابة^(٢) .

وبمجيء الميزوليت ظهرت الثقافة الكبارية ثم النطوفية وتهيأ الإنسان للزراعة ونشوء القرى الزراعية وظهر الفخار والصوامع التي نشاهدها شمال غربي الدوار الرابع في جبل عمان ، وكانت مساكن ومعابد ومقابر في نفس الوقت . ومع مجيء العصر النحاسي صنع الإنسان ادواته من النحاس والقصدير . وفي نهاية هذا العصر قدمت أقوامٌ غريبة الى عمان وظلت الحياة رتيبة حتى قدم الرعاة الهكسوس الى عمان بعد أن طردهم المصريون من

بلدهم ونقلوا معهم نواميس حضاراتهم مثل العربية والحصان والآلهة وفنون القتال الجديدة .
والهكسوس هم رعاة ساميون سكنوا أولاً في مناطق الشام وأهم مناطقهم هناك كانت
(شكيم وأريحا وقطنا وشاروهين) . وكان المصريون يسمونهم (الشاسو) اي البدو . وقد
عرفت دولتهم بدولة البدو . وكان العرب يسمونهم (العمالة) ، وغزوا مصر السفلى
وحكموها زهاء قرنين (١٧٨٥ - ١٥٨٠) ق.م ثم طردهم (احموسة) منها .

عاش الهكسوس بعد طردهم في اريحا أيضاً بالإضافة الى عمان ، وجعلوا منها مدينة
جديدة بمعنى الكلمة . ثم أصبحت جنوب سوريا وفلسطين وشرق الأردن تحت سيطرة مصر
منذ مجيئ تحتتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٢٦) ق م ثم ابنة امنحتوب الثاني لمدة
عشرين سنة .

وبقيت هكذا حتى بعد مجيء اخاتون ، وكان هناك نفوذ مصري خلال حكم صهره
توت عنخ آمون . ثم قدم العمالة (الرفائيون والزمزميون) ومنهم (عوج بين عناق) ملك
باشان أي (الجولان وحوران) واستقروا في عمان زمناً طويلاً ثم نهض أهل البلاد من
العمونيين وحاربوا العمالة وانتزعوا ما سيطروا عليه .

وفي ذلك الوقت اجتاح العبريون عمّون "واختلطوا بمن حولهم الجبابرة الوثنيين
كالمموريين والرفائيين وقلدوهم في عبادتهم وألّهُوا مظاهر الطبيعة فعبدوا الشمس والقمر
والنجوم كما عبدوا كاموش وملكوم واخذوا يقدمون لها أولادهم وبناتهم ذبائح في الهيكل .
كما اخذوا عبادة عشتروت عن الفينيقيين والبعل عن الكنعانيين وجعلوا البعل المبدأ الفاعل
وعشتروت المبدأ القائل وزعموا ان الآلهة توالدت منهما" (٢٦) . ثم انهزم بنو اسرائيل الى ما
هو الآن الضفة الغربية وتجمعوا بعدها . وأعادوا تقدمهم نحو عمّون فتماسك العمونيون
وقادهم ملكهم ناحاش الى يابيش جلعاد (الوادي اليابس) غربي عجلون والتقى بني
اسرائيل ، لكن هؤلاء استنجدوا بالملك شاؤول فذهب لنصرتهم وهُزم العمونيون .

ولما ملك داود في اسرائيل حاول احتلال عمون مرة بعد اخرى بواسطة قائده يواب
وكان حانون ملكاً على عمون وبعد جهد استطاعت قوات داود احتلال عمون "وليس تاج
ملكوم الذي كان موضوعاً على تمثال الآله ملكوم ، اله عمون ، والذي كان مصنوعاً من

الذهب ومرصعا بالجحارة الكريمة ووضعهم تحت المناشير ونورج الحديد وطرح قسماً منهم في أنتون الأجر^(٤) . وحاولت عمون الاستنجاد بالآراميين فأعاد داود فتحها بعد خسائر كثيرة وبعدها أصبح (شوبي) ملكاً على عمون الذي استقبل بعد زمن داوداً لاجئاً من ثورة ابنه ابشالوم .

وفي زمن الملك سليمان تمكنت عمون من الاستقلال وتزوج سليمان من إحدى بناتها وسمح لها بعبادة آلهتها . بعدها هاجم العمونيون والمؤابيون بني إسرائيل واجتاحوهم ولما اختلفوا على الفنائم تقاتلوا بينهم فقاتلهم (يهوشافط) و (عزيا) وقدمت عمون الجزية لعزيا .

وتحت كل هذه الظروف من الانتصارات والهزائم بين العمونيين والاسرائيليين كانت عمون تزدهر وتنمو وكان عمرانها يزداد أوقات السلم . وفي ذلك الوقت العموني الزاهي اتسعت رقعة الامبراطورية الآشورية وتقدم ملكه (شلمانصر الثاني) الى سوريا فقابله (بوح العربي) و (رحاب العموني) بجيوش كبيرة متحالفين مع (هدد السوري) وتمكنوا من كسر الجيش الآشوري عام ٨٥٠ ق م . ولما توفي (هدد) انهار هذا الحلف وتقدم (شلمانصر) ثانية بجيوشه واحتل سوريا وعمون .

وكانت هذه آخر أيام ازدهار عمون وبزوغها القومي حيث انتفضت وأخرجت الآشوريين من ارضها ولكن (تغلث بلاسر) الآشوري فتح عمون ثانية واجبر ملكها (سانيبو) على دفع الجزية ، وتقرر تعيين حاكم آشوري على عمون .

وحين حاول اليهود الثورة على حكم سنحاريب الآشوري عام ٧٠٥ ق م و وقف (بدرابيل) ملك عمون موقفاً محايداً ، فمنحه سنحاريب استقلالاً على بلاده ولكن عمون ظلت تدفع الجزية للآشوريين . وحاولت عمون إبان حكم آشور بانيبال آخر ملوك آشور الاستقلال لكن جيوش الآشوريين حاصرتها . وتذكر السجلات ان سيبأ عمونياً الى آشور قد حصل سار فيه رجال الدين وكهنة ملكوم في مقدمة الاسرى الى مدن الآشوريين . وعين آشور بانيبال حاكماً آشورياً على عمون .

ولما بزغت الدولة الكلدانية هاجم نبوخذ نصر مملكة اليهود عام ٥٨٦ ق م وحطمها وأسر شعبها وأجلاهم الى بابل ففرح العمونيون بذلك خوفاً من نبوخذ نصر لكن الملك العموني (بعليس) استقبل الثائر اليهودي (اسماعيل) الذي حاول أن ينتصر لبلاده بوجه الكلدانيين .

لقد كان سعي دولة عمون لاقامة دولة كبيرة على أنقاض الممالك الفلسطينية والعبرية سبباً في قضاء البابليين عليها وإجلاء أهلها الى مناطق بعيدة . ولانكاد نلمح بعد هذا الاجلاء كياناً سياسياً واضحاً لعمون خصوصاً وان البدو اجتاحتها ويمكننا القول انها انتهت عام ٦٠٠ ق م .

ولما سقطت الدولة الكلدانية بأيدي الفرس الذين فكوا الأسر اليهودي في بابل وطلب العمونيون والمؤابيون والفينيقيون والآراميون من الفرس إعادة بناء هيكل القدس فسمح الفرس بذلك ولكن البناء كان قاصراً فتملأ اليهود وثار (طوبيا) اليهودي وساعده عمون وقبلته لاحقاً اليها .

وعندما اجتاح الاسكندر الشرق وتوجه لفتح مصر كانت عمون تتمتع باستقلال نسبي .. وكذلك كانت عندما ظهر السلوقيون .. لكن عمون سقطت فريسة البطالمة وكانت عندذاك منهاره القوى ومخربة أمام كل هذه المنازعات والمهاترات وأمام ضعف قواها الداخلية . وقاد بطليموس فيلادلفيوس (٢٨٥ - ٢٤٧) ق م الذي احتلها حملة كبيرة لاعادة بنائها وسماها باسمه (فيلادلفيا) التي كانت واحدة من المدن الهيلنستية في الشرق حيث ازدهرت فيها الثقافة الإغريقية .

وفي عام ٢١٨ ق م قام انطيخوس الكبير ملك سوريا بالاستيلاء على عمون وقلعتها واستمر النزاع عليها بين السلوقيين والبطالمة ثم تركها البطالمة ليسيظروا على فلسطين فاحتلها السلوقيون .

وفي فلسطين قام يهوذا المكابي بثورة تحررية من البطالمة وحاول ان يوسع حدود دولته فاحتل عمون وكذلك فعل ابنه ، وظهر في ذلك الوقت دولتان قويتان هما (دولة الأنباط)

في الأردن و (دولة اليهودية) في فلسطين وقد تنازعتا طويلاً على أراضي المناطق المحيطة بهما ، واستغل الرومان بقيادة بومبي قائد الجيوش هذه النزاعات قدخل القدس وأنهى دولة اليهودية التي احتلها الفرس وقتاً ثم رحلوا .

واستمرت الخلافات بين دولة الأنباط المستقلة نسبياً والرومان في فلسطين ، ثم وضعت عمون في طريق الاحتلال الروماني واهتم (بومبي) بالمدن العشر التي أنشأها الاغريق وعمرها وكانت (فيلادلفيا) واحدة منها ، وعلى مدى هذه السنين انصهرت في عمان العناصر العربية والرومانية واليونانية فظهرت ثقافة عميقة فيها . وفي عام ٣١ ق م تمكن الرومان نهائياً من انتزاع عمون من أيدي الأنباط . وأصبحت عمون تتمتع باستقلال نسبي واهتم بها كثيراً أباطرة الرومان وخصوصاً الأمبراطور ماركوس واريليوس الذي بنى فيها هيكل هرقل في القلعة والمدرج الروماني .

ومع ظهور المسيحية واضطهاد دعائتها ، لجأ رجالها الاولون من القدس الى عمان وبذلك استقبلت عمان الديانة المسيحية في القرن الأول الميلادي من أصولها المباشرة .

وعندما أصبحت الديانة الرسمية للدولة البيزنطية ، أصبحت عمان مدينة مسيحية تماماً وتنصر أهلها وقدّم مسيحيو عمان الشهداء من أجل الديانة المسيحية منهم (اليانور وزيتون وذيناس) وقد صكّت عملات بيزنطية في هذا العصر وعثر على الكثير منها .

إن اهم المناطق التاريخية في عمان هي : (ام الصوينية) و (الويسية) من العصر الحديدي ، القويسمة الرومانية البيزنطية ، قصر النواقيس (ضريح النويجيس) من أبنية القرن الثالث الميلادي ، قلعة عمان ، مغارة قاقيش وهيكل هرقل والبرج الجنوبي والمدرج المسرحي والملهى القديم وقبو السيل وسبيل الحوريات وهو حمام روماني .

وفيما يلي جدول بأسماء ملوك عمون ورد في رسالة ماجستير الباحث الاردني عبد السميع علي أحمد أبو دية عام ١٩٨٧ . وهي أحدث من قائمة وضعها جورج ميلر لاندز عن البرايت^(٥).

اسم الملك	الزمن التقريبي لحكمه
١. ناحاش الأول	حوالي ١٠٢٠ ق.م
٢. ناحاش الثاني	حوالي ٩٩٠ ق.م
٣. حانون بن ناحاش الثاني	حوالي ٩٨٠ ق.م
٤. شوبوب	حوالي ٩٨٠ ق.م
٥. روحوبوب	قبل عام ٨٥٣ ق.م
٦. بعاشاش	بعد عام ٨٥٣ ق.م
٧. سنانيب	قبل عام ٧٢٣ ق.م
٨. زاكوير	بعد عام ٧٢٣ ق.م
٩. يراح عازار	قبل عام ٧٠١ ق.م
١٠. بودئيل	١٧٠١ - ٦٧٠ ق.م
١١. عمينا داب الأول	بعد ٦٧٠ ق.م
١٢. حزال ايل	بعد ٦٦٧ ق.م - قبيل ٦٠٠ ق.م
١٣. عمينا داب الثاني	حوالي ٦٠٠ ق.م
١٤. حنان اييل	بعد ٦٠٠ ق.م - قبل ٥٨٢ ق.م
١٥. باليس	حوالي ٥٨٢ ق.م

جدول (٨) قائمة بأسماء الملوك العمونيين الذين حكموا المملكة العمونية

المثولوجيا العمونية

سرّ عمون

لكي نغضي بسلاسة في طريق المثولوجيا العمونية لابد أولاً من فك سرّ عمون .. من أين أتت هذه التسمية ؟ وهل تخفي وراءها تاريخاً أو آلهة مثولوجية أخرى ؟

سنحاول فك هذه التسمية بعرض مجموعة من الآراء أو النظريات في تسمية عمون ؛ الرأي الأول توراثي معروف ، والرأي الثاني تاريخي ، أما الرأيان الثالث والرابع فمن اجترأنا حيث حاولنا الاهتداء الى أصل تسمية (عمون) .

١. **التسمية التوراتية :** تذكر التوراة في (سفر التكوين) . انه بعد كارثة سدوم وعاموره خرج لوط الى صوعر ثم الى الجبل هو وابنتاه وأقاما في مغارة "وقالت الكبرى للصغرى ان ابانا شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا عادة الأرض كلها . تعالي نسقي أبانا خمرأ ونضاجعه ونقيم من أبينا نسلأ . فسقتا اباهما خمرأ تلك الليلة وجاءت الكبرى فضاجعت اباهما ولم يعلم بنيامها ولا قيامها . فلما كان الغد قالت الكبرى للصغرى ها أنا ذا ضاجعت أبي فلنسقه خمرأ الليلة أيضاً وتعالى أنت فضاجعيني لنقيم من أبينا نسلأ . فسقتا أباهما خمرأ تلك الليلة أيضاً وقامت الصغرى فضاجعت ولم يعلم بنيامها ولا قيامها . فحملت ابنتا لوط من أبيهما . وولدت الكبرى ابناً وسمته مؤاب وهو أبو المؤابيين الى اليوم"^(١) . وعلي ذلك تكون تسميته مؤاب من (ابن أب) فتحور وسمي (مؤاب) وتسمية عمون من (ابن عم) فتحور واصبح (بنعم) الذي تحور واصبح (عمون) . وتقع هاتان التسميتان في رأينا ضمن اديولوجية التسميات التوراتية التي تحاول ان تلصق بالمدن او القبائل المضادة لها أو العدو لها أسساً أخلاقية أو روحية مشينة ؛ حيث يرتبط اسم (عمون) هنا بخطيئة أو أكثر من خطيئة^(٢) ، حيث لوط يجرجر معه خطيئة اللواط وابنتاه خطيئة الخمر ثم الزنا بالمحارم . وهذه تستبطن غوراً نفسياً عميقاً عند التوارثيين يحفل بكره مدينة (عمون) .. لهذه الأسباب ولغيرها مما نعرفه عن المعالطات التاريخية في التوراة نرجح ان هذه التسمية غير صحيحة وتقع في منطقة الخرافة .

٢. **التسمية العمورية** : يطرح هذا الرأي تسمية تاريخية مرتبطة بالعموريين الذين وفدوا مبكراً الى عمان وأعطوا اسمهم الى هذه المدينة . فالعموريون كما يقول لاندز يعود أصلهم "الى قبيلة من القبائل السامية الشمالية الغربية التي كانت تقيم في شمال البلاد السورية في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بدليل اكتشاف اسم تلك القبيلة (بن عمون) بين أسماء القبائل التي ظهرت أسماؤها مدونة فيما عثر من الكتابات اليوجاريتية"^(٨) . وهذا يعني أن (عمون) قبيلة عمورية سكنت سوريا ثم انحدرت الى منطقة في وسط الأردن سميت فيما بعد على اسمها (عمون) .

وهناك من الباحثين من يرجع اسم العمونيين الى جدّ معين " واذا عرفنا بأن تلك القبائل كانت قد تسمت في معظم الحالات الى أسماء الجدود أو المؤسسين لها ، فاننا نقرب من الحقيقة اذا تجرأنا بالقول بأن العمونيين كانوا يرجعون الى جد معين ، كان اسمه عمي ، أو عميا أو عمين وانهم كانوا يعرفون بانتمائهم الى ذلك الجد من الشمال ، للتمييز بينهم وبين قبائل مشابهة لهم من حيث الأصل ، وبالتالي فان ذلك الشعب حمل تلك التسمية عند انتقاله الى أواسط شرق الاردن ، واستمر يعرف بها"^(٩) .

وفي جميع الأحوال وسواء كان الأصل قبيلة اسمها (عمون) أو جدّاً قديماً اسمة (عمين) ، فاننا نرى ان اسم عمون يقترب من اسم (العموريين) الذي يضم قبائل عدة ، وقد تكون هذه المنطقة قد سميت على اسم (العموريين) الذين سكنوها وكونوا معها مع نهاية الألف الثاني ق م ممالك عمورية مثل باشان وحشيون وسعير .

٣. **التسمية المصرية** : نرى أن هناك احتمالاً آخر لتسمية (عمون) يرتبط بالوجود المصري المبكر في الاردن وفي منطقة عمان تحديداً ، سواء كان هذا الوجود عن طريق الهكسوس المطرودين من مصر او السيطرة المصرية اللاحقة على مناطق واسعة من الأردن وفلسطين .

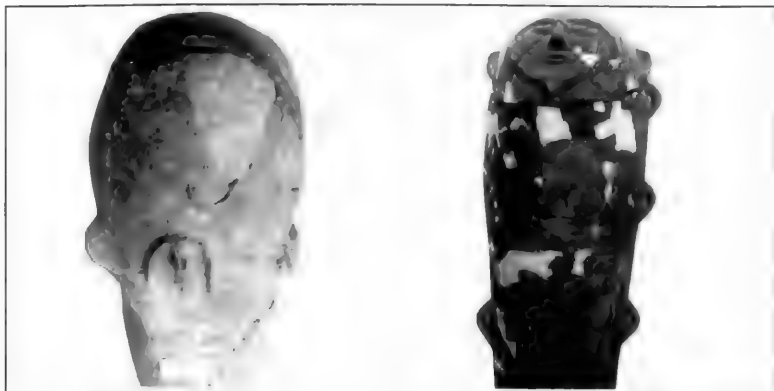
ففي كلا الحالتين كان المصريون في هذه المنطقة ، وكان من عادة الناس إذا ما رحلوا مجبرين أو طالبين العيش الأفضل أن يحملوا معتقداتهم وألهتهم .. وكان الهكسوس قد عبدوا في مصر ، ضمن ماعبدوهم ، الإله (آمون) أو (آمين) واسمه يعني (المخبوء) ويدل على الامان ، وكانت له زوجة اسمها (امينة) ، واسم (آمون) معروف في صلوات الأديان

السماوية الثلاثة . وكان كهنة هذا الاله يسمونه رب الآرباب ، وقد كان أساسا اله جنوب مصر . ثم أصبح إله مصر الأكبر وانه يمثل "المخبوء" والقدرة المستورية التي خلقت الكون وراحت تعضده بصورة قيومية . كما صرحوا بأن الشمس كانت رمز هذه القدرة المكتومة ولهذا فقد أضافوا اسمه الى اسم (رع) ، وبذلك استطاع ان يقتصب بالتدريج صفات (نو) و قدراته ، كذلك (خنيمو) و (بتاح) و (هابي) وألهة عظيمة أخرى^(١٠) .

ويقينا فإن المصريين وحكامهم الذين حكموا الأردن نقلوا عبادة هذا الاله والهة أخرى مثل ايزيس واوزيرس ، بالإضافة الى ما فعله الهكسوس حين نقلوا عقائدهم الدينية الى الاردن بعد طردهم من مصر "وقد دلت الحفريات في قبور الهكسوس ومن العصر البرونزي الحديث ١٦٠٠ - ١٢٠٠ ق.م بعمان وناعر وجبل نبو غربي مادبا على ان هذه الأضرحة العائلية الواسعة المزودة بجميع أدوات الفخار والرخام والعاج على ان موقع عمان كان مأهولا بالسكان"^(١١) . ويبدو انه بعد مضي زمن على الوجود المصري هذا بقي اسم الاله (أمون) يصف هذه المدينة ويطلق عليه اسم (عمون) المشتق من (أمون) على (مدينة الأمان) أو (مدينة السلام) . وهو اسم يتناسب ايقاعه مع تلك العصور المحتربة التي كان نشدان الأمان والسلام غاية نفسية عميقة لأهلها . ثم ان الكثير من المدن المعروفة شرقا وغربا كانت تعطي لنفسها تسمية (مدينة السلام) بالإضافة الى اسمها المعلن . وفي حالة (عمون) تطابق اسمها مع معناه .



شكل (٢٩) : ناووس أو تابوت حجري يظهر منه رأس تدل صفاته على الاله المصري اوزيريس (اله العالم الاسفل) ويبدو نائما او تدل اغفائه على الموت . من القرن العاشر ق.م / عمان .



شكل (٤٠) : نواويس او توابيت ذات اشكال آدمية وتبدو الحواجب في النواويس الأول ممتدة الى الاسفل .ولها أربعة ايدي / حفرة قصر رغدان



شكل (٤٢) : الاله (أمون) على اليمين

الاله (أمون - رع) على الشمال

وفي كلا الحالتين يحمل عصا الملوك المقدسة التي سنشاهدها في لوحة بالوعة .



شكل (٤١) : الفاتح المصري الشهير الملك تحوتمس الثالث (١٥٠٣ - ١٤٤٩) ق م الذي اخضع الاردن تحت سيطرته . وقد يكون هو أو أتباعه أو الهكسوس قبله من نقلوا عبادة الاله (أمون) الى الاردن

ونرى انه لا بد من التذكير بلوحة بالوعة (التي عثر عليها في وادي الموجب) (يراجع شكلها في الفصل الخاص بالمتولوجيا المؤابية) والتي يظهر فيها اله مصري يحمل ذات العصا التي يحملها الاله (أمون) وهو يسلمها الى ملك محلي . وهذه اللوحة بحد ذاتها تكشف عمق الوجود المصري الثقافي قبل ظهور ممالك عمون ومؤاب وأدوم .

٤. **التسمية العشتارية :** لن يقلل من أهمية جميع افتراضات التسمية السابقة اضافة احتمال اخر لتسمية (عمون) . فقد ذكر اصطيافانوس البيزنطي ان عمان كانت تعرف باسم استارتي Astarty وهو اسم مشتق من الالهة عشتار ، ولانستبعد مطلقا ان يكون اسم استارتي هذا قد ورث تسمية الاله امون المصري الذي نسبت جذوره ثم اطلق هذا الاسم علي اسم الالهة الانثى لمدينة عمون . ومعروف ان الالهة عشتار تحمل صفات الحب والحرب وكانت الالهة حاتحور المصرية والتي لها علاقة بالاله امون قد ورثت صفات عشتار الحربية منها بشكل خاص ، وتكون بذلك هذه الخلطة العشتارية الأمونية ساهمت فيما بعد بتشكيل اسم (عمون) الذي تنبض فيه انثى قديمة .

وقد رأينا شيئا مشابها لذلك في اسم (بيروت) عاصمة لبنان . فالالهة الام الكبرى لمدينة بيروت اسمها (بارات) وتحور هذا الاسم بعض الشيء ليصبح (بيروت) واطلق فيما بعد على اسم المدينة ، وعمون وبارات اسماء واحدة لعشتار الحب والجمال ومعنما اسماء مثل ليبيا وبريطانيا وقبرص ، واسم بريتانيا مثلاً مشتق من اسم الالهة بارات "الهة مدينة بيروت الفينيقية وهو أحد أشكال الألهة عشتاروت حملها الفينيقيون معهم عبر مضيق جبل طارق فاعطت اسمها للجزيرة البريطانية . وكان الصليب رمزها الأساسي نراها محملة به بيدها أحياناً وأحياناً أخرى نراه محفوراً على كرسيها"^(١٢) . ولعله من غريب الصدف أن تأخذ بارات أيضاً شكلاً عشتارياً مختلطاً بالمشولوجيا المصرية ، كما نرى في هذه الأشكال الثلاثة للالهة بارات .



شكل (٤٣) : الالهة بارات

١. الاصل المصري العشتاري للالهة بارات

٢. ٣. بارات كما يصورها عمل فني مصري وبيدها اليسرى الصليب او عصا الملكية . وتظهر الكتابة اللاتينية من العصر القبطي المسيحي .

أما تسمية (ربة عمون) فهي تسمية حديثة نسبياً حيث كلمة (ربة) تطلق على المكان مثل كلمة ربوة وهناك ربة مؤاب وربة جرش ولا تعني هنا اسماً مقابلاً لكلمة (الهة) .

ويحق لنا الآن أن نسأل : ما اسم الالهة الانثى التي عبدها العمونيون في فترة مملكتهم من حوالي (١٢٠٠ - ٦٠٠) ق.م. هل كان اسمها عمون كما اسلفنا أم ماذا ؟ صحيح اننا نعرف انها عبدت في الفترة الهيلينية والرومانية باسم تاكي . وهذا ما سترجؤه الى مثولوجيا تلك الفترة ولكن ما اسمها ومن هي في هذه الفترة ؟



أرى أن هذه الإلهة لم تكن اسماً ثابتاً نستطيع اعتماده ولكننا ربما كان بإمكاننا إطلاق تسمية عشتار ملكوم . أي الالهة رفيقة الاله الرئيسي لمدينة عشتار جبريا على ما سنلمسه في مؤاب عندما نرى إلهها الرئيسي اسمه (كموش) والهة الرئيسية اسمها عشتار كموش . لذلك نقترح ان نسميها (عشتار ملكم) (هذا بالاضافة الى احتمال ان يكون اسمها عمون كما اسلفنا) .

وقد تكون منحوتة السيدة ذات الوجه المزدوج المعروضة في متحف عمان هي هذه الالهة لأن في نحتها ما يدل على اختلاف عن شكل امرأة اعتيادية .

شكل (٤٤) : عشتار ملكوم - الهة العمونيين الاولى

ملكوم

يعتبر ملكوم أو (مالكوم) أو (مولك) كبير آلهة العمونيين . ويرجع هذا الاله في جذوره الى الاله الفينيقي في صور (ملكارت أو ملقارت) وهو بعل صور وهذا الجذر الكنعاني يعطيه صفة الخصوبة . وهو إله طقسي زراعي يرعى احتفالات البذار والحصاد ومكاثره الحيوان ، ويرعى علاقات الحب والجنس بين الرجال والنساء . وبقينا أن هذه الصفة التموزية أو البعلية التي يملكها (ملكوم) تضعه في صف بعل بيبيلوس (أدونيس)

لقد استتر اسم البعل الكنعاني في أسماء محلية مثل ملكارت السوري وأدونيس الببيلوسي ويهو العبراني وملكوم العموني وكموش المؤابي وقوس الأدومي وذي الشرى النبطي . وقد اكتسب وهو يتنوع في هذه الأسماء صفات الأقوام التي عبدته والبيئة التي نشأ فيها . وظهرت فيه عناصر جديدة ساهمت في قلب بعض وظائفه وجعلته في موقع آخر رغم ان (بعل) أصلاً جمع في شخصيته المتناقضات .

ونرى أن الجذر البعيد للإله (ملكوم) و (ملكارت) يعود في تسميته الى الإله البابلي (مردوخ) أو (ملك) الذي يعني اسمه (عجل الشمس) ، وهو الإله الذي كان يلقب في ملحمة الخليقة البابلية بـ(ملك الآلهة) بعد انتصاره على قوى العما وخلق الكون والانسان . وإذا تمنا في تسمية - (مردوخ) أو (مردوك) الآلهة فسنجد أن كلمة (ملك) لها علاقة بـ(مردوخ) وأن كلمة (ملكوم) تلفظ أحياناً (مولوك) وهذا قد يعني أن الكلمة تطورت بهذا الشكل :

مردوخ ————— مردوك ————— مولوك ————— ملك ————— ملكوم وملكارت ... الخ

وتتناسب صفات ملكوم مع صفات مردوخ ، فهو ملك الآلهة العمونية الذي كانت تقدم له الاضحيات ، وتقام له الطقوس في وقت معين من السنة . وكان هذا الإله هو الذي يرعى ملوك العمونيين وباركهم ، وقد ورد ذكره كثيراً في العهد القديم .

ويبدو أن ملكوم كان يجب الذبائح البشرية ولاسيما الأطفال وهي عادة دينية نزحت من عبادات النيوليث كما أسلفنا ، وقد صنع العمونيون للإله ملكوم "صنماً من نحاس جالساً على عرش من نحاس أيضاً وجعلوا له رأس عجل ووضعوا على رأسه إكليلاً وكان العرش والصنم مجوفين ، وكانوا يشعلون في التجويف ناراً حامية حتى إذا بلغت حرارته درجة الحمرة وضعوا عليها الذبيحة واحترقت عاجلاً . وفي أثناء ذلك كانوا يدقون الطبول لمنع سماع صراخها . ثم يفرق الناس وهم يضرعون الى الإله ان يحقق آمالهم التي قدمت الضحية من أجلها" (١٢) .

ورغم ان التوراة تذكر الإله ملكوم بالكثير من الغضب وتصفه بـ(الرجس) الا ان اليهود سقطوا مراراً في عبادته ومارسوا طقوسه وكانت واحدة من الأماكن التي مارسوا فيها عبادته جبل الزيتون في وادي هندم مقابل الهيكل المقدس في القدس .

(٢)

المثولوجيا المؤابية

مقدمة تاريخية

المؤابيون مجموعة من القبائل السامية الأصل التي كنت تسكن الصحراء السورية وبحكم طبيعتها البدوية هاجرت من اماكن اقامتها الاولى بعد رحيلها اقواماً بدوية أخرى كانت تسكن وسط الأردن وهي قبائل (الشاسو) وتعاملت معها بشكل ودي . واستطاع المؤابيون الانصهار مع سكتة مؤاب الاصليين من الايمين (وهم قبائل كنعانية) بسبب من نشاط المؤابيين الزراعي ، فسيطروا على البلاد سياسياً ، وانتقل حكم مؤاب الى يد المؤابيين واتخذوا مدينة الايمين (إمية) أو (بالوعة) عاصمة لمملكتهم . ثم بدأ بالتوسع بعد القرن الثالث عشر ق.م وامتد نفوذهم لأربع مدن هي (حشبون ، ديبون ، ينفعه ، ميدبا) إضافة الى حازر وقرياتم وبعل بور ، واطلق على منطقة نفوذهم (عربوت مؤاب) .

وازاء هذا التوسع هاجم الاموريون شمال منطقة النفوذ هذه بقيادة شيحون . واحتلوا حشبون ثم احتلوا بقية المدن المؤابية الشمالية (شمال وادي أرنون) . لكن الاسرائيليين بعد وقت هزموا شيحون فانتشرت القبائل المؤابية وظهر الملك المؤابي (بالاق بن صفور) الذي كان كاهنه النبي المؤابي أو العراف المؤابي (بلعام) . وحين دخل الاسرائيليون مدينة شطييم الأمورية التي يسكنها المؤابيون عبدوا الاله (بعل ففور) هم وأهل مؤاب وقدموا الذبائح له وتزوجوا من النساء المؤابيات .

وحين مات موسى دفن في أرض مؤاب مقابل بيت بور او بيت ففور التي تقع في أرض مؤاب . وفي هذه الأثناء وحّد المؤابيون قبائلهم تحت قيادة واحدة ، وارغمت ادوم الاسرائيليين على تغيير وجهة تقدمهم والابتعاد عن أدوم ، ففعلت مؤاب مثل هذا وارغمتهم على البقاء شرق ادوم مما اضطرهم الى السير شمالاً دون أن يدخلوا مؤاب . وهذا أول أسباب عدواة طويلة قادمة بين المؤابيين والاسرائيليين .

قام المؤابيون بعد ذلك بطرد قبائل روبين وجاد الاسرائيلية من مناطق في شرق الأردن . ولم يتر ذلك حفيظة الاسرائيليين ، ثم أقام عجلون القائد المؤابي حلفاً مع العماليق والعمونيين وتوسعت مؤاب تحت ظل هذا الحلف واصطدمت بجماعة من بنيامين الذين قتلوا عجلون غدرأ . بعد أن بعثوا له (اهود) ليدفع له الجزية فلما دفعها ضربه بالسيف

المخفي تحت ثيابه . وفر (اهود) الى جبال أفرام وقام بتحريض قومه على حرب المؤابيين فحاربوهم . وكانوا في فوضى عظيمة بعد وفاة ملكهم فانهزموا وارتدوا عبر النهر الى الضفة الشرقية وتغلب البنيامينيون على مؤاب .

وبعد زمن أعاد المؤابيون نفوذهم الى المناطق الشمالية . عندما بدأ الملك العموني (نحاش) يضرب القبائل المقيمة شرق النهر .

وعندما فر داود من شأوول التجأ الى مؤاب ضيفاً لكنه عندما استلم الحكم بعد شأوول أصبح عدوا لدوداً لمؤاب . وأجبر بعض المناطق على دفع الجزية ثم قام ابنه سليمان بالزواج من ابنة ملك مؤاب للحفاظ على نفوذه وقام بتشييد معبد مؤابي للاله كموش في الجنوب الشرقي من القدس . ويبدو انه أقام للاله العموني ملكوم معبداً آخر وكذلك للالهة عشتار الهة الصيدونيين .

وما أن مات سليمان حتى ثارت عليه كل الشعوب المجاورة التي كانت تدين له بالولاء . وأعادت مؤاب نفوذها غربي النهر ووصلت شمالاً الى ميدبا . لكن الاسرائيليين عادوا الى مؤاب ايام عمري (لأن الاله كموش كان غاضباً على مؤاب) لكن الملك المؤابي (ميشع) ثار على الاسرائيليين خلال حكم احاب ثم خلال حكم ابنه يهورام . وامتنعوا عن دفع الجزية . فشن يهورام حرباً على مؤاب . وقام ميشع بطر الاسرائيليين منطقة بعد اخرى ووحد البلاد . لكن الاسرائيليين حاولوا حصار ميشع حيث تحالفت مؤاب مع أدوم . فنهضت مؤاب واصطدمت بأدوم أولاً ثم تصالحا وشنا حرباً مشتركة ضد يهوذا . لكنهم لم يربحوا الحرب وظل ميشع قوياً في الحكم ثلاثين سنة وكانت اكبر فترة عمران في تاريخ مؤاب .

وبعد أن مات ميشع تقدم الملك الآرامي حزائيل وضرب الاسرائيليين وكان هذا بداية سيطرة الآراميين على المنطقة وبداية ضعف مؤاب وتلاشي مملكتها بالتدريج خصوصاً وأن الآراميين مهدوا . باضعافهم دول المنطقة . الطريق للأشوريين كي يتسيدوا عليها .

ثم اصبحت مؤاب ولاية بابلية ومع نهاية القرن السادس ق.م تلاشت مؤاب ولم يعد لها ذكر .

وفيما يلي جدول بأسماء ملوك المؤابيين نقلًا عن (محمود أبو طالب) كتاب أثار
الأردن وفلسطين^(١٤)

اسم الملك	مكان ذكره وسنوات حكمه
١. بالاق بن صفور	العهد القديم
٢. كموش ياتي	ذكر في نقش ميشع ونقش الكرك
٣. ميشع	ذكر في نقش ميشع وفي الاصحاح الثالث من سفر الملوك وكان معاصراً جزئياً لكل من اخاب (٨٧١-٨٥٢) ق.م. وابنه اخازيا ويهورام .
٤. سلمانو	ذكر في اخبار سنة ٧٢٢ من حوليات الملك الآشوري تغلات . بيلاصر الثالث .
٥. كموش ناداب	ذكر في اخبار سنة ٧٠١ في احدى نقوش الملك الآشوري سنحاريب
٦. موسوري	ذكر في احدى نقوش الملك الآشوري اسرجون وآشوربانيبال
٧. كاماشالتو	ذكر في احدى نقوش الشوربانيبال

جدول (٩) : قائمة بأسماء الملوك المؤابيين الذين حكموا مملكة مؤاب

المثولوجيا الموابية

الاله بعل بور

تكاد المثولوجيا الموابية تكون الأقرب من العمونية والادومية الى المثولوجيا الكنعانية . فاقدم ما عرفناه معها هي العبادة الطقوسية المصاحبة لشعائر الزراعة والجنس والخمر والطعام للاله (بعل) . ويبدو أن ظهور هذا الاله بشكل واسع وكبير في بداية التأريخ الموابي يؤكد استيطاننا كنعانيا مبكرا في مناطق مواب كان قد حصل في العصر الحديدي ، ولعل الايميين الكنعانيين المكونيين من قبائل الرفانيين والزمزميين كانوا يمثلون مثل هذا الوجود الكنعاني وربما اثرت عبادتهم على القادمين الجدد الى أرض مواب .

ويبدو أن أساطير الاله بعل كانت كلها حاضرة عند الموابيين ويمكن العودة اليها في المثولوجيا الكنعانية . ومعروف ان عبادة الأله بعل التي "تجعله تجسيدا لروح النبات التي تموت وتحيا في كل عام . لا تصمد أم النقد ، كما ان التفسيرات الاخرى التي تفسر اسطورة بعل بوجود دورة مناخية في سوربة القديمة ، كانت تسبب في حصول جفاف الأرض وندرة المطر كل سبع سنوات وهي تفسيرات ضعيفة رغم اننا لانستبعدا تماما ؛ والحقيقة في رأينا ، أن تفسير هذه الأسطورة يجب أن ينطلق من فكرة التجديد الدوري للقوى الالهية ، وهي فكرة قائمة في مثيولوجيا وطقوس بعض الثقافات البدائية الحديثة . وثقافات اخرى موغلة في القدم"^(١٥) . وهذا يعني ان فكرة تجديد قوى اله الخصب بعل تستحضر فكرة موته ، وهكذا ظهرت اسطورة موت بعل ونزوله الى العالم السفلي مكمله لاسطورة غنجه وترفه وخصوبته والتغني بقواه الجنسية وخصوصا اذا حملت الطبيعة روحا جافة صحراوية قاسية بين فترات الخصوبة واذا أخذ الجفاف طابعا دوريا وهذا يعني أن امكانية تبدل البعل الى اله قاس وقوي جاف واردة جدا كما حصل مع الاله (حدد) السوري .

وفي مواب حفلت المثولوجيا الأولى بظهور هذا الاله بشكله الجنسي الخصيب وكان يأخذ في الغالب اسمين احدهما (بعل-بور أو بعل فغور) و (بعل-معون) ويرجح ان يكون الاسم الثاني اسم مكان . اما الاسم الاول فقد "اطلق النبي دانيال اسم (بشت) على الاله

بعل بور ، والاسم (بور) له علاقة بجذر الكلمة (بعر) والتي تعني في اللغة الاوغاريتية (ان تمنحه اسماً) اي (سمة) كذلك تعني (يصرخ) أي (يعلن) كما انها تعنى بالعبرية والسريانية (ان يفتح على مصراعيه ، أي فاغر من التعجب وبالنتيجة فإن هذه الكلمات التي وردت في دانيال لم تساعدنا على معرفة طبيعة الاله بعل بور^(١٦) . وهذا يعني ان الاله بعل المؤابي يتصف بصفتين فهو إما فاغر الفم يصرخ أو انه جاف وقاسي ، والكلمة (بور) جمعت في تكوينها معنى الخصب والجفاف لأنها يمكن أن تدل على الأرض البور . وهكذا حمل بعل المؤابي منذ البداية وجهي الخصوبة والجفاف ، ويتناسب هذا مع طبيعة أرض مؤاب الصحراوية والخصبة في آن .

لقد كان النبي أو العراف المؤابي (بلعام) متعبداً للاله (بعل) في مؤاب وكان يقدم له الأضاحي ويقوم بالطقوس الخاصة به وكان يرافق الملك (بالاق) الى معبده لتقديم الأضاحي ومرة "طلب بلعام من بالاق أن يقوم بإنشاء (٧) مذابح كما ان عليه ان يقوم بتقديم الأضاحي من الكباش والثيران لكل واحد منها ... هذا وقد مر معنا ان الفتيات المؤابيات قد طالبن من الاسرائيليين الذي ضربوا بخيامهم في شطيم ان يقدموا النذور والأضاحي الى الههم بعل بور وخلال قيام الاسرائيليين بهذه الطقوس انغمسوا في العلاقة الجنسية والتهام اللحوم التي قدمت اضاحي للاله"^(١٧) .



شكل (٤٥) : الاله المؤابي المحارب الذي يشبه الاله بعل من رأس الشمرا (اوغاريت) في شمال سوريا / من منطقة رجم العبد على حافة جبل شيحان حوالي القرن الثاني عشر أو الثالث عشر ق م .

لقد ظهر الاله بعل المؤابي ذو النزعة الحربية من جذر كنعاني قديم فقد حملت الأساطير الكنعانية أفكارا عن صراع الخصوبة والجفاف ممثلة بصراع (بعل) و (موت) الى العالم الاسفل حيث تظهر صفات (بعل) الخيرة التي هي ارتفاع شأن الحضارة وال عمران والخصب والحب والجمال والتي يحاول الاله بعل توفيرها للانسان من خلال حمله وحراسته لهذه الرموز ومن ثمّ مناولتها للانسان وكان يستعين بقوى الطبيعة فيسخرها للانسان كالمطر وخصوبة الأرض ، أما صفات الاله (موت) فمعاكسة بالكامل فهو اله الموت والجفاف والتدمير والفوضى والكره والقبح ، ويربص الاله موت بالانسان طيلة حياته فيقتنص روحه حين يضعف الانسان ويتهاوى ليسقط في العالم الاسفل (عالم الموت) بل ويسبب للانسان أثناء حياته المشكلات والآلام والأمراض والكوارث علّه يجعل بموته .

واللقاء بين بعل وموت في الميثولوجيا الكنعانية يتم كل سبع سنوات ويشير هذا الى زمن دوري كان في بلاد الشام يظهر فيه الجفاف كل سبع سنوات ، وهذا يختلف عن الصراع بين تموز والعالم السفلي في الميثولوجيا الرافدينية الذي يحصل مع بداية الصيف من كل سنة ، ويقترب من الميثولوجيا المصرية حول صراع (اوزوريس) مع (ست) . وحين يُقتل بعل يحل الجفاف وتسود قيم (موت) السلبية ويرحل بعل الى العالم الأسفل ولكنه يعود مع ظهور بواكير الخصوبة الزراعية ليصارع أتباع موت وتقوم زوجته (عناة) بقتل (موت) وتقطع جسده في الحقول فتستعيد الأرض خصوبتها وتعود الحياة لطبيعتها .

ان جوهر هذه الأسطورة الكنعانية ظلّ يجمع حوله حكايات وافكار وخيالات محلية متعددة في بلاد الشام وما (بعل بور) المؤابي الا واحداً منها .

الاله كموش والمثلث الذكوري

ورث الاله (بعل بور) في مرحلة لاحقة (كموش) وهو الاله الكبير والقوي للمؤابيين . ويبدو ان تحول صفات (بعل بور) نحو الجفاف والقسوة والحرب تتناسب مع حياة المؤابيين التي ملأتها الغزوات والحروب مع جيرانها ولذلك اكتملت صورة (بعل بور) لاحقاً في شكل (كموش) حيث تحول نهائياً الى اله للحرب والجفاف (تمثله الشمس) وهكذا نلمح في هذه المرحلة وهي مرحلة التكون السياسي والاجتماعي لمؤاب ظهور اله واحد يقع على رأس

المثولوجيا المؤابية هو (كموش) الذي يظهر معه الهين آخرين كمثلث ذكوري يرمز تحديدا الى صفات الاله (موت) الكنعاني . وهذان الإلهان هما الإله (عزيزو) أو (أزيزو) الإله الخيال والذي يوصف دائما بأنه اله الحرب والقتال وأصنامة الصغيرة التي تظهره دائما وهو يمتطي خيولاً استعداداً للقتال .



شكل (٤٦) : منحوتات صغيرة تمثل الإله (كموش) أو الإله (عزيزو) أو كليهما وهما إله الحرب والقتال عند المؤابيين . ويوصف كل من هذين الخياليين دائما عند الآثاريين باسم (راكب الحصان)

ويخيّل لنا أن اسم الإله (أزيزو) مشتق من صوت الرعد فالأزيز "هو صوت الرعد وصوت غليان القدر والأزُّ التهيج والإغراء ومنه قوله تعالى {وتؤزهم أزا} أي تغريهم بالمعاصي"^(١٨) . وقد ظهر الإله عزيزو كثيراً في المثولوجيا العربية خصوصاً عند عرب الجنوب فقد ظهر في نصوصها بالاسمين "Azizos) أزيزوس وكان يتقدم الشمس عند شروقها و (Monimos) مونيموس وكان يتبع الشمس حين غروبها . والكوكب الوحيد الذي يتقدم الشمس عند ظهورها ويظهر وراءها عند غروبها هو كوكب الزهرة ، ولذلك نستنتج أن الزهرة كان الهاً ذكراً أخذ دور الأبن في الثالوث المقدس عند عرب الجنوب وحمل اللقبين (العزيز - أزيزوس) و (المنعم - مونيموس) ويذهب بعض الباحثين الى انه

المقصود بالنجم الثاقب في القرآن الكريم^(١٨) . ويُخيل لنا بهذا القدر أو ذاك ان كلمة (عزيز) تدل كما هي على شخص قريب من النفس وعزيز ولكنها تعني أيضا ما يدل على (العزاء) وهو الحزن على الاموات . ولانعدم ان تكون هناك علاقة بينه وبين الألهة السامية الجزرية (العزى) التي ستظهر في النظام المتولوجي النبطي وهي تمثل الهة قاسية مهيبة .

ولن نغالي اذا قلنا ان واحدا من اسماء الله الحسنى وهو (العزيز) له جذر لغوي في اسم هذا الاله مثلما هو اسم (الرحمن) المرتبط بجذر لغوي في اسم الاله (رامان أو هدد - رامان أو رحمانو أو رحمان) وقد يفرينا البحث في هذا ونرى بأن الأسماء الحسنى في حقيقتها ترتبط بوشائج لغوية مع أسماء آلهة قديمة ذابت في اسم الله الواحد الأحد وصارت صفات أو أسماء له . وهناك ما يشبه هذا حين أصبحت صفات الاله البابلي (مردوخ) خمسين اسما لآلهة حوله بعد أن توج ملكاً على جميع الآلهة في اسطورة الخليقة البابلية .

الاله الثالث في المثلث الذكوري المؤابي هو الاله (حورنان) وهو إله الحياة الأخرى أو العالم الأسفل أي أنه إله الموت تحديداً ويذكرنا هذا الإله بالإله الكنعاني (خروون) . ولانستطيع أن نعرف على وجه الدقة ما اذا كان "هذا الاله من بين الآلهة التي كانت تمارس عبادتها هنا ، ان الاحتمال الوارد أن (الأميين) هم الذين نقلوا عبادته من أرضهم الى أرض مؤاب"^(١٩) .

لقد قلنا أن هذا الثالوث الالهي الذكوري يذكرنا بالاله (موت) الكنعاني . ولكننا نجد إشارة واضحة على أن الإله (كموش) كبير هذا الثالوث قد "ورد في القائمة البابلية جنباً الى جنب مع اسم الاله نرجال . وقد كان سبب جمع الناسخ لأسماء هذه الآلهة في قائمة واحدة راجعا الى أن ديانتها متشابهة ، أو انها تشترك في دين واحد . علماً بأن هذه القائمة لاتذكر ان نرجال هو كموش . غير أنها تذكر أن ديانة كموش تشبه ديانة نرجال بأن كليهما إله للحرب"^(٢٠) . وبذلك تكتمل صورة كموش مع صورة نرجال تماماً لأن (نرجال) اله العالم السفلي البابلي وزوجته (اريشكيجال) يحكما هذا العالم ، ويخفي نرجال في أعماقه البعيدة شخصية إله سماوي قبل أن تجره أريشكيجال الى العالم السفلي وتزوجه . فهو اله مقتصب رفض وهو في الاعالي سطوة أريشكيجال ، اي انه كان يعاكسها في الاتجاه

وربما مثل وهو في صف آلهة السماء وظيفة إخصابية ، لكنه انحدر بعد ذلك الى مقام العالم الأسفل وورضي بأن يكون إله الموتى وإله الحروب وإله الأمراض وإله الحرب وكل هذه الصفات تردد صفات كموش وثالوته .

وعند فحص الجذر اللغوي لاسم الاله (كموش) نجد ان هناك احتمالين لمصدر اسمه . الأول محرّف عن اسم الاله الأدومي (قوس) أو (كوش) وكان رمزه (قوس قزح) المرتبط بالشمس بعد المطر ، وفي هذا ما يوحي باجتماع الجفاف والخصوبة أيضاً .

أما الاحتمال الثاني فهي اشتقاق هذا الاسم مباشرة من اسم اله الشمس البابلي (شمش أو شموش) وهناك من يرى أن أصل الاسم هو (اكو) و (ماشو) حيث أن كلمة (اكو) تشير الى (أخو) وكلمة (ماشو) تشير الى الشمس فيكون اسم الاله هذا هو (أخ الشمس) وهذا أيضاً يتطابق مع صورته التي عبد فيها في مؤاب .

ويتردد ذكر الأله كموش في أناشيد السخرية الأمورية التي كانت جذراً لأناشيد السخرية العبرية ، كما يتردد ذكر الإله كموش كثيراً في أسفار العهد القديم . وقد اعتقد المؤابيون أنه لم يكن بالإمكان الانتصار على الاسرائيليين لولا إله الحرب (كموش) الذي أمر بإعلان الحرب عليهم ثم ضمن لهم النصر ، فقدمت له الفنائم في معبده وقضي على أسرى الأعداء تبركاً له ، ويبدو أن الاسرائيليين عبدوا هذه الإله في وقت ما .

الاله كموش ومسلة ميشع

تقدم لنا مسلة ميشع (ملك مؤاب) صورة واضحة لأهمية هذا الاله في حياة المؤابيين ودوره في كسب حريهم ضد الاسرائيليين . وفيما يلي هذا الملخص الوافي لما تضمنته مسلة ميشع التي نصبت في ضاحية قرحة في معبد كموش عام ٨٤٢ ق م :-

كان الاله كموش غاضباً على مؤاب فسلط عليهم ملك اسرائيل عمري ثم ابنة آخاب فاذلاً مؤاب ، ولما أصبح ميشع ملكاً على ذيبان عاصمة مؤاب أمره كموش بمقاومة ملك اسرائيل فقام ميشع بالأعمال الحربية التالية :

(١) انتزع أرض مآدبا فبنى للإله كموش معبداً مرتفعاً في قرحى وبنى مدينتين .

٢) انتزع أرض عطرت (خربة الطاووس) وأسر الحاكم الاسرائيلي فيها وسحبه أمام الاله كموش ، فارتاح كموش وهنى .

٣) أمره كموش أن ينتزع منطقة (بنه) ، ولعلها (نبو) ، فهي، ميشع جيشاً وداهمهم ليلاً وحارب حتى ظهيرة اليوم الثاني وقتل الاسرائيليين فيها (سبعة آلاف رجل وأمرأة وصبي وبنت) كأضاحي للالهة (عشتر كموش) . أما الاله كموش فقد وضع بين يديه (موقد يهوا) اله بني اسرائيل هدية له .

٤) أمره كموش بأن ينتزع مدينة (عليان) أو (يهص) فانتزعها و اضافها لمملكته ثم بنى ثلاث مدن بأبوابها وأبراجها ، وبنى قصراً وأقام آباراً في بيوتهم ، وجعل أسرى بني اسرائيل يقطعون الأشجار في قرحة ، وبنى مدينة (عرعر) وعبد طريقها الى نهر (ارنن) الذي يصب في بحيرة لوط ثم بنى مدينة (ام العمدة) وبنى معبد (بيت باموت) المخرب ، وثلاثة مدن جعلها صالحة لرعي الأغنام ، وكان شيوخ ذيبان الخمسون معه ، وخضعت له مائتا مدينة حول ذيبان .

٥) أمره كموش أن ينتزع (حورنان) وهي (خربة الذباب) فانتزعها مع مدن اخرى . وكان الإله كموش يباركه في كل مرة .

وزيادة في الاطلاع ننشر الترجمة الكاملة لنص مسلة ميشع للدكتور فواز طوقان^(٢١) .

نقش الملك ميشع

- ١ - انا ميشع بن كموشيت ملك مؤاب الديباني .
- ٢ - ابي ملك على مؤاب ثلاثين سنة . وأنا ملكت .
- ٣ - بعد ابي . وانشأت معبداً (اهراما) لكموش ، بقرحي . ولقد بنى ذلك .
- ٤ - بسرور لأن كموش اعانني على قهر كل الملوك ، ولانه اشممتني بكل اعدائي المبغضين . اما عمري .
- ٥ - ملك اسرائيل ، فقد اضطهد مؤاب طويلاً ، ذلك لان كموش اضحى مكروها .
- ٦ - بارضه . وخلف عمري ابنه فقال هو الآخر : (سااضطهد مؤاب!) اجل ، لقد قال شيئاً كهذا الكلام .

- ٧ - ولكن كموش جعلني اراه مهزوما من امامي ، هو واليه . وبادت اسرائيل ، بادت الى الابد . ولكن عمري قد ورث ارض .
- ٨ - مادبا . فاقام بها مدة حكمه . كما اقام بها الاسرائيليون من بعده . مدة تبلغ نصف حكم ابناء عمري . فجميع ما اقاموه بلغ اربعين سنة .
- ٩ - وارجع كموش مادبا في ايام حكمي ولقد بنيت خربة معين وحفرت فيها تلك البركة . ولقد بنيت .
- ١٠ - خربة القريات . اما شعب جاد فقد كان يسكن خربة عطاروس من زمن قديم . وكان ملك اسرائيل قد بنى لشعب جاد .
- ١١ - خربة عطاروس . والتحمت بالمدينة مقاتلا ، وافتتحها . وذبحت كل سكان .
- ١٢ - القرية لاجل كموش ومؤاب . ورددت من هنالك موقد ايل اله ملك اسرائيل المحبوب .
- ١٣ - وسحبته الى بين يدي كموش بالقرية . واسكنت بالقرية شران وشعب .
- ١٤ - محرت . وقال لي كموش : (اذهب ! خذ بني اسرائيل) .
- ١٥ - فذهبت في نفس تلك الليلة ، واشتبكت بالمدينة من وقت تبين الخيط الابيض من الاسود حتى الظهر .
- ١٦ - وافتتحها ، وذبحت كل سكانها ، وعددهم سبعة الاف ، رجالا وصبياناً ونساء وبناتاً .
- ١٧ - واماء . ذلك لانني ضحيتها لعشتر كموش . كما انني اخذت من هنالك موقد .
- ١٨ - يهوه وسحبته جميعاً حتى وضعتها بين يدي كموش . وكان كملك اسرائيل قد بنى .
- ١٩ - عليان وقت محاربته اياي ، ولكن كموش طرده من امامي .
- ٢٠ - واخذت من مؤاب مؤبتي رجل وهم قوام فرقته العسكرية . ثم قدتهم ضد عليان . وافتتحها .
- ٢١ - مضيفا اياها الى مملكة ذيبان . وان الذي بنى قرحي ، وهي حمى اليعرن (؟) وبنيت كذلك سور .
- ٢٢ - الاكروبولس في قرحي . وانا الذي بنى ابواب قرحي واسوارها .
- ٢٣ - وبنيت موقع بيت ملك . وانا الذي حفر كلا البركتين للماء بداخل .
- ٢٤ - المدينة . ذلك لان المدينة كانت خالية من أي بشر . فقد قلت يومها للشعب : (ليحفر

٢٥- كل رجل منكم ينثر بداخل بيته). وان الذي قطع الأخشاب بأيدي الأسرى
الأسرائيلين لقرحي .

٢٦- وقد بنيت عراعر . وعبدت الطريق في وادي الموجب .

٢٧- وأنا الذي بنى بيت بموت لانها كانت مهدومة هدماً . وأنا الذي بنى ام العمد لانها
كانت وقد اصببت بسوء .

٢٨- كبار القوم في زيبان كانوا خمسين بالعدد . فزيبان كانت كلها خاضعة لي . وأنا
ملك

٢٩- ... على مئتي مدينة قد أضفتها الى المملكة . وبنيت

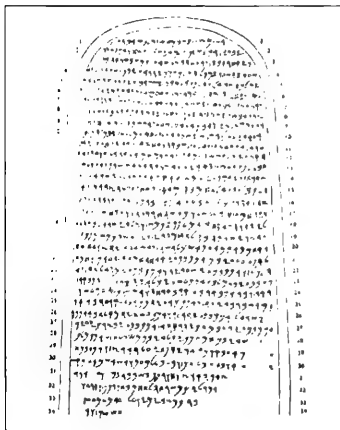
٣٠- مادبا وخربة دليلة الشرقية وخربة معين . وهناك اطلقت النقد (وهو نوع من
الغنم صغير الارجل)

٣١- ... وضان المملكة لكي ترعى الكلا . وأما خربة الذباب فقد سكنها ...

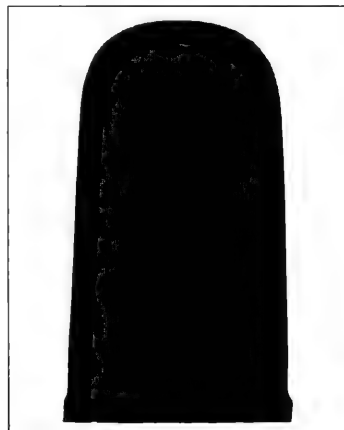
٣٢- ... وقال لي كموش : (انزل والتحم بخربة الذباب!) فنزلت والتحمت ...

٣٣- وأعادها كموش بايامي . وكان بقربها من الطرف البعيد عشر ...

٣٤- سنة اربع واربعين . وأنا ...



شكل (٤٨) : تخطيط حرفي بالكتابة الحوالية خمسة مئتين



شكل (٤٧) : صورة لمسلة ميشع

الأبجدية المصرية القديمة	الأبجدية المصرية الحديثة	الأبجدية الفينيقية القديمة	الأبجدية الفينيقية الحديثة	الأبجدية الغريكية القديمة	الأبجدية الغريكية الحديثة	الأبجدية اللاتينية الحديثة	الأبجدية اللاتينية الحديثة
Α	Α	Α	Α	Α	Α	A	A
Β	Β	Β	Β	Β	Β	B	B
Γ	Γ	Γ	Γ	Γ	Γ	C	C
Δ	Δ	Δ	Δ	Δ	Δ	D	D
Ε	Ε	Ε	Ε	Ε	Ε	E	E
Ζ	Ζ	Ζ	Ζ	Ζ	Ζ	F	F
Η	Η	Η	Η	Η	Η	G	G
Θ	Θ	Θ	Θ	Θ	Θ	H	H
Ι	Ι	Ι	Ι	Ι	Ι	I	I
Κ	Κ	Κ	Κ	Κ	Κ	K	K
Λ	Λ	Λ	Λ	Λ	Λ	L	L
Μ	Μ	Μ	Μ	Μ	Μ	M	M
Ν	Ν	Ν	Ν	Ν	Ν	N	N
Ξ	Ξ	Ξ	Ξ	Ξ	Ξ	O	O
Ο	Ο	Ο	Ο	Ο	Ο	P	P
Π	Π	Π	Π	Π	Π	Q	Q
Ρ	Ρ	Ρ	Ρ	Ρ	Ρ	R	R
Σ	Σ	Σ	Σ	Σ	Σ	S	S
Τ	Τ	Τ	Τ	Τ	Τ	T	T
Υ	Υ	Υ	Υ	Υ	Υ	U	U
Φ	Φ	Φ	Φ	Φ	Φ	V	V
Χ	Χ	Χ	Χ	Χ	Χ	W	W
Ψ	Ψ	Ψ	Ψ	Ψ	Ψ	X	X
Ω	Ω	Ω	Ω	Ω	Ω	Y	Y
Α	Α	Α	Α	Α	Α	Z	Z

جدول (١٠) : يوضح الأبجديات القديمة . وتظهر الكتابة الموابية ضمن الأبجدية الفينيقية القديمة (الرابعة من اليمين) وهي التي كتب بها نص مسلة ميشع

لاحظنا في مسلة ميشع المكانة الكبيرة التي يحتلها الإله كموش ، فهو عندما يغضب تندحر البلاد ويحتلها الأعداء . وعندما يهنا تنتصر ويعلو شأنها وقد لفت انتباهنا في الأوامر الخمسة التي أمر بها كموش ميشع لتحرير مؤاب من الاسرائيلين أن الفعل كان يتم بمباركة . ثم يقوم ميشع بتقديم هبة لكموش أو لعشتار . (وقد اتضح لنا أن عشتار كموش تحب ضحايا الحرب وتأنس بقتل الأسرى) ، ثم يقوم ميشع بعد ذلك أحيانا ببناء مدن جديدة . إن هذه المتلازمة الإلهية / الملكية من الأمر الى الفعل الى تقديم الهدية للإلهة الى بناء المدن لتتم عن تماسك السلطتين الروحية والسياسية في بلاد مؤاب .

لقد كان الإله كموش هو الذي يحدد المدن التي يجب انتزاعها وكان هذا يتم عن طريق كاهنه الأكبر أو مباشرة عندما يزوره الملك . وعندما ينتصر الملك يكون هو الذي نصره ، ويقتل الأعداء كأضحيات له ولزوجته

ويقدم الأسرى خدماً له . وتقدم الغنائم له ، خصوصاً الغنائم التي تخص إله أعدائه (يهوا) . فقد قدم ميشع بين يديه (موقد يهوا) ويجب على الملك بعد أي انتصار أن يقوم بأعمال عمرانية باسمه وأولهم بناء معبد جديد له أو إعادة اعمار معابد قديمة .

تتكون معابد كموش من مذبح على مرتفع تتقدمه ساحة عامة تسمى (بماه) وكانت تقدم له الاضاحي من العجول والكباش دلت عليها آثار ولقى . وقد قدم ميشع ابنه كضحية بشرية للاله (كموش) ، ولم يكن هذا التقليد شائعاً ، ولكن المأزق الذي وقع فيه ميشع عندما تحالفت ضده فيما بعد جيوش اسرائيل ويهوذا وأدوم جعلته يتصرف امامهم بهذه الطريقة الرهيبة التي أجفلتهم وجعلتهم يتحسبون لانتقام الإله كموش ، الذي كانت

ستجعله مثل هذه التضحية جباراً في الانتقام من الأعداء . فانسحبت جيوشهم خوفاً ورهبة وتعالّت مكانة (كموش) .

يرتاح الإله (كموش) عندما تقدم له الأضاحي والغنائم التي كانت تسمى (حرم) وعندما يقتل الأعداء باسمه . وعندما يتصاعد البخور في معبده . وعندما تخطط وتحزز الدمى المقدمة له باعتبارها مصابة باليأس وهي بين يديه ترقيحه ليعيد إليها الثقة . وكان الناس يتركون في معبده خضلاً من شعر الرأس أو اللحية كشعيرة قتيشية (سحريه) قديمة تساعدهم في الحصول على ما يبتغون .

الإله نابو (نبو)

تشي تسمية الجبل المسمى حالياً بـ(صياغة) في مؤاب وهو جبل (نبو) أو (نابو) الذي ورد ذكره في العهد القديم وارتبط اسمه بموسى . تشي هذه التسمية بجذر ومصدر الإله الوافد الى منطقة مؤاب منذ عصور بعيدة . فالإله (نبو) هو إله الحكمة البابلي ثم الآشوري . وهو ابن الإله مردوخ . وكان ثاني إله بعد مردوخ يحتل أهمية قصوى في احتفالات رأس



السنة البابلية (أكيتو) . ولا نعرف على وجه الدق كيف انتقل هذا الإله من بابل أو آشور الى مؤاب . لأن اسمه قديم ويكاد يكون معبوداً قبل مجيء المؤابيين وتكوين مملكتهم "وحتى لو افترضنا أن الإله نابو قد تمت عبادته في أرض مؤاب غير أننا لسنا على يقين من أن المؤابيين هم الذين عبدوه . لأن هناك شعوباً أخرى كانت تسكن هذا المكان جنباً الى جنب مع المؤابيين" (٢٢) .

ويمكن للعموريين أو الكنعانيين قبلهم أن يكونوا قد نقلوا عبادته من وادي الرافدين الى مؤاب .

لقد ارتبط جبل نبو بالنبي موسى الذي يبدو انه صعد اليه ومات فيه أو على سفحه ونُصب هناك نصباً للشعبان قبل موته .

شكل (٤٩) : الإله نبو . ابن الإله مردوخ . إله المعرفة والحكمة .

عشتار كموش

أما الإلهة الأنثوية التي كان يتعبد لها المؤابيون (عشتار كموش) وهي زوجة الإله كموش ، ولانعرف ما إذا كانت تعبد في معبده أو أن لها معبداً خاصاً بها .. وواضح لنا أن وظيفتها كانت مرتبطة بوظيفة زوجها القتالية ، فالملك ميشع عند انتصاره على الاسرائيليين في نيبو (أو جبل الإله نبو) قتل لهذه الآلهة سبعة آلاف شخص بين رجل وامرأة وصبي وصبية .. وكان قتل الأضحاي البشرية كان من نصيبها ، ويعطينا هذا الأمر شعوراً بأن وظيفة عشتار أو عناة الخصيبة التي كانت ترافق الإله البعل قد ضحمت منها الجزء الخاص بقتلها للإله موت وتقطيعها لجسده ونثره في الحقول ثم تحولت مع (عشتار كموش) إلى وظيفة محاربة قاسية تذكر بالوجه المحارب القاسي للإلهة البابلية عشتار . وتذكر باختها (اريشكيغال) ملكة العالم الأسفل المتجهممة الغاضبة وزوجة الإله (نرجال) إله الموت والحرب والأمراض . وهذا هو جوهر الأمر ، فقد انقلبت الآلهة المؤابية بفعل الحرب والجفاف من آلهة خصيبة ممثلة بالبعل وزوجته إلى الآلهة المقابلة (نرجال واريشكيغال) .. ثم أسبغت على صفاتها معاني الحب والجمال والخصب .. في حين انهما يمثلان الحرب والموت والقسوة .. بل لنقل انصهرت هذه المعاني المتضادة كلها في إلهين : الأول ذكرى اسمه كموش والثاني انثوي اسمه (عشتار كموش) .

(٢)

المثولوجيا الأدومية

مقدمة تاريخية

بدأ الاستيطان الادومي قبل بداية العصر الحديدي بشكل محدود في قرى زراعية صغيرة شمال أرض أدوم . وفي جنوبها عند رأس النقب تكونت قرى صغيرة وقلاع ثم ظهرت المناجم وأماكن صهر النحاس في أدوم ، وظهرت بعض مظاهر الدين المصري نتيجة لامتداد نفوذ المصريين خلال حكم الأسرتين (١٩ ، ٢٠) أي في حدود (١٢٠٠ - ١١٥٠) ق.م .

وكانت أرض أدوم مسكونة من أقوام أطلقت عليهم التوراة اسم (الاميين) الذين سبقهم (العيصويون في سعيير) وكان قبلهم (الهوريون) . ورد اسم أرض أدوم في المصادر المصرية القديمة بمواقع أخرى مثل شوتو العليا والسفلى ، ومواقع كوشو او كوشان الواقعة جنوب الأردن التي كانت تسكنها أقوام بدوية .

بالإضافة للإميين ورد اسم قبائل الشاسو البدوية التي أقامت في أدوم وسعيير . وبذلك يكون الأدوميون قد اختلطوا وورثوا أدوم من (العيصويين - أبناء عيسو بن اسحاق بن ابراهيم - ، والإميين ، والشاسو ، والكوشو) وقد انصهر هؤلاء جميعاً في نظام اجتماعي وسياسي وكونوا فيما بعد مملكة أدوم . ويبدو أن أدوم كانت قد تكونت سياسياً عندما "طلب موسى من الأدوميين السماح له بدخول أدوم وهو يقود الاسرائيليين في التيه الصحراوي بينما كان مقيماً في قادش وارسل رسله ليطلبوا من الأدوميين أن يسمحوا لهم بعبور بلادهم في طريقهم الى فلسطين ، غير أن الأدوميين رفضوا السماح لهم بالمرور وردّوهم على أعقابهم"^(١) . ويوم توطدت سلطة الأدوميين أصبحت (بصره) أهم مدينة أدومية وبثابة العاصمة لأدوم .

ويبدو أن اسرائيل بقيادة شاؤول ثم داود قد خاضت حرباً مع أدوم وهزمتها ، فقد قام القائد الاسرائيلي يواب بقتل الأدوميين والتمثيل بهم . وكانت مصر تقدم العون لأدوم ولذلك استطاع (هدد) أن يعيد الحياة الى أدوم ويجعلها تنهض من جديد ، بل انها نجحت في القيام بثورة عارمة هزمت فيها دولة يهوذا . وقامت أدوم مباشرة بعد حلف مع العرب والفلسطينيين أيام ملك إسرائيل يورام (٨٤٧ - ٨٤٥) ق م ، ثم قام هذا الحلف بحاربة إسرائيل وانتقموا منها شرّاً انتقام ، وطلب يورام المساعدة من الملك (يوشافط) ملك يهوذا .

لقد جاءت ثورة أدوم . وكان قد تنصب فيها ملك قوي "مباشرة بعد ثورة الملك المؤابي ميشع وقضائه على فلول الإسرائيليين . وأصبح من الواضح بأن الممالك الأردنية قد وصلت الى درجة عالية من القوة في أوائل القرن التاسع ق م ، كما أننا نلاحظ ازدياد النفوذ الآشوري خلال هذه الفترة في فلسطين مما مهد السبيل الى استقرار أمور الممالك في شرق النهر . وكذلك سوريا حين استولى الملك الآرامي حزائيل على اسرائيل (١٥) .

تحالفت أدوم مع الملك الآشوري الزاحف نحو الشام (اددنيراري) واستطاعت بمساعدة الآراميين تحرير (ايلة) والاستيطان فيها وبسبب تحالفاتها الكثيرة هذه قامت أدوم بضرب يهوذا ، ثم احتل الفلسطينيون (حلفاء أدوم) أجزاء كبيرة من يهوذا . وبذلك امتدت حدود المملكة الأدومية الى النقب وتوسعت التجارة في هذه المنطقة وأنشأ الآشوريون في الأردن ما أسموه بـ(الطريق السلطاني) الممتد من شمال الأردن حتى جنوبه قادماً من دمشق . ثم عين الملك الآشوري (تجلات بالاسر) الملك الأدومي (قوس ملك) حاكماً على أدوم سنة (٧٣٥ ق م) ورغم أن الكثير من المدن الشامية التي كانت تدفع الجزية لآشور ثارت على آشور ، الا ان أدوم ظلت محتفظة بعلاقات جيدة مع الآشوريين . ثم عززت غزوات سرجون الثاني وسنحاريب ليهوذا موقع أدوم ، واعتبر الآشوريون تحرك الأنباط والعرب باتجاه أدوم عدواناً عليهم فحاربوهم مراراً .

سقطت الامبراطورية الآشورية عام (٦١٢ ق م) وتقدم الأنباط نحو جبل سعيير مما جعل الأدوميين ينزحون شمالاً نحو حدود يهوذا الجنوبية . وعندما بزغت الامبراطورية الكلدانية تعاملت معها الممالك الأردنية الثلاث (عمون ومؤاب وادوم) تعامل الولاة ، لكن اسرائيل وقعت في قبضة الملك نبوخذ نصر الذي دمرها نهائياً .

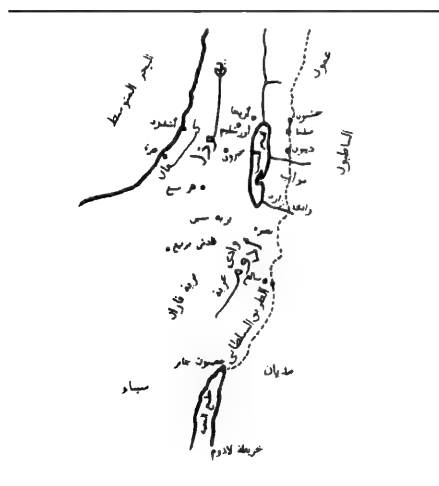
وحين تولى نبو نائيد (٥٥٥ - ٥٣٩) ق م حاكم بابل قام بحملة عسكرية باتجاه جنوب الاردن ، وحارب العرب شمال غرب الجزيرة ، وقد احرق ودمّر عاصمة أدوم (بصره) ، ولكن الحياة في أدوم ظلت حتى القرن الخامس قبل الميلاد قائمة اجتماعياً . وبعد أن سقطت بابل على يد الفرس ، حكم الفرس أدوم حتى القرن الرابع قبل الميلاد ، وكانت العلاقات التجارية لأدوم في نمو وازدياد ، لكن قوة جديدة يمثلها الأنباط كانت تزحف ببطء، نحو هذه المنطقة حيث كانت سبباً لنزوح الادوميين نحو جنوب فلسطين التي أسماها الرومان بعدئذ بـ(ادوميا) .

أما أهم مدن ومناطق آدوم فيه (بصره ، عويت ، دنهابة ، ايلة ، عصيون جابر
مجدثيل ، مسريقة ، مبصار قاعي ، اوبوت ، فينون ، رجة النهر ، راقم ، الصخرة ، توفل
وادي الزرد) .

وفيما يلي أهم الملوك الآدوميين نقلًا عن محمود أبو طالب (٢٦) .

اسم الملك	مكان ذكره وسنوات حكمه
١. قوص ملك	ذكر في أخبار سنة ٧٢٢ ق.م من حوليات الملك الآشوري تغلات بيلاصر الثالث .
٢. ايارا مو	ذكر في أخبار سنة ٧٠١ ق.م في أحد نقوش الملك الآشوري سنحاريب
٣. قوص جبار	ذكر مرتين في نقوش الملك الآشوري اسرحدون في أول سنة من حكم آشوربانيبال وعلى ختم ملكي من بـمـيـرة .

جدول (١١) : قائمة بأسماء ملوك آدوم المعروفين



خريطة (٥) : عمون ومؤاب وأدوم
وتتضح أرض أدوم يقطعها الطريق
السلطاني .

المثولوجيا الآدومية

لوحة بالوعة

تشير اللوحة المسماة بلوحة بالوعة ، نسبة الى المكان الذي وجدت فيه (جنوب وادي الموجب) ، أسئلة عدة ، فهي لوحة تشير الى النفوذ المصري المبكر في الاردن وفي مؤاب وأدوم ، ولكنها في عين الوقت لوحة محلية متأثرة بالفن المصري . وهي منحوتة حجرية لثلاثة أشخاص ، ففي اليمين تظهر الإلهة إيزس المصرية ، إلهة الخصب والجمال والحب وهي بمشابة الإلهة الأم في المثولوجيا المصرية ، تحمل في يدها الصليب المصري المعروف باسم (عنخ) وهو يدل على الحياة والخصب ، اما في يسار اللوحة فيظهر ، على ما نعتقد ، الإله المصري أوزوريس الذي يلبس تاجاً مزدوجاً يمثل مصر العليا ومصر السفلى وفي يده الصولجان ، وهو صولجان الحكم الذي رأيناه أيضاً في يد الاله (آمون)



شكل (٥٠) : لوحة بالوعة مصورة عن متحف عمان يميناً ، وتخطيط توثيحي لها يساراً

وفي الوسط بين ايزس واوزوريس يظهر شخص ملكي يعتلي رأسه غطاء رجح الباحثون أن يكون غطاء رأس قبائل الشاسو التي سكنت في الاردن واختلطت مع الآدوميين ، ويمكن أن يكون هذا الشخص حاكماً محلياً أو زعيم قبيلة من الشاسو أو من أدوم ، ويظهر جلياً أن هذا الشخص مبارك من قبل ايزس واوزوريس ، أي انه يأخذ هنا دور (حورس) ابنهما

الذي يرتبط به الملوك عادة . وربما دلت لوحة بالوعة في واحدة من تفاسيرها على هذا الأبنوم الثلاثي (ايزس واوزوريس وحورس) . وربما أشارت الى الحاكم المحلي في الوسط على أن انه يستلم الحياة والخصب والصلح من الإلهين الزوجين .

يؤكد وجود لوحة بالوعة على وجود الآلهة المصرية وتأثيرها المبكر على العبادات الاردنية . وان لم يظهر هذا التأثير قوياً في المثلوجيا الأردنية القديمة . ويرجح أن تكون هذه اللوحة بتأثير الاحتلال المصري المباشر وليس بتأثير الهكسوس الذين سبقوا هذا الاحتلال في مجيئهم الى الاردن ، لأن تاريخ اللوحة يعود الى العصر البرونزي المتأخر (الحديث) أو في بداية العصر الحديدي .

أصل الاله (يهوا)

في إشارة سريعة تذكر التوراة ما يلي "أقبل الرب من سيناء وأشرق لهم من سعين وتجلي من جبل فاران واتي من ربي القدس وعن يمينه قبسُ شريعة لهم" (١٧) . وهذا يعني أن إله إسرائيل (يهوا) طلع أولاً من سعين ثم اتضحت ملامحه وتكرس في جبل فاران . وسعين وفاران مكانان أدوميان سكن فيه عيسو وأبناؤه وهو أب الأدوميين . كذلك فإن قبائل الشاسو المنتشرة في أدوم وسعين كانت تعبد هذا الإله . وهناك من قال بأن وجود هذه القبائل "في جنوب فلسطين ومن قاربهم مع قبائل مشابهة وهم العبيرو الذي أقاموا الى الشمال منهم ، وقد ذهب المحللون مذاهب شتى فقليل بأن الشاسو هم من القبائل الآسيوية وأنهم أنصاف بادية ، وكان مقر إقامتهم الى الشرق من الدلتا في جنوب فلسطين . وهناك من قال انهم كانوا من سكان جنوب سوريا وشمالها . وهناك من قال أنهم سكنوا بلاد النوبة . وعلى العموم ومهما تضاربت الآراء حولهم فإن الشاسو كانوا منتشرين في بلاد الشام بمغناها الواسع وانهم كانوا في أدوم وسعين" (١٨) . إن عبادة الإله (يهوا) عند قبائل الشاسو سبقت كثيراً ظهور العبرانيين على مسرح التاريخ ، فقد حصل هذا قبل أن يأتي موسى الى أرض كنعان ماراً بأدوم ، وانه مما يدل على انتشاره عندهم وجود أسماء عدد من الأسرى الشاسو من ضمنهم أسير اسمه (يهوا) في وثيقة من عصر رمسيس .

ومهما كان الأمر فإن أصل يهوا الذي يمكن أن يلفظ (ياه ، ياهو ، جهفا ، جاهي ، جاهوا) مرتبط باسم "اله القمر الكنعاني (يرح) ، ربما بشكله الاتثوي أو الخثي ، و (يهوا) الذكر تزوج من الإلهة الكنعانية الأم عناة في اليفاتين" (٢٩) . وهناك آراء أخرى تقول بأن يهوا :إله زراعي من آلهة الخصب تعلم موسى عبادته من المديانيين الذين عني بآبادتهم بعد الخروج من مصر ليموت سره وسر يهوه معهم" (٣٠) .

ولم تكن مديان بعيدة عن أدوم فلا حدود بينهما بل هما مختلطان مجتمعاً وديانة . ومهما كان الأمر وسواء أكان (يهوا) أدوميا أو مديانياً أو كنعانياً فإنه لا يخرج عن منطقة الشام عبادة وانتشاراً (رغم احتمال وجود أصل رافديني أو مصري كما سنرى) . وانه يشير بصفاته الى قطبين متناقضين ، صحراوي وزراعي ، فقد جمع القطب الصحراوي كل مظاهر القسوة والخشونة والانتقام والدمار . وجمع القطب الزراعي كل مظاهر الخصب والجنس "ويرى بلوتارك ان يهوه تابور ويهوه عيد المظال بات قريناً لديونيسوس ، اله النبيذ ، ويؤكد أن مشاهدوه من شعائر يهوه وشعائر ديونيسوس كان وثيق الصلة كبير الشبه بعضه ببعض إذ انطوى على طقوس استخدمت فيها حزم الشعر - وقد اعتبر يهوه الاله الحامي لزراعة الشعر والنبيذ الجديد . والرقص على أضواء المشاعل ، في الأماكن المرتفعة حتى طلوع النهار وإراقة النبيذ على الأرض وعلى أجساد الأضحيات الحيوانية . وعموماً : الانجذاب الديني ويبدو أيضاً الاتصال الجنسي الطليق من القيود في تلك الممارسات شاع بين (شعب الإله) في طقوس ما قبل عصر السبي" (٣١) . وإذا كان الاله يهوا هو الإله القومي لقبائل العبيرو ، فإنه بلا شك ليس الإله الوحيد عندهم ، كما انه لا يبدو الهاً توحيدياً بل إلهاً تفردياً يشبه حالة الإله مردوخ عند البابليين ورع عند المصريين وبعل وأيل عند الكنعانيين أو زيوس عند الاغريق "قاسم يهوه ذاته يعني نفس ما يعنيه اسم زيوس اله اليونان : كلا الاسمين يعني (بذرة الحياة) أو (مني الحياة) ومنشأ كلا الإلهين كان عبادات الخصب بالشرق الأدنى القديم . وكما هي الحال بالنسبة الى زيوس ويهوا ، وكلا الاسمين غير سامي ، نجد أن الآلهة سامية الأسماء هي الأخرى ، كحداد وبعل وأيل ،

تشير أسماءهم جميعاً الى عضو الإخصاب عند الرجل " . وإذا كنا نرى في أصل اسم (يهوا) جذراً سامياً مرتبطاً بـ(الهواء) الذي يعني الحياة ، فإن هناك من يرى غير ذلك حيث أن اسم الإله الذي أطلق عليه "ياهو ، لاو ، ليو كان يطلق على زيوس - سابازوس كقمر ليلي : سيد الموت تحت الأرض مثل ساترن . وقد أطلق اليهود عليه اسم ساباتوث : سيد الجند . وكان اسمه اللاتيني قد أتى من نفس الجذور : لو-بتر ، الأب ليو ، واذا هو جوبتر أو جوف" (٢١) .

ويكاد المصدر الرافديني البعيد يشكل جذراً قديماً من ناحية المعني للاله (يهوا) لأن أقرب ما يقابله في الآلهة السومرية هو الاله (انليل) الذي هو اله الهواء العاصف المدمر . والذي كان يطلق عليه وبذوره على الأرض لكي تتخصب وعند ذاك يقترب الاله انليل من الإله (أيا) وهو إله الماء والذي يقترب لفظ اسمه من لفظ اسم (يهوا) .

ولننظر في هذه القصيدة السومرية عن الاله (انليل) :

"تقارب السماء - فيكون الفيض .

من السماء ينزل الفيض الى الأرض

تلاص الأرض - فتكون الوفرة

من الأرض تصدر براعم الخصب

حكمتك - هي الزرع ، كلمتك هي الحبوب

كلمتك - هي الماء الغامر ، حياة جميع البلاد" (٢٢) .

وهناك قصيدة سومرية أخرى عن الإله (ايا) أو (أنكي بالسومرية) تزيد الصورة وضوحاً :

"عندما رفع الأنب أنكي (عينه) على الفرات

وقف بخيلاء كالثور الهائج

رفع قضيبه . وقذف المنبي

فملاً درجة بالماء الرقاق"^(٢٥)

وهذه الصورة السومرية تقترب كثيراً من الصورة العبرية . (التي أتت بعدها بقرون طويلة) ، والتي جعلت من يهوا إلهاً جنسياً مخصباً والذي صار اسمه يهوا سيباوث (Sebaoth) "ويعني حرفياً قضيب العاصفة . وكان يصور اسطورياً كعضو ذكورة مهول في السماء في حالة انتصاب . وعندما تبلغ العواصف ذروتها المزلزلة كان يقذف منيه على أخاديد الأرض . فيخصبها"^(٢٦) .

كذلك يمكننا أن نجد جذراً مصرياً قديماً ليهوا . فقد احتوى (كتاب الأبواب) المصري قبل ٣٣ قرناً ، وتحديداً في (نشيد الرياح الأربع) نقشاً يعبر عن اسم الله "بكتابة هيروغليفية قوامها رسوم تمثل الريش والطيور تقابل في ترجمة الأحرف الصوتية لكلمة (ي ه و ه) . أما الحرف الأخير من اسم الإله فقد رمز إليه بمروحتين متقابلتين من الريش للتعبير عن شهيق وزفير هذا الإله الحي المحرم اسمه ، لأن تسميته تجعل منه (شيئاً) كسانتر الأشياء التي يتم تعريفها بمدلول أو بكلمة . فالله اذن ليس (كائنات) بل هو (فعل) ، انه حضور خلّاق . وأصل كل وجود ، وهو لا يمكن اختصاره بصفة واحدة من هذه الصفات"^(٢٧) .

وإذا كنا قد أشرنا الى أن القطب الزراعي المخصب قد أتى من الديانة الكنعانية والسومرية قبلها فإن هذا لا يتعارض مع قطبه الصحراوي الآخر . وفي أرض أدوم بالذات

الزراعية والصحراوية في أن وكان يمكن للإله يهو أن يظهر "وقد غالى البعض وأكد أن الرب قبل أن يكون إلهاً لليهود كان اله الأدميين وكان واحداً من ضمن الآلهة الأخرى التي كانت تعبد من قبلهم وكان هذا سبباً لإغفال كتاب العهد القديم ديانة الأدميين خوفاً من الاعتراف بأن (يهوا) لم يكن إله اليهود وحدهم بل نرى شعوباً أخرى كانت تعبده" (٣٨) . ولكي لا نجزم جزمًا قاطعاً في هذا الأمر فاننا نرى بأن من الأهمية بمكان الاعتراف بأن الإله يهو كان إلهاً عادياً ضمن مجموعة كبيرة من الآلهة الكنعانية أو الآرامية ، وأنه عبد في أكثر من مكان ، وأن الأدميين عبدوه مع آلهة أخرى إلا ان التشكل القومي للعبريين من جهة وللأدميين من جهة أخرى ، والاحتراب الواضح بينهما ، قد يكونان سبباً في ان العبريين تمسكوا به بقوة وجعلوه إلهاً أعلى لقوميتهم .. فما كان من الأدميين الا أن طردوه من حظيرة آلهتهم ثم منعوا عبادته .. لأنه أصبح رمزاً لأعدائهم .

ورغم أن التوراة ذكرت ديانة وآلهة العمونيين والمؤابيين الا أنها أغفلت ذكر الأدميين وأطلقت على آلهتهم (آلهة بني سعيم) التي عبدها (امصيا) ملك يهوذا بعد أن قام بغزو منطقة سعيم ففضبت عليه كتبه التوراة وشوهوا سيرته .

الآلهة الأدمية

عبدت في أدم مجموعة من الآلهة المذكورة والمؤنثة ، بعضها ذات منشأ كنعاني مثل الإله (ايل وبعل وحدد ويهوا وعشتروت) ، وبعضها ذات منشأ مصري مثل (ايزس واوزوريس وحورس) ودليلنا الوحيد هو لوحة بالوعة ، وبعضها الآخر صحراوي جزيري مثل (عزيزو ، قوس ، اللات) .

يظهر الإله (قوس) واحداً من أهم الآلهة الأدمية ، ويكاد يشكل الإله الزراعي للأدميين ، ويبدو أنه قدم من صحراء الجزيرة العربية تحت اسم (كوز) أو (كوزي) الذي يمثل قوس القزح ، حيث عبد الإله (قزح) في الجزيرة ، ولا شك انه كان يمثل قوس القزح الرامي "الذي كانت نباله البرق وكان قوسه قوس قزح ، فقد كان اله الجبال والبرق والرعد والمطر ، وكان العرب يحافظون على عبادته بقرب مكة ، فهو يقابل حدد (Hadad) اله المطر عند السوريين ، وريشب (Resheph) اله الحرب عند البابليين . وصفة قزح توافق

الآلهة التي كانت تمثل وظيفة اله الحرب مثل أبولو (Apolo) الإغريقي^(٢٩) . وبذلك يمتص الاله (قوس) صفات الاله (حدد) تحديداً ويظهر الجانب الحربي والصحراوي القاسي رغم أن الإشارة الى المطر والرعد وقوس القزح تعطيه بعض صفاته الخصيصة ، ولا شك أن كلمة (قوس) سواء أشارات الى القوس والسهم الحربية أو الى قوس القزح فإنها تجمع في معناها الجانبين معاً . ويمكن أن تكون عبادة هذا الإله قد تعدت أدوم الى مؤاب وخارجهما "وإذا ما تتبعنا منطقة انتشار هذا الاسم لأدركنا أن عبادته ، من الممكن العثور عليها ، منتشرة على جانبي وادي عربة ، في أدوم ، وبير السبع والنقب ، كما أن اسم الاله قوس كان منتشراً عند المهاجرين الى بلاد ما بين النهرين ، والى مصر ، الى نبور في العراق والى برقة شمال افريقيا"^(٣٠) . وقد ذكر في تعاويذ التشخيص والإنذار في الطب الاكدي .

ويمكننا تتبع انتشاره أو اتقاله في الشعوب المجاورة فقد دلت الآثار على أن الأنباط عبدوه ضمن أللهتهم فقد "جاء ذكره في نقش من بصرى ويذكر في النقش صنع نسر على شرقه ، مما يشير الى أن النسر كان رمزاً لهذا الاله ، ونقش آخر عشر عليه في خربة تنور يذكر خبر تكريس محراب له"^(٣١) .

وإذا كان الاله (قوس) هو الشكل الأدومي للإله الكنعاني (حدد) في صورته الطبيعية المستكملة على رموز البرق والعاصفة والمطر وقوس القزح ، فإن الإله (عزیزو) أو (أزیزو) يكمل صورة الاله (حدد) تماماً فهو اله الحرب كما ذكرنا وهذا الاله الصحراوي محارب "وقد بينت الدراسات الأثرية أن دمي الفخار التي تمثل شخصاً يمتطي حصاناً إنما تمثل إلهاً وهو الإله عزیزو (أو أزیزو) لأن هذا الإله كان يصور دائماً على شكل خيال ، ولعله في هذه الحالة يمثل آلهة الحرب التي تقابل أعداءها وهي على صهوة الجياد"^(٣٢) . ويبدو أن هذا الإله ظهر في جنوب الجزيرة العربية بمظهر كوكبي فهو واحد من ثالوث مكون من (إل) اله السماء الذكر أو القمر و (الللات) إلهة السماء الأنثى أو الشمس ، والإله الثالث هو الوليد الإلهي (عشتر سمين) أي (عشتار السماء) وربما زهرتها "الذي أشارت اليه النصوص بالاسمين (Azizos) أزیزوس وكان يتقدم الشمس عند شروقها ، و (Monimos) مونينموس وكان يتبع الشمس حين غروبها"^(٣٣) .

ويمكن أن تكون (عشتروت) الكنعانية قد عبدت كما هي أو تحت اسم (اللات) التي تمثل الشمس ، وهي إلهة جزيرية انتشرت عبادتها في الأجزاء الشمالية من جزيرة العرب "ويرى بروكلمان ان اللات هي الالهة التي كانت تعرف في الطائف بالربة أي السيدة والتي شبهها هيرودوتس بآلهة الفلك رانيا (Rania) وهي تقابل الأم الكبرى للإلهة عشتروت عند الساميين الشماليين"^(١٤) . وكان يمثلها العرب على شكل صخرة مربعة ويعتقدون بأنهم يسمعون صوتاً من داخلها ، واللات كلمة عربية مشتقة من الله وهي صورته الأنثوية لفظاً . وقد انتقلت عبادتها الى الأنباط بعد الأدوميين ، وسماها السوريون (بابارغاتيس) ، ويكاد الإله حدد أو قوس أو عزيزو يتمثل بعض صفاتها فهو إله صحراوي وهي الهة صحراوية وسيكون هذا النظام الميثولوجي الأدومي تمهيداً لنظام ميثولوجي نبطي اشمل ستدرج فيه الميثولوجيا الأدومية تماماً .

يعتبر نيلسن اللات (الهة الشمس والإلهة الأم) في الأسرة الإلهية السماوية التي تمثلها مع إله القمر وكوب الزهرة ، وتدعى بعض الأحيان بـ(الإلهة) . ويتفق ك. أ. كوك معه في احتمال أن تكون إلهة الشمس ، بينما يرى رينيه ديسو أنها تمثل كوكب الزهرة وليس الشمس ويرى كذلك انها صورة شمالية للإله عتثر إله الزهري الجنوبي وإن كان مذكراً . وان في الصباح الهة الحرب وتسمى حينذاك بـ(العرى) وفي المساء تمثلها نجمة المساء وتعد حينئذ بـ(منة)^(١٥) وبهذا الاحتمال ، تتواشح الآلهة الذكورية مع الآلهة الانثوية فتصبح كل مجموعة امرأة للأخرى تعكس صفاتها وتمثلها . ولكن هذا يدعونا للقول ان الالهة الأدومية بدأت تنحو في اتجاه سماوي كواكبي واضح ، وتكون بذلك قد غادرت المنحى الأرضي الزراعي وتكون صفات الحصب والجمال قد أهملت كلياً في بيئة صحراوية حربية وستضيق الثالث الكواكبي بصورة أفضل عند التبطيين كما سنرى .

الطقوس

أما الطقوس الدينية والمثولوجية فقد كانت تجري في المعابد الأدومية التي يمثل المعبد المكتشف في موقع (هوفرت قطميط) ، الذي يبعد حوالي (١٠) كم من تل عراد في جنوب فلسطين ، نموذجاً لها ، وهو مكون من ثلاث حجرات وساحة عامة أمامها ساحة ذات حوض

حجري ومذبح وقد "تم العثور على حوالي عشر دمي طينية تمثل نساء حوامل عشر معها على عدد من الدمى الفخارية الاخرى والفخار المزين بأشكال مختلفة بعضها يمثل أشكالاً انسانية والاخرى حيوانية ، واحدة من هذه الدمى وتمثل الآلهة متوجة بثلاثة قرون" (٢٦) . ويبدو لنا من آثار اخرى ان بعض طقوس العبادة كانت تمارس في العراء بدليل العثور على مذابح لوحدها ومباخر فخارية ، وهذا يشير أيضاً الى استمرارية نمط الديانة الكنعانية في بناء المعابد أو في اماكن العراء المخصصة للعبادة .

هوامش الفصل الرابع

- (١) العبادي ، محمود : "عمان في ماضيها وحاضرها". منشورات أمانة عمان ط١ ١٩٧١ ص ٦ .
- (٢) المرجع السابق . ص ٨ ، ٧ .
- (٣) المرجع السابق . ص ١٢ .
- (٤) المرجع السابق . ص ١٧ .
- (٥) أبو دية ، عبد السميع علي أحمد : "دراسة في فن النحت بعمون ما بين ٩٠٠ - ٦٠٠ ق م" . رسالة ماجستير باشراف د . محمد خير ياسين وادعنان الحديد . كلية الآداب / قسم الآثار - الجامعة الأردنية . ١٩٧٨ (مخطوطة) .
- (٦) سفر التكوين ص ٢٨ ، ٢١ .
- (٧) راجع الميثولوجيا التاريخية في الفصل السابع من هذا الكتاب .
- (٨) أبو دية ، عبد السميع علي أحمد : "دراسة في فن النحت بعمون ما بين ٩٠٠ - ٦٠٠ ق م" . ص ٤ .
- (٩) المرجع السابق ص ٥ ، ٤ .
- (١٠) بدج ، والس : "الديانة الفرعونية" . ترجمة وتقديم يوسف سامي اليوسف . منشورات دار منارات . عمان ١٩٨٥ ص ١٢٥ .
- (١١) العبادي ، محمود ، "عمان في ماضيها وحاضرها" . ص ٨ .
- (١٢) السواح ، فراس : "مغامرة العقل الأولى" . ص ٣٥٣ .
- (١٣) العبادي ، محمود : "عمان في ماضيها وحاضرها" ص ١٩ ، ٢٠ .
- (١٤) أبو طالب ، محمود : "آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة" . منشورات وزارة الثقافة والشباب . ط١ عمان ١٩٧٨ ص ٨٣ .
- (١٥) السواح ، فراس : "لغز عشتار" . سומר للدراسات والنشر - قبرص ، نيقوسيا . دار غزبال ، دمشق ط٢ ١٩٨٦ ص ٣١٣ .

١٦) زيل ، أه. فان : "المؤاييون" تعريب واعداد د. خير ياسين . نشر الجامعة الأردنية .
سلسلة تأريخ الأردن . عمان ١٩٩٠ ص ٧٤ .

١٧) المرجع السابق ص ٧٤ .

١٨) الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر : "مختار الصحاح" . مكتبة النوري .
دمشق ص ١٥ .

١٩) القمني ، سيد محمود : "الأسطورة والتراث" . دار سينا للنشر ط ٢ . القاهرة ١٩٩٣
ص ١٢١ .

٢٠) زيل ، أه. فان : "المؤاييون" ص ٧٥ .

٢١) المرجع السابق ص ٧٨ .

٢٢) المرجع السابق حيث نشر النص الأصلي وتراجع حولية دائرة الآثار الأردنية رقم (١٥)
١٩٧٠ ص ١٩ - ٥١ . ترجمة نقش الملك ميشع ضمن دراسة عن اللغة المؤابية
للاستاذ الدكتور فواز طوقان الاستاذ في قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية .

٢٣) المرجع السابق ص ٧٥ .

٢٤) ياسين ، خير : "الادوميون" ص ٦٨ .

٢٥) المرجع السابق ص ٩٤ .

٢٦) أبو طالب ، محمود "آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة" ص ٨٤ .

٢٧) العهد القديم . سفر التثنية ٢٠: ٢٣ .

٢٨) ياسين ، خير : المؤاييون ص ص ٥٩ ، ٦٠ .

٢٩) Walker, Barbara G. "The women's encyclopedia of myths and secrets" (

Harper - Sanfrancisco 1983 p. 1095 .

٣٠) مقار ، شفيق : "قراءة سياسية للتوراة" . منشورات رياض الريس للكتب والنشر
١٩٨٧ ص ٢١٤ .

٣١) المرجع السابق ص ٢٦٢ .

- (٢٢) المرجع السابق ص ٢١٢ .
- (٢٣) Walker, Barbara G. "The women's encyclopedia of myths and secrets" 1983 p. 1095 .
- (٢٤) كريم ، صموئيل نوح : "طقوس الجنس المقدسة عند السومريين" ترجمة نهاد خياطة ، دار الغريبال ط١ دمشق ١٩٨٦ ص ٨١ .
- (٢٥) المرجع السابق ص ٨٢ .
- (٢٦) مقار ، شفيق : "قراءة سياسية للتوراة" . ص ٢١٢ .
- (٢٧) غارودي ، روجيه : "فلسطين أرض الرسالات السماوية" ترجمة قصي اتاسي - ميشيل واكيم . طلاس للدراسات والترجمة والنشر . ط١ ١٩٨٨ ص ٥٩ .
- (٢٨) ياسين ، خير : "الأدوميون" ص ١٤٧ .
- (٢٩) خان ، عبد المعيد : "الأساطير والخرافات عند العرب" ، دار الحديث ، ط٣ بيروت ١٩٨١ ، ص ١٤١ .
- (٤٠) ياسين ، خير : "الأدوميون" ص ١٤٩ .
- (٤١) الفاسي ، هتون أجواد : "الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية" ط١ ، الرياض ١٩٩٤ ص ٢٣٨ .
- (٤٢) ياسين ، خير : "الأدوميون" ص ١٤٥ .
- (٤٣) القمني ، سيد محمود : "الاسطورة والتراث" دار سينا للنشر ط٢ ، القاهرة ١٩٩٣ ص ١٢١ .
- (٤٤) حسن ، حسين الحاج : "الاسطورة عند العرب في الجاهلية" المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط١ ١٩٨٨ ص ١٤٧ .
- (٤٥) الفاسي ، هتون أجواد : "الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية" ص ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .
- (٤٦) ياسين ، خير : "الأدوميون" ص ١٤٤ .

الفصل الخامس

المثولوجيا النبطية



الاله ذو الشرى - باخوس / البستراء

مقدمة تاريخية

يشكل الأنباط مجموعة من القبائل السامية يرجح أن تكون أصولها من المناطق الشمالية للجزيرة العربية أو من سواد العراق أو من بوادي الشام ، أو من الثلاثة معا . وهم الموجة السامية الجزيرية الكبيرة التي سبقت موجة العرب المسلمين حملة رسالة الاسلام بحوالي ألف سنة . فهم من الناحية التاريخية موجه لاحقة للموجة الآرامية وقد تكون فرعاً من موجة كبيرة غير متجانسة أتت بعد الموجة الآرامية بخمسمائة سنة . وإذا تحدثنا بشكل عام وتقريبي فيمكننا القول بأن الموجات السامية الكبيرة تتابعت على الشكل التالي (الأكدية في الألف الرابع ، الكنعانية في الألف الثالث ، الأمورية في الألف الثاني ، الآرامية في بداية الألف الأول ، النبطية في منتصف الألف الأول قبل الميلاد ثم العربية الاسلامية بعد منتصف الألف الأول بعد الميلاد) . وقد يشكل الأنباط مع الصفويين والثموديين واللحيانيين والأدوميين والقيداريين موجة متساوقة الظهور وهم يعرفون بعرب شمال الجزيرة القدماء . لكن الأدوميين هاجروا مبكراً وسكنوا جنوب الأردن ثم تبعهم الى نفس المكان القيداريون ولم يكونوا دولة هناك ، وربما كان الصفويون قد وصلوا واستقروا في شمال الأردن ، ثم زاحم الأنباط سكنة جنوب الاردن وضغطوا على الأدوميين بشكل خاص مما اضطر الأدوميون الى النزوح عن بعض مناطق سكنهم الرئيسية كالبتراء والذهاب الى جنوب فلسطين تاركين بعض أماكن سكنهم للأنباط ثم لما تم التزاوج بين الفريقين ذابت العناصر الادومية مع الزمن ثم تسلط الأنباط ووسعوا نفوذهم ، وكان الأدوميين قد بنوا قلاعاً كثيرة ورثها الأنباط وكانت لهم آلهة خصب اقتبسها الأنباط عنهم ومهروا في شؤون الزراعة وحذا الأنباط حذوهم في هذا المجال واستعملوا اللغة الآرامية في كتاباتهم ، وكذلك فعل الأنباط^(١) .

وتبدو لنا أن من أهم ميزات الأنباط معرفتهم الدقيقة بآبار الماء الحفية وصلتهم بالماء تبدو غريبة حتى أن هناك من يقول أن النبط يعني الماء . كذلك عُرفوا بحبهم للحرية وتقديسها ولذلك لم يخضعوا في تاريخهم الى حكم الأقوام التي تتالت على المنطقة ولم يستطع أحد السيطرة عليهم ، كما أن الأنباط أظهروا قدرة هائلة على استغلال موارد الأرض الطبيعية مثل مناجم النحاس والحديد والاسفلت وصناعة الأدوات منها ، ثم اخذوا لاحقاً عن اليونان تنظيم المدن وضربوا النقود وكانوا واسطة لنقل الهلينية الى العرب الجنوبيين .

لقد استمر الأنباط حوالي ثلاثة قرون في مرحلتهم الصحراوية الأولى قبل أن يستقروا في مواطن الادوميين في حدود القرس السادس ق م . وقد كانت مرحلتهم الصحراوية الأولى بدوية صرفة ، فلم يكونوا على معرفة بالزراعة والاستقرار وبناء البيوت .

لم يكن الأنباط رعاة كباتي البدو ، بل كانوا مهتمين بالتجارة ومجهيز القوافل التجارية التي تخترق الصحراء . وقد اصطدموا مع قوات يونانية بقيادة اثنايوس وأثبتوا جهم للحرية والاستقلال . وكانت لهم حرفة أخرى هي استخراج القير من البحر الميت وبيعه للمصريين ، وعلى العموم فقد نقلتهم التجارة وحياسة القوة والثراء النفوذ الى تعلم فنون الري والزراعة والعمارة والنحت وبذلك تحولت طبيعتهم البدوية الى طبيعة زراعية مستقرة ورافق هذا امتلاكهم لأراضي ادوم كما ذكرنا .

أم الفترة الثانية من حياتهم السياسية فقد اتسمت بالاستقرار واستبدال شيخ القبيلة بالملك الذي يحكم القبائل ، وكان يطلق عليه (مرنا) بمعنى (سيدنا) ونجد مثل هذه التسمية عند عرب الحضر شمال العراق .

وبعد الاجتياح الآشوري والبابلي للشام جاء الاجتياح الفارسي الذي استمر مدة قرنين انتهى مع احتلال الاسكندر الكبير وتدميره الامبراطورية الفارسية ثم خضوع اغلب مناطق الشام لامبراطوريتين يونانيتين هما السلوقية والبطيمنية .

وفي عام ٣١٢ ق م قامت أول محاولة سلوقية لاختضاع دوة الانباط بعد أن خضع كل ما عداها من بلاد الشام للسيطرة اليونانية . وبعد سنوات أخذ البطالمة يتحرشون بالانباط حتى انهم انتزعوا منهم لفترة النشاط التجاري وحولوه لمصلحتهم .

وفي حدود منتصف القرن الثاني قبل الميلاد قامت دولة اليهود المكابية جوار دولة الانباط ودخلت في صراعات طويلة مع الانباط تخللتها فترات تحالف .

واكتملت المرحلة الثالثة من حياة الأنباط بعد احتكاكهم بالهيلينيين عندما قدم الرومان الى الشام وأزاحوا البطالسة منه بقيادة بومبي عام ٦٤ ق م الذي حاول تقليص (اليهودية) الى أصغر حجم بلغته .

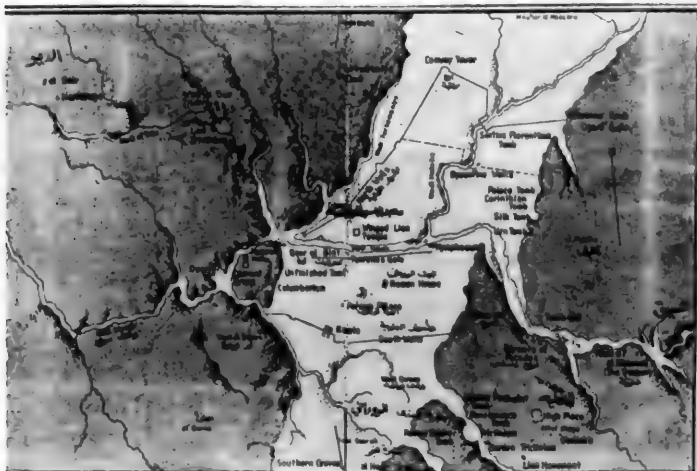
تخبرنا الآثار أن أول ملك نبطي معروف هو حارثة الأول في حدود ١٦٩ ق.م ثم مالك ثم حارثة الثاني ثم عبادة الأول ثم حارثة الثالث الذين دخلوا في صراعات مع (اليهودية) والسلوقية وملك أرمينية . وفصل هذه المجموعة من الملوك الأنباط . وقام مالك الأول بمحاولة الاستيلاء على اليهودية ولكنه جلب لمملكته الدمار ثم خلفه عبادة الثاني الذي خاض ضد اليهودية حرباً ثم حارثة الرابع الذي ظهر السيد المسيح في زمنه وظهرت في عصره اصلاحات عمرانية واسعة ومنجزات زراعية وكان عصره هو العصر الذهبي للأنباط ، وقد خاض أيضاً ضد اليهودية حروباً عديدة ثم خلفه مالك الثاني ورب ايل الثاني الذي بدأ يركّز على بصرى عاصمة له دون البتراء التي استولى عليها قائد روماني تابع لتراجان واسماها (العربية) أو (كورة العربية) وجعل تراجان من بصرى عاصمة لدولة (العربية) وكان آخر ملوك الأنباط هو مالك الثالث حيث بدأت مملكة الأنباط بالافول نهائياً واصبحت ولاية رومانية تضمّ كما ماكانت تضمه دولة الأنباط في أقصى توسعها .. وامتزج أهل الأنباط بعناصر سورية وعربية وقد وجد خطوط نبطية بلغة عربية في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي وفي القرن الثالث بزغت تدمر فأخذت مكانة البتراء نهائياً . أما في المرحلة البيزنطية فقد فقدت البتراء مكانتها التجارية واصبحت مكاناً دينياً .

وفي القرن الرابع فقدت البتراء اسمها واصبحت تدعى (الرقيم) وهو اسمها الثاني بعد (الصخرة) . وكان ذلك يوم أصابها الزلزال عام ٣٦٣ م. ولم تعد البتراء في القرن السادس مسكونة بالناس ثم ضاع اسمها تماماً في العصور الاسلامية .

أما أهم المناطق التي شملت الامتداد النبطي فكانت ثلاثة ^(٢) :

- (١) **منطقة النخيب** - أهم مراكزها عبدة وكرنب ونصتان وخلصه .
- (٢) **منطقة جنوبية سورية** - أهم مراكزها بصرى (سيحا) وفيها مسرح ومعبد للاله ذي الشرى ، والسويداء وهي مركز ديني معماري .
- (٣) **منطقة شرق نهر الاردن** - أهم مراكزها اطلاقاً هي البتراء ووادي رم وهناك مئات المواقع الاخرى مثل ذات راس وقصر ربه وخربة المشيرفة وخربة براك .

وقد توسعت مملكة الأنباط كثيراً وشملت في أوج أيامها منطقة واسعة ، ضمت دمشق و Coele Syria ، والأقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحووران وأدوم Idumaea ومدين الى (ددان) وسواحل البحر الأحمر . وثبت أيضاً أن جماعة النبط سكنت في الأقسام الشرقية من (دلت) النيل ، وقد تركت لنا عدداً من الكتابات^(٢)



خارطة (٦) : المتراء

Meshorer	Bowersock	Kammerer
-----	حارة ١ ١٦٨ ق.م	حارة ١ ١٦٩ ق.م
-----	رب ايل ١	مالك ١٤٥
حارة ٢ ١١٠-٩٦	حارة ٢	حارة ٢ ١١٠-٩٦
-----	عبادة ١	عبادة ١ ٩٥-٨٧
حارة ٣ ٨٤-٧١	حارة ٣ ٨٤-٧٧	حارة ٣ ٨٧-٦٢
ق	ق	ق
عبادة ٢ ٦٢-٣٠	مالك ١ ٥٦	عبادة ٢ ٦٢-٤٧ أو ٦٢-٦٠
مالك ١ ٦٠-٣٠	عبادة ٢ ٢٠-٩	مالك ١ (٩) ٤٧-٢٠ أو ٢٠-٣٠
عبادة ٣ ٢٠-٩	-----	عبادة ٣ ٢٠-٩
سيليوبس ٩	حارة ٤ ق.م-٤٠٠ م	حارة ٤ ق.م-٤٠٠ م
حارة ٤ ق.م-٤٠٠ م	مالك ٢ ٤٠-٧٠	مالك ٢ ٤٠-٧٥ أو ٣٨-٧١
مالك ٢ ٤٠-٧٠	رب ايل ٢ ٧١-١٠٦	رب ايل ٢ ٧١-١٠٧
رب ايل ٢ ١٠٦-٧١	-----	-----
ق ١٠٦ م	ق ١٠٦ م	ق ١٠٦ م

جدول (١٢) : ملوك الأنباط حسب ثلاثة من موثقي ملوك الأنباط . نقلاً عن كتاب (هتون أجود الفاسي) انظر الهوامش

المثولوجيا النبطية

مثولوجيا المحيط النبطي

ظهر الأنباط بين مجموعة من التجمعات البدوية السامية شمال غرب جزيرة العرب ولذلك أخذوا منها وأعطوها الكثير من عقائدهم وألهتهم .

ونرى قبل الخوض في المثولوجيا ضرورة معرفة مثولوجيا المحيط النبطي لكي تسهل علينا معرفة ما هو مشترك ومختلف بين الأنباط وبين من أحاطهم من أقوام أخرى . وسنضع هذه الآلهة في جداول منفصلة لتسهيل التعرف إليها .

جدول (١٢) : الآلهة للحياة

الاله	طبيعته
١. أب - ألف	أو (إيلاف) ورمزه أسدان ، عبيته قریش ويحتمل أن يكون اسمه الآخر سلمان وكنيته (أبا إيلاف) .
٢. إيل	إله كنعاني الأصل متعال ، له هيكل في المرتفعات .
٣. جدت	إلهة مؤنثة للآله (جسد) وهو اله الحظ .
٤. حوت	إله الماء ، وقد يكون له صلة بآترجاتيس إلهة الدلافين النبطية فيكون هذا الإله جذراً للمعتقد الميثولوجي المائي عند الأنباط .
٥. دجن	إله كنعاني الأصل وهو أب الإله بعل إله الخصب والخضرة وخاصة (الذرة) .
٦. زغبت	أو (ذو غابة) وينتمي لبلدة غابة قرب يثرب ، وله معابد في العلا وتقدم له أضحيات بشرية وحيوانية وله كاهنات مقدسات .
٧. سلمن	اله القوافل ... وهو إله أو بطل مقدس لقب بـ (إيلاف) .
٨. سواع	إله لحبيبي قديم .
٩. شمس	إلهة الشمس وهي الإلهة الأم للحبيبان .
١٠. عوص	أو (عوض) ويمثل الزمن ، وهو إله الدهر والأبد ، وله صنم عند بكر بن وائل .
١١. الكتبي	أو (من اكتب) و (هكتبي) وهي إلهة الكتابة والمعرفة .
١٢. مناة	وهي نجمة العشواء ، إلهة الموت .
١٣. نسر	وهو الإله النسور ويربط عبادة بالشمس .
١٤. ها - محر	وهو إله القمر الجديد .
١٥. هيل	وهو الإله الكنعاني بعل واشتهرت عبادته عند العرب .
١٦. هن أس	أو (هناث) أسىء (أوس) .
١٧. ود	أو (شهرن) وهو إله القمر ويرمز له بالثور .
١٨. ياه	ويذكر هذا الإله بالإله العيبيري (يهوا) .

جدول (١٤) : آلهة معين

الاله	طبيعته
١. ذعو ذن	أو (ذو المعاذ) وهو (المعيز) .
٢. رأس صدق	أو (الصادق) .
٣. نحس طب	أو (الحية الطيبة) ورمزه الحية وهو أيضاً رمز للإله ود إله القمر .
٤. نكرح	وهو إله البغض والحروب .
٥. معين	إله القمر وهو الإله القومي الرئيسي .
٦. ود	إله القمر وهو إله البخور عند المعينيين .

جدول (١٥) : آلهة ددان

الاله	طبيعته
١. إله	أو (إله - أب) ؛ محرّف عن الاسم السامي (إيل) .
٢. إيل	وهو الإله الأكبر في الميثولوجيا الكنعانية .
٣. بعل سامين	أو (بعل شامين) ؛ وهو أثر سامين عند أهل الدومة وعبداه اللحيانيون تحت اسم (بعل - سمن) وكان محرماً على النساء .
٤. خرج	إله الماء ، ويظن أن له صلة بمدينة خرج الحالية .
٥. داد	أو (حدد) ؛ وهو إله كنعاني ولحياني ونبطي ويرمز للعواصف والبروق
٦. راعن	إله من دادان قديم .
٧. اللات	الإلهة الأم لشعوب الجزيرة ؛ وهي آلهة الشمس .
٨. مناة	إلهة الموت والقدر ، وتمثل بنجمة العشاء ؛ وهي إلهة الزهرة .
٩. ود	إله القمر ويرمز له بالثور .
١٠. يشع	الإله المنقذ ؛ ويمكن أن يكون له صلة لاحقة بيسوع المنقذ أو المنتظر .

جدول (١٦) : الهة حوران

طبيعته	الاله
وهو إله الخمر الذي ارتبط بديونيسوس ، ويمثل التهتك والفجور ويقترن عادة بالملك النبطي (رب إيل) .	١. أعرا
وهي إلهة حوران الكبرى موجودة ضمن ثالوثها دوشرا أعرا ، واللات وبصرى وقد عبد مكان بصرى كاله .	٢. بصرى
إله نبطي ؛ اله الخمر والخصوبة .	٣. دوشرا
الإلهة الام لشعوب الجزيرة وهي إلهة الشمس .	٤. اللات
إله حوران الأكبر وهو اله السماء ، وقد عبد في الحضر تحت اسم (بعشمين) .	٥. متنو

جدول (١٧) : آلهة تيماء

طبيعته	الاله
وهو إله نبطي اسمه (تره) أو (تده) وقد يكون جزءاً من ثالث تيماء الكبير المكون من صلح وأشيرا وشنجلا .	١. تراتا
أو (هصلمن) وهو إله الشمس ورمزه الثور .	٢. صلح
وهي إلهة كنعانية ويرمز لها بالقمر .	٣. أشيرا
وترمز لكوكب الزهرة .	٤. شنجلا

وهناك آلهة أخرى عبدها أقوام مجاورون للأنباط مثل الجيا إلهة سكير التي انتقلت الى الأنباط وعبدت كمكان والآلهة التدمرية مثل عجل بون وعثر قبض وغيرها .

ما يهمنا من آلهة المحيط النبطي هو التعرف على مجرى التأثير والتأثير بين الأنباط ومن حولهم خصوصاً في بداية ظهور الأنباط أو ما سنسميه بالمرحلة الصحراوية .

وعلى ضوء دراستنا لتأريخ الأنباط والمراحل التي مرّوا بها من ظهورهم الأول كقبائل صحراوية حتى أقول دولتهم وزوال تراثهم الروحي والثقافي ، يمكننا أن نقسم المشولوجيا

النبطية الى ثلاثة أقسام : المثلوجيا الصحراوية التي تمثل الجذور والتي تأثرت بما أسميناه بالمحيط النبطي . والثاني : المثلوجيا النبطية الزراعية التي أتت بعد استقرارهم في مستوطنات ومدن . والثالث : المثلوجيا النبطية المركبة حيث اختلقت بمثيولوجيات مشرقية وسامية ويونانية ورومانية مختلفة ، وأعادت صياغة مكوناتها .

المثلوجيا النبطية الصحراوية

تنفرزُ جذور الأنباط قوية في الصحراء العربية . وربما احتوتهم قديماً مناطق صحراوية أخرى غير جزيرة العرب كالشام والعراق . وهم من المؤكد موجة سامية متأخرة بعد الأراميين ، لكنهم ، وهذا هو العجيب في الأمر ، رغم قوة جذورهم الصحراوية ، عملوا على انضاج ونمو ملكاتهم الحية والروحية وهضموا سريعاً الأجواء الزراعية الخصبة التي ترعرعوا فيها ثم استطاعوا تمثل الحضارات الوافدة خصوصاً اليونانية والرومانية بطريقة تدعو للإدهاش ، فقد انفتح نظامهم الروحي من جذورهم الصحراوية الى أفاق زراعية واسعة ثم كاد يشكل أفاقاً عالمية وكانوا على مشارف اكتساح المنطقة العربية كلها ، لولا الضربة التي وجهت لهم من قبل الرومان (خوف ازدياد نفوذهم) . لكن هذا الدور المجفّف للأنباط سينتقله العرب من بعدهم بعدة قرون وسيكون لهم دور حضاري عالمي إبان ظهور الدعوة الإسلامية .

نرى أن كلمة (نبط) تشبه في المعنى كلمة (عرب) ، فمعنى الاثنين هو الظهور والافصح ، ويكمن في جذر كلمة (ن.ب.ط) معنى نبأ ، ينبو أي يظهر ويفصح ، وتأتي التاء لتعطي معنى النبات الذي يشق الأرض ويطلع ، والطاء لتعطي معنى الماء الذي في الأرض .. يطلع او ينبط . أما كلمة (ع.ر.ب) فتشير الى الافصح والنبو والظهور أيضاً .

وإذا كانت المثلوجيا الصحراوية قد نزحت مع الانباط منذ هجراتهم الأولى ، فلاشك بأنها أخذت في طريقها ما صادفتها من مثيولوجيا أقوام صحراوية اتصلت بها إلا أننا يمكن أن نعثر على ثالوث صحراوي اثثوي يتمثل بـ(اللات ، العزى ، مناة) وثالوث صحراوي ذكري يتمثل بـ(ذو الشرى ، هبلو ، شيع القوم) .

لكننا لانستطيع أن ننفي صورة اختلاط اللات بالعزى وتبادل صفاتها ولانعرف على وجه التحديد مصدر العزى ، رغم أننا رجحنا الجزيرة العربية ، إلا أنها تظهر أيضاً مبكرة في المثلولوجيا السورية ، واللحيانية حيث اسمها (هن - عزى) أي (ذات العزّة) "ويبدو أن عبادتها ذات صلة بالمعليات (Hight places) ورمز الآلهة الأسد . ويرى ف. وينيت أنها من أصل سينائي ، وانها عبدت في مدينة العزى (Elusa) (الخلصة حالياً) النبطية بالنقب . وكانت لها أعياد تقام بها . بل وكانت المدينة بمثابة مقر أو بيت للعزى ، كما انها توازي الآلهة الرومانية فينوس ، ويعتقد انها كانت تمثل الهة الحرب لدى العرب ، لذا كانت اضحياتها في بعض الأحيان بشرية" (٧) .

ويمكن ان يكون اشتقاق اسمها من جذر سومري قديم هو (الأزو) أي (العارف بالماء) وكان يطلق على الطبيب ، وارتباط العزى بالماء ، والخضرة حاضراً في الأذهان لكن هناك من يرى أن "العزى تأنيث الأعز" ، مثل الكبرى تأنيث الأكبر ، والأعز بمعنى العزيز ، والعزى بمعناها العزيزة وهي أحدث من اللات ومناة" (٨) .

مناة

أما الإلهة الثالثة فهي (مناة) وتسمى عند الأنباط (مناتو أو مناواة) واسمها مشتق من (المنية) و (القدر) فهي الوجه الذي يمثل العالم السفلي للإلهة الأم . أي انها تقابل صورة أرشكيغال السومرية أو البابلية ، فهي تمسك بقوانين عالم الأموات وبأسرار هذا العالم ، وقد مثلها العرب بحجر أسود كانوا يعظمونه خصوصاً قبائل الأوس والحزرج ، وكان هذا الحجر الأسود يمثل الطور السلبي من الإلهة الأم .

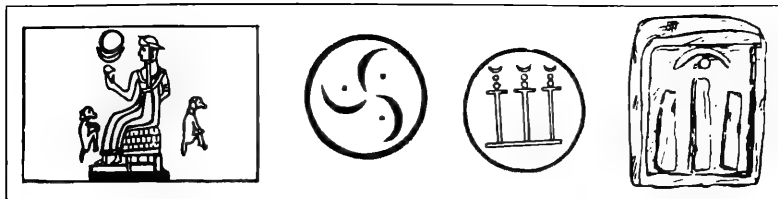
وقد عرفت (مناة) في عصور لاحقة بإلهة الحظ أي (تاكيكي البتراء) ويرجح أن يكون الهيكل الشهير في مدينة البتراء والمعروف بـ(هيكل الخزنة) معبداً للإلهة النبطية (مناة) حيث كانت حامية هذه المدينة .



شكل (٥١) : هيكل خزانة فرعون في البتراء . الذي يمكن أن يكون هيكل الآلهة (منة) حامية البتراء ، والهة الحظ فيها .
(تايكي البتراء) .

وكانت (منة) "إلهة الموت كما يدل عليه معنى اسمها ، المنية ، أو أن لا يكون لاسمها صلة بالمتى ، أي الحظوظ والأمانى ، وهي إلهة مقدمة لدى النبط وغالباً ما يقترن بذي الشرى في نقوش الحجر الضريحية باسم منوتو ويرى ر . ديسو أن كوكب الزهرة له صورتان واحدة في الصباح تسمى العزى حينذاك ، والاخرى في المساء وتدعى حينئذ بل(منة)"^(٨٣).

والموت صفة منة . ونرى شبهاً غريباً بين منة العربية ومناتا (Menata) الآرامية ومنوت (Manot) العبرية . وكل هذه الآلهات ترتبط بطريقة أو بأخرى بالإله (ماني) إله القدر او اله الموت عند الكنعانيين^(٨٤) . لكن (منة) وبرغم تمثيلها للعالم الأسفل قد ترمز الى القمر ، حيث مثلت اللات الشمس والعزى الزهرة . ويشير هذا التثليث الكواكبي الأنثوي الى نظرة سماوية ينض فيها جوهر الأنوثة ، ويظهر تثليث الإلهة الام في أشكال ثلاثة مناظراً للقمر الذي يمر بأطوار ثلاثة (الهلال ، البدر ، المختفي) . ومعروف أن القمر كان يمثل الإلهة الأم في أطوار بعيدة "ولقد عبرت الأعمال التشكيلية القديمة عن هذه الوجوه الثلاثة لعشتار سيدة القمر بأساليب رمزية مختلفة ، ففي سورية رمز الفينيقيون الى أطوار عشتار الثلاث ، بثلاثة أعمدة متفاوتة ، الطول يعلوها الهلال ، أو بثلاثة أعمدة ، يتخذ كل واحد منهم هيئة صليب يعلو الهلال ، وقد يرسم القمر على شكل دائرة تحتوي على ثلاثة أهلة يرمز كل منها لطور من أطواره كما هو الأمر في بعض النقوش البابلية"^(٨٥) .



شكر (٥٢) السوار القمري في نصب فينيقي . ونقش بابلي . وخاتم بابلي

وانه لم يلفت الانتباه بحقا بأن هذا الثالوث الانتوي ظل ثالوثا مقدسا حتى مجيء الإسلام . وكان العرب يتقربون لأصنامهم بالقربابين . وكانت قريش تردد عندما تطوف حول الكعبة :

واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى

فانهن الغرائيق العلى وان شفاعتهن لترجى

وقد ظهر هذا الثالوث في صورة (الغرائيق العلى) . وكان هناك من يزعم بأنهن بنات لله وشفيعاته اليه . وقال تعالى (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك اذا قسمة ضيزى . ان هي إلا أسماءٌ سميتوهن واتم وأباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) .

ان الثالوث الانتوي النبطي يمثل أطوار الالهة الام عند النبطيين . ولكن اللات يقينا في المرحلة الصحراوية مثلت جوهر هذا الثالوث فقفزت الى أعلى لترمز الى الحكمة . لكن صورها وأوصافها في الكتابات القديمة تثبت على كونها الزهرة^(٥١) . وكانت اللات تسمى (ربة بصرى) و (ربة صلخد) .

العزى

أما الالهة الثانية في الثالوث النبطي .. فهي العزى التي تمثل الوجه الشتوي لل (اللات) ويرمز لها بنجمة الصباح (كوكب الزهرة) وهي الآلهة (ذات القناع) في البترا . ولا شك أنها أكثر تمثيلا للالهة عشتار بصفاتها الخصية ، وستصبح هذه الإلهة في مرحلة المثلولوجيا النبطية المركبة أهم من اللات ، وترتبط بالهتين وافدتين على شاكلتها هما إيزيس وأفروديت كما سنرى لاحقا .

ويبدو أن اسمها مشتق من الإله الجزيري (عزیزو) الذي ظهر في الجزيرة العربية وعند المؤابيين والأدوميين . ويقول ابن الكلبي في كتاب الأصنام "أن العزى قد عبدت مجسمة في ثلاث شجرات من شجر السمار بوادٍ اسمه حراض ، وتقول الروايات ان الرسول قد أمر خالد بن الوليد بهدم بيت العزى وقطع سمراتها الثلاث . فأتاها فقطع الشجرة الأولى ثم الثانية . وعندما هم بالثالثة خرجت عليه امرأة حبشية عريانة ، نافشة شعرها ، واضعة يدها على عنقها ، تصر بأنيابها ، وخلفها سادنها ينشد : أعزاء شدي شدة لا تكذبي على خالد القي الحمار وشمري . فقال خالد : يا عز كفرانك لا سبحانه اني رأيت الله قد أهانك . ثم ضربها ففلق رأسها وقتل السادن وقطع الشجرة ، ثم أتى رسول الله فأخبره فقال : تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب ، أما انها لن تعبد بعد اليوم" (١٦) .

إن ارتباط العزى بالأشجار أمرٌ طبيعي لما تمثله العزى من صورة الخصب ذكرناه . في حين ارتبطت اللات بالأحجار لأنها تمثل الوجه الصيفي الجاف من (الالهة الأم) النبطية .

اللات

في الثالوث الصحراوي الأنثوي تظهر (اللات) في قمة الهرم الالهي ، وتمثل الشمس وهي أم الأرباب والالهة الانثوية والذكرية "وخين يتحدث ليفاينوس عن عيد سنوي يقيمهُ الأنباط في بترا لأم الرب النبطي الأكبر ذي الشرى فالأرجح ان كلامه ينصرف الى اللات وان كان يسميها (كعبو) وهو شكل الصنم الذي كان يرمز اليها كما يرمز اليها كما يرمز الى ذي الشرى في الطور الأول من حياة الأنباط" (١٧) . وتعني كلمة (كعبو) الكاعب الحسناء . ويبدو أن أصل الصنم كعبو هو صخرة مربعة (بيضاء اللون في الغالب) تمثل الربة (اللاتو) . فإذا صارت سوداء ، وكبيرة الحجم مثلت (ذو الشرى) ويبدو أن العلاقة بين اللات وذی الشرى تتبدل فمرة تبدو أمه وتسمى (شامو) العذراء وهي الشمس ، وهذا يجعلنا نتأمل في واحدة من المثولوجيات المسيحية (الأم العذراء تلد الرب) ، ولكن اللات توصف غالباً بأنها زوجة ذي الشرى وحبيبته ، ويمكن أن يكون اسم الاله الذي ورد في النقوش النبطية تحت اسم (إل له) هو المقابل الذكري لأسم الالهة (ال لت) ، ويعكس هذا الترادف اللغوي أمراً في غاية الأهمية سيتشكل لاحقاً في اللغة العربية في ضميرين رئيسين هما (هو) و

(التي) ... ويصلح التجريد الذي وصفت به الإلهة اللات والإله (ال له) نمطاً للتعبير عن مطلق مذكر بصيغة (هو) فعندما يعرف سيكون (ال هو) أي (ال له) أي (الله) وعن مطلق مؤنث بصيغته (التي) فعندما يعرف سيكون (ال التي) أي (اللات) .

لقد صادفنا (اللات) كإلهة رئيسة في المثلولوجيا الأدومية . ويحتمل أن يكون مصدر (اللات) من أدوم .

هناك من يرى أن اللات دخلت بين سكنى حوران المتكلمين باليونانية فنقلوا اسمها الى اليونانية على صورة (اثنين) . وهو عند اليونان إلهة الشمس ثم لتكون أما لكل الآلهة النبطية ، لكننا سنراها تتراجع في المرحلة الزراعية لتحل محلها العزى ثم مناة .

الثالوث النبطي الذكري

١. ذو الشرى

يظهر لنا الثالوث النبطي الذكري في المرحلة الصحراوية وكأنه يعبر عن إله واحد هو (ذو الشرى) الذي يقف على رأس هذا الثالوث ليشكل فيما بعد وعلى امتداد تاريخ الانبساط الإله القومي لهم . ويرى البعض أن اسمه اشتق من مناطق جبلية في الجزيرة العربية ، ويرى آخرون أنه مشتق من سلسلة جبال (شرى) في جنوب البتراء . أو من المكان ذي الألياف الملفوفة . "وكلمة دوشارا نابعة من الكلمة العربية (ذو الشرى) ، والشراه هي الجبال الواقعة قريباً من البتراء وهي ماتزال محتفظة بهذا الاسم حتى . أما في التوراة فيطلق اسم (سعير) وهي بنفس كلمة (الشراة) . وتصف التوراة يهوه بأنه أشرق من سعير أي أنه دوشار نفسه . وكان يهوه يقيم في بيت من الحجر ويدعى أحياناً بيت ايل - بيت الله - وكانت هياكله الكبرى تقوم في الأماكن المرتفعة ، مثله مثل دوشارا^(١٢) .

وقد يرد معنى اسم (ذو الشرى) على انه (الإله المنير) وفي ذلك إشارة للشمس ، وفي معجم البلدان نرى أن الشرى موضع عند مكة ، أو وادٍ من عرفة على ليلة بين كعبك والنعمان . ولأن ذا الشرى - يمثل الوجه الذكري لإلهة اللات عند الأنباط فهو إله الشمس وهي إلهة الشمس "أما كون ذي الشرى يراد به الشمس فالأمر واضح من قول استرابون

الذي يؤكد أنّ النبطيين يعبدونها ، وكانوا جعلوا عيدها في (٢٥) كانون أول كما أفادنا القديس ايبفانيوس في كتابه عن الهرطقات . وزاد مكسيموس السوري أنّ النبطيين كانوا اتخذوا صنما لذي الشرى وهو حجر أسود مكعب علوه أربعة أقدام وعرضه قدمان^(١٢) .

وكان ذو الشرى يقرب بالحجر أو الصخر المرتفع الشاهق . وكان يُجسد علي شكل كتلة صخر أو عمود ، أما زوجته اللات فكانت تشير الى الماء والينابيع ، ولذلك تبدو الصورة المذهلة التي تقدمها لنا طبيعة البترا المتفردة أيام امطر ، أي تلك الصخور الشاهقة ذات الايقاع الأسطوري والماء ينزل منها ، وكأنها عناق سماوي مقدس بين ذي الشرى واللات .

إن النبض الخولوجي المهيّب لهذه الصورة يعطي البترا مكانة دينية مقدسة مشتقة من الطبيعة نفسها لا من المعابد أو الهياكل المقامة فيها ، ولذلك كانت كل صخرة هي جزء من جسد (ذو الشرى) وكان كل ماء يجري يمثل اللات . فهي كالدم يجري في عروق جسدي صخري ضخم .

ويبدو إنّ الإله (ذو الشرى) انتشر انتشاراً واسعاً في المنطقة العربية فقد اتخذه الصفيون إلهاً للسماء ومثله على شكل رجل له حية طويلة وعلى رأسه قبعة ، وغبد في دومة الجندل ، وعبدته قبائل طسم البائدة ، وأطلقت عليه أسماء متعددة فهو (ذو الشراه ، وذ شرا ، و دوسر) وهو عند النبطيين إله السلام وأنصابه ورموزه موجهة دائماً باتجاه المشرق حيث الشمس . وكان أهم رمز له هو الصقر الذي نجده منتشراً في آثار البترا . ومن رموزه الأخرى الثور والأسد والأفعى وكلها رموز تدل على الخصب والقوة .

ولم تكن تمثل (ذو الشرى) تماثيل في المرحلة الصحراوية ، بل كانت تدل عليه أنصاب سوداء تقدم لها القرابين ، وكان النبطيون يضعون مذابح صغيرة على سطوح بيوتهم ويحرقون لها البخور للتبرك به .

وهناك مظهر أو اسم آخر يظهر فيه الإله ذو الشرى هو (تره) أو (تده) الذي عبد في تيماء تحت اسم ترتي أو تراتا ، وكان أحد آلهة ثلاثتهم السماوي . وهناك أسماء أخرى له مثل (أشر ، رضى) وهما أسماء مصغرة له .

٢. هبلو

هو الإله الثاني في الثلاث المذكري الصحراوي .. وهو الإله (هبل) الذي أصله (هبل) أي (البعل) . وهو إله جذره كنعاني ، وكان يعبد أيضاً في جزيرة العرب ويكاد يكون الإله الأكبر عند قريش . وكان تمثله من عقيق أحمر ، وعلى صورة إنسان مكسور اليد اليمنى ، صنعت له قريش يداً من ذهب . وتفيد تسميته بمعنى (المسن أو المعمر) وقد عرفته ثمود أيضاً باسمين (ابن هبل ، هبل الخصي) .

وربما اختلفت صورته في قريش حسب ما أملت ظروفها "إلا أن نصبه في جوف الكعبة على جب أمر لا يخلو من دلالة رمزية ، فهو ذكر ، وهو أب ومن بناته اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، وهو بوجه من الوجوه من رموز الخصوبة يستمد معناه الرموز من الماء ، والقرائن الأخيرة تقرّبه أكثر من بعل إن لم تجعله يستوي وإياه . ذلك أن بعلاً عند الكلدانيين والآراميين في صورة (ملك جليل جالس على عرش عظيم) وكان عرش الأنثى عند السومريين على الماء . وكذا تصور الساميون الإله وقد استوى عليه بعد الخلق" (١٤) . وهذا يعني أن هذا الإله كان الإله القومي لقريش ، لكنه هنا حلّ محلاً ثانوياً أما ذي الشرى فقد اختفى بعد ذلك واندمج فيه نهائياً .

أما من أين أتى هذا الإله بعد أن كانت جذوره البعيدة في (بعل) ، فهناك من يرى أن الإله هبل أصله مؤابي رحل إلى الأنباط واللحيانيين ومن ثم رحل إلى جزيرة العرب وتبنته قريش . وبذلك يكون مسراه التاريخي كما يلي :

١ . الإله (بل) في بابل ويشير إلى مردوخ .

٢ . الإله (بعل) في كنعان ويشير إلى الخصوبة .

٣ . الإله (هبل) في مؤاب .

٤ . الإله (هبلو) عند الأنباط .

٥ . الإله (هبل) عند اللحيانيين .

٦ . الإله (هبل) عند قريش .

وانه لما يدعو الى المقاربة بين وجوده في مؤاب والجزيرة هو أن "أساليب عبادة العرب هبل تشبه أساليب عبادة المؤابيين هبل ، فقد كان المؤابيون ينصبون هذا الصنم على التلال المرتفعة أو سقوف البيوت ويذبحون له الذبائح من الحيوانات والأدوميين ويحرقون له المحرقات ويستخبرونه ويفضلونه على سائر آلهتهم وكذلك كان يفعل العرب لهبل . وكما أن هبل أكبر أصنام العرب المؤابيين ومن جرى مجراهم ، فهبل أكبر أصنام العرب ، وكانوا ينصبونه فوق الكعبة" (١٥) .

٢ . شيع القوم

ويسمى أيضا (سح حقوم) أي شفيح القوم ، ويوصف بأنه يكره شرب الخمر ، وهو لذلك واحد من الآلهة القديمة للأنباط ، وربما أقدم من ذي الشرى ، لأن الأنباط عرفوا في المراحل اللاحقة بأنهم أكبر زراع العنب ومنتجي الخمر .

ولعل الصورة الصحراوية لثالوث الأنباط الذكري يعكسها رأي يقدمه ديودورو الصقلي عنهم حيث يقول "لقد ألوا على أنفسهم ألا يبذروا حبا ، ولا يفرسوا شجرا يؤتي ثمرا ، ولا يعاقروا خمرة ، ولا يشيدونا بيتا ، ومن فعل ذلك كان عقابه الموت ، وهم يلتزمون بهذه المبادئ ، لأنهم يعتقدون أن من تملك شيئا استمرأ ما ملك وعز عليه التخلي عنه واضطر من أجل ذلك أن ينصاع لما يفرضه عليه ذو القوة والجبروت" (١٦) .

المثولوجيا النبطية الزراعية

ما أن استقر الأنباط وعرفوا الزراعة وأنشأوا المدن واختلطوا بالأقوام المجاورة وتعلموا منها حتى تسربت عقائد الزراعة وألهته الخصب بقوة الى مجملها الإلهي ، وقد عمل هذا التسرب على إعادة صياغة للإلهين الكبيرين (ذو الشرى واللات) عندهم فتشعب بعقائد الخصب وروح الزراعة . وظهرت المعابد الباذخة المزودة بالمذابح والمباخر ، وظهرت القرابين الحيوانية ، ثم أصبحت القرابين النباتية هي الأفضل وبذلك احتل الكرم مكانة عالية . وكان سفح الحصور في أثناء الطقوس الشعائرية التي ترمز للخصب بمثابة اللازمة الدينية والتعبير العملي عن مثولوجيا زراعية .

ولهل أهم الألهة التي دخلت مع العقيدة الزراعية هو الإله بعل في صورته (حدد) وهي صورة آرامية عن أصل كنعاني / سومري . وهو إله المطر والسحاب والصواعق وكل مظاهر الخصب عند السوريين وقد تأثر النبطيون كثيرا بهذا الإله واستطاع أن يحقن الألهة الصحراوية بمصل زراعي نشط لظهور هذه الألهة بصورة تتناسب مع الحياة الجديدة التي عاشها النبطيون .



(٢)

شكل (٥٣) : الإله حدد في صورته النبطية



(١)

أما الإله الآخر الذي دخل في هذه المرحلة وأتى من أصل أدومي على ما يبدو فهو الإله (قوس) وقد يكون هذا الإله تحت اسم الإله (قيس) أو (قيشع) كما ورد عند عرب الحجاز . وقد وجد في خربة تنور اسمه منقوشاً على شكل (قس اله حورا) . وكانت حورا

أهم مناطق عبادته وكذلك ظهر في بصرى تحت اسم (قيصو) أو (قصيو) "ومن المحتمل أن يكون هو قيس و قوس واختلاف يكمن في اللهجات ونطق بعض الحروف .

ويرى م. فوجيه أنه إنه الأدوميين . أي يرتبط بين كسيوس وقوس وقصي . ويعتقد أن دوشرا . إله الجبل . امتداد له^(١٧) . وقد عرفنا ارتباط هذه الإله بالمطر وقوس القزح .

والإلهان (حدد) و (قوس) ذوا الطبيعة الزراعية الخصيبة التحما بالإله ذي الشرى وأعطياه صفة زراعية رغم أن هناك ثمة من يقول أن الإله ذا الشرى أصلا ذو طبيعة زراعية وفي رأي لشيودور نولدكه (Th. Noldke) أيده فيه أ. ف. ل. بيستون "أن ذا الشرى لا يعني جبال الشراه أو اله الجبال ذلك أن سجل عددا كبيرا من مناطق الجزيرة التي يدخل في تركيبها اسم الشرى . ووجد أن معناه كان مرتبطا بمعنى (الزراعة الكثيفة) فيعتقد بالتالي أن عقيدة ذي الشرى كانت تمثل عقيدة خصوبة . وأنها مرتبطة بكان خصب زراعي كما في كلمة (أيكه) . وقد عقد بيستون مقارنة مع موقع مدين الذي يعد منطقة كثيفة الأشجار والتي عرفت فيه عبادته كذلك . ويعتقد أ. كاميري أنه إله قدم جدا . وقد يكون الأدوميين قد تركوه بعد زوال دولتهم . فعبده الأنباط"^(١٨) . ونحن لانستطيع الاتفاق مع هذه الآراء فقد وجدت الطبيعة الشمسية الصحراوية أكثر ملاءمة لمنشأ الإله . ولكن هذا لا يمنع من ظهوره فيما بعد بظهور خصب في هذه المرحلة أو المرحلة اللاحقة المركبة .

وحدث ما يتببه هذا في مجموعة من الآلهة الانثوية فقد دخلت الإلهة (اترعتا) وهي (اتر-أنا) ربة الخصب السورية أو ربة (هيرابولس) . وكانت زوجة للإله حدد صاحب العرش المجنح بالثيران . أما هي فقد كان عرشها مجنحا بالأسود .

ومن المؤكد أن مقطع (انز) مشتق من اسم عشتار وهي ربة الخصب البابلية .

ويعمل مثل هذا التحول أو التداخل الزراعي الى تغيير صفات اللات الصحراوية أو الى إبراز الآلهة العزى التي تمثل الجانب الخصب في الثالوث الأنثوي .

المثولوجيا النبطية المركبة

انفتح الأفق الروحي النبطي على عقائد كثيرة أحاطت به ، فأخذ الانباط منها وتفاعلوا معها بمرونة شديدة ، فقد أخذوا من الآلهة المصرية والآرامية والبارثية والكنعانية كما أنهم تفاعلوا بشكل مدهش مع الآلهة اليونانية والرومانية وصاغوا من كل هذا الخليط وسطا مثولوجياً ينفردون به حقاً وينعكس ذلك في تفاصيل آثار عاصمتهم البتراء .

لقد أصبح الإله ذو الشرى في هذه المرحلة (زيوس - حدد) وأصبح (ذو الشرى - باخوس) وأصبح يعبد في حوران تحت اسم (ذو الشرى - أعري) ويبدو أن العامل الحاسم في هذا التطور هو دخول عبادة الإله (ديونيزيوس) اليوناني أو (باخوس) الروماني وأصبحت شجرة الكرم وعناقيدها وأوراقها تمثلها . وهكذا أعيدت صياغة ذي الشرى "وقبول بالإله أريس وزيوس فارتبط بالتالي بالشمس وغدا إلهاً شمسياً واشتهر في الفترة الرومانية وعرف فيها باسم (دوزارس Dusares) الذي هو رومنة لاسمه العربي وقد قابلوا بالهتهم مثل ديونيزيوس وباخوس ومارس وحتى بجوبتر ، ويعتبر إله الشمس لدى الأنباط بدلالة عيده الذي يوافق نهاية السنة الشمسية ٢٥ ديسمبر^(١٩) .

وحقيقة الأمر هو أن الإله (ذو الشرى) الذي أصبح لها زراعيًا بالإضافة إلى وظيفة الشمس انشطر في هذا المرحلة اليونانية الاغريقية فجانبه الشمسي ارتبط بالإله زيوس (ذو الشرى - زيوس)، أما جانبه الزراعي فارتبط بالإله ديونيزيوس (ذو الشرى - ديونيزيوس) أو (ذو الشرى - أعري) .



شكل (٥٤) الإله ذو الشرى - باخوس (البتراء)

وينطبق مثل هذا الأمر على الإله (حدد) الذي تمثل جانبه العاصف والمرعد بالاله زيوس وظنهر لنا (حدد زيوس) أو (زيوس حدد) . لكننا لا نعرف على وجه الدقة ماذا كان هناك (ديونيزيوس حدد) رغم أن هناك تطابقاً أقوى بين ديونيزيوس وحدد الذي هو بلع السوري . وقد عثر على تمثال في خربة التنور ميز له او لزيوس حدد "ويعتقد كذلك انه الاله الرئيسي بالمنطقة مع الالهة اتارجاتيس . ولوحظ على تمثاله طوق يزين رقبته . ربما كان أحد اشارات الالهية او الملكية . وغالبا ما يرافق الثور حدداً في تماثيله وتصاويره . ويبدو انه واتارجاتس كانا يمثلان ثنائياً كما في معبدهما بدورا - يوربوس" (٢٠) .

ويتميز هذا التمثال الذي يشبه التماثيل التقليدية لزيوس ولكنه مصنوع بطريقة شرقية نبطية فهو محاط بثورين يحفان بعشره ويرمان للفحولة وعلى نهاية الطوق أسدان يرمزان للقوة وشعره متموج مجمد واللحية مضمورة في خصلات ثلاث ولشاربيه نهايتان معقوفتان وجهته منخفضة وحاجباه كثان وأنفه مبسوط فهو اله شرقي صبح بصغة هيلينية (٢١) .

ان دخول ذي الشرى في مثل هذه الأشكال الخصبية المغدقة في ترفها لا تمنع من احتفاظه بقوى قديمة شمسية الأصل ، لكنها تجعله أكثر تهديباً وقوة ولذلك فإن اضافة زيوس لشخصية اضافت له القوة السماوية فيها بالإضافة الى قواه الخصبية "ومثلما كان هناك توفيق بين يهوه وزيوس . كان هناك توافق أصيل بين يهوه الملقب Sebaoth واله العواصف والرعد الأرامي حداد . فتصور زيوس ويهوه في إطار عبادة قضيبية على صورة عضو ذكورة مهول في السماء يقذف الخصوبة على الأرض في قمة هزة الجماع مع العناصر تصور عنه بدقة باللغة اسم حداد الذي استمده الأراميون من لفظة سومرية تعني الأب القوي" (٢٢) .

ان التحولات التي مرّ بها ذو الشرى من صورة (شيع القوم) الكارهة للخمر الشمسية الى الصورة البعلية البسيطة في (هبلو) الى الصورة البعلية الواضحة في (حدد) الى الصورة الجنسية الخمرية في (ديونيزيوس / باخوس) الى الصورة السماوية في (زيوس) . كل هذه الأشكال تعكس الطبيعة الكونية التي صار اليها هذا الان .

وكذلك مرت اللات بتحويلات مشابه فحول عشتار عليها بصورة (اترعتا) جعلها في مرحلتها المركبة تظهر بأشكال مختلفة جديدة ففي "معبد التنور تظهور في تسعة أدوار .

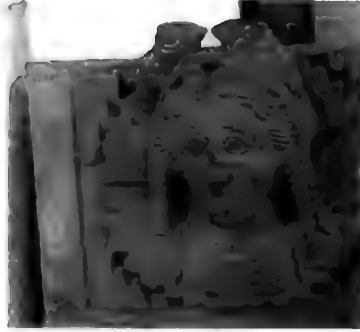
فهي ربة الحياة النباتية ، وربة القمح ، وربة الدلافين ، وربة الحظ (تايكبي) ، وربة البروج وغير ذلك ، وفي تجلياتها المختلفة تعكس معاني ومفاهيم دينية مختلفة أيضاً ، ففي بعض تماثيلها تبدو الأوراق تغطي كثيراً من أجزاء جسمها : وجهها وعنقها وصدرها وأحياناً يظهر التنين والرمان مقترنين بها" (٢٢) .

وتظهر لنا الصورة المائية لأترعتا في شكل الإلهة (اترغاتيس) التي عبدت في عسقلان على شكل إلهة نصفها سمكة ، ومعروف ان هذه الإلهة ذات منشأ رافديني حيث يدل اسمها المركب (اتر-غات) على (عشتار-غات) أو (يد عشتار) التي تدل القوة أيضاً وهي في الأساطير أم الملكة البابلية الآشورية سمير أميس بعد أن حملت من رجل نساج جميل المنظر .

وتقودنا مثل هذه الصورة الى جعل (اترعتا) ربةً للدلافين وهي أسماك كبيرة فقد وجدت تماذج للدولفين في خربة براك وفي بترا وفي عبده وفي وادي رم . وتعكس صورة إلهة الدلافين هذه ظهور نشاط تجاري واسع للأنباط عن طريق البحار .



شكل (٥٥) : اتارغاتيس إلهة الخصب والثمار (متحف عمان) .



شكل (٥٦) : اترغتس الهة السمك والدلافين تظهر سمكتان على رأسها

وتظهر صورتها الأخرى كربة للخيل والجمال وبأنها شفيعة المسافرين وناقلة الانسان الى عالم الموت .

ويبدو ان معبد الإلهة اتراغيتس في سوريا أيضاً جمع هذه الصفات فقد كانت "كبيرة إلهات شمال سوريا ، مقرها الرئيس « منبج » وكانت تدعى (Hierapolis) شمال شرق حلب ، حيث كانت تعبد برفقة زوجها الإله (حدد) وهي تقابل الإلهة الكنعانية عشتار ، وقدسها الإغريق واعتبروها مقابلة للإلهة افروديت ، كما أنها تقابل الالهة الاناضولية (سيبيل) وهي الهة الخصب وتصور وعلى رأسها تاج وتحمل سنبله قمح وبرفقة أسود يحمون عرشها . وقد عبدها الأنباط أيضاً إذ عثر على معبد مخصص لعبادتها في خربة تنور^(٢٤) .

من مناة الى تايكي ونايكي

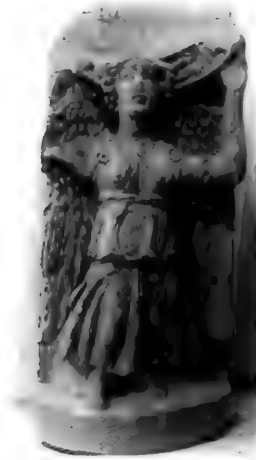
عرفنا أن مناة أصبحت الإلهة الحارسة للبتراء عاصمة الأنباط ، لكنها في هذه المرحلة تتمثل صفات اترغتيس وتتحول الى الهة الحظ (تايكي) البتراء والهة النصر (نايكي) البتراء . وسناقش في الفصل القادم ما تعنيه كل من التسميتين .

لقد كانت صفات مناة القدرية التي عرفناها في المرحلة الأولى من الثالوث الانشوي النبطي تمضي باتجاه تمثيل الحظ والنصر معا ، فهي إلهة الموت والحرب ، أي انها الهة النصر في

حالة كسب الحرب ، ثم انها أساساً كانت توصف كالهة للحظ أو اهتبال الفرصة الضائعة . ولأن (تايكي) صفة للالهة الحارس للمدينة فقد كانت مناة كذلك ، ثم غاب اسمها خلف هذا اللقب . وقد اجتمعنا تايكي ونايكي في منحوتة رائعة في البتراء حيث نرى نايكي وهي تحمل أبراج الفلك الإثني عشر أي انها تحمل الكون على رأسها .. هي بذلك تحمل الأقدار والمصائر . وهذه المنحوتة وجدت في البتراء ، وهي محفوظة في متحف عمان ، الا أن كسرتها العليا التي توضح تايكي (الهة الحظ) وهي تتوسط الزودياك موجودة في متحف أميركي .



شكل (٥٨) : تايكي وسط الزودياك



شكل (٥٧) : نايكي وهي تحمل الزودياك (ابرار الفلك)

وبذلك تكتمل صورة عناة أو اتراغتيس وهي تشير الى الالهتين نايكي وتايكي بطريقة تدعو الى الدهشة .

لكن تايكي تتجلي في منحوتتين أخريين ، الأولى تايكي المجنحة حيث تظهر لها أجنحة تدل على الجزء الطائر فيها ، وهو يعاكس الجزء السمكي الأصل الذي كانت عليه . والأخرى (تايكي ذات السعفة) حيث تظهر تايكي حاملة سعفة تدل على الخضرة والبساتين .



شكل (٦٠) : تاكي ذات السفرة / البتراء



شكل (٥٩) : تاكي المجنحة / البتراء

إن هذه الصور المتعددة المركبة للإلهة الأم النبطية التي تمثلها اترغاتيس خير تمثيل تدل دلالة واضحة على أن هذه الإلهة تمثلت واحتوت صفات متعددة فهي الهة القمح ، والدلافين والأسماك ، والثمار ، والخصوبة ، والأبراج ، والحظ ، والنصر ، والسف ، والطيور ... الخ وقد عبد الأنباط أيضاً الهة الكتابة (الكتبي) واسموها (هكتبي) وتعني خادماً الكاتب وقد انتقلت لهم من الأقوام المجاورة لهم ، وهي ذات صلة بالعزى "وكان لها معبدان أو على الأقل معبد واحد في غرب سيناء بمنطقة الشقاقة ملتقى الطرق عند وادي طميلات ، وموقع قصر اويط قرب الشقافة" (٢٥) .

وعبدت هذه الإلهة عند العرب حتى القرن الثالث الميلادي ، وقام بعض الباحثين بربطها مع الاله المصري (تحوت) والاغريقي (هرمس) والبابلي (نبو) والروماني (مركوري) وكلهم آلهة مسؤولون عن الكتابة . ويرى الدكتور فوزي زيادين انها كانت الالهة التي تحمي القوافل والمتحكممة في مصائر البشر . وهناك جبل صخري في البتراء هو "جبل أو مرتفع الكتبي وهو جبل في الرقيم يواجه المسرح وبه مجموعة من المقابر غير المكتملة وبه أكبر خزان للمياه داخل الرقيم فهل يكون هذا الاسم تحريف ل(الكتبي) وأن يكون في هذا المرتفع معبد أو هيكل لهذه الآلهة؟" (٢٦) . فالكتبي اذن صورة ثالثة للالهة العزى التي احتوت عناصر صحراوية سامية ويونانية ومصرية ورافدينية وبذلك هضمت مثل اترغاتيس التي هي صورتها الاخرى تراث المنطقة كله ، ومثله .

وبذلك تكون المثلولوجيا النبطية (في مرحلتها) الأخيرة خير معبر عن مستويات الحضارة التي مرّ بها الاردن ، حيث تعكس في طياتها اختلاط ثقافات شرقية وغربية في صورة محلية مليئة بالحياة والجمال وتنبض فيها قوى الطبيعة بأكملها وتصبح مدلولاتها الرمزية أشد غوراً وعمقاً .



شكل (٦١) : الاله ميركوري (هرمس) رسول الالهة

المرحلة	الآلهة الأنثوية	الآلهة الذكورية
الصحراوية	اللوات ، العزى ، مناة	ذو الشرى ، هبلو ، شيع القوم
الزراعية	اترعنا	حدد ، قوس
المركبة	<p>(١) العزى تتحول الى ثلاث :</p> <p>١ . العزى ايزيس</p> <p>٢ . العزى افروديت</p> <p>٣ . العزى الكتبي</p> <p>(٢) مناة تتحول الى اثنتين</p> <p>١ . إلهة الحظ (تاكيكي)</p> <p>٢ . إلهة النصر (تاكيكي)</p> <p>(٣) اترغاتس الإلهة الام الشاملة للأسماك والثمار والفلك والخصوبة</p>	<p>(١) ذو الشرى يتحول الى ثلاث :</p> <p>١ . ذي الشرى ديونيزيوس</p> <p>٢ . ذي الشرى زيوس</p> <p>٣ . ذي الشرى اعرى</p> <p>(٢) حدد يتحول الى حدد / زيوس</p>

جدول (١٨) : تحولات الآلهة النبطية

من العزى الى ايزيس وافروديت

أما الإلهة العزى التي ارتفع شأنها في المرحلة الزراعية فتتحد في هذه المرحلة مع إلهتين وافدتين . الأولى هي ايزيس المصرية التي تتطابق معها في الصفات (الخصوبة ، كوكب الزهرة ، الحب ، الجمال) ، والثانية هي أفروديت اليونانية التي تتطابق معها أيضا في نفس الصفات السابقة ... ولكن اسم العزى يبقى مرتبطا بهما . وتظهر صورة (العزى - ايزيس) في منحوتة كتب عليها (الهة حيان بن بنط) وهي منحوتة فريدة من نوعها حيث يبدو وجه الالهة مستطيلاً بغم يميز الشفاه وأنف مستقيم وحواجب كثيفة ويزينها اكليل مستقيم مكون من أوراق صغيرة . أما (العزى - افروديت) فتظهر بطريقة اخرى بوجه طويل وتاج مكون من ثلاثة أغصان مشجوجة ولها ملامح يونانية .



العزى - الكتي



العزى ايزيس (معبودة حيان بن بنط)

رموز الآلهة النبطية

تمثل الرموز الدالة أو المرافقة للآلهة اختزالاً تشكيمياً لماهية أو معنى أو وظيفة هذه الآلهة ، وقد لعبت دوراً كبيراً في تعميق وتنويع النسيج الميثولوجي وجعل دلالاته أشد وضوحاً . ويرى دوركهيم مثلاً أن "العلاقة بين الأشياء المقدسة علاقة رمزية وليس علاقة طبيعية أو فطرية ، وأنه بدون الرموز فإن المشاعر الدينية تكون عرضة للضعف والزوال ، وإن الحياة الاجتماعية بكل مظاهرها وفي كل لحظة من لحظات تاريخها تحتاج إلى هذه الرمزية الواسعة العريضة حتى تستمر في الوجود"^(١٥) . وهكذا ساهمت الرموز بدور كبير في ترسيخ وانتشار المادة الميثولوجية التي يمكن أن نصف أهمها في المحاور التالية :

١. **الرموز النباتية** : وتشمل القمح ، وتحديدًا سنبله القمح والتين والرمان .. وهي رموز الإلهة اتارجاتيس . أما شجرة الكرم وعناقيد أوراقها فرموز للإله ذي الشرى في طور ديونيزيوس أو أعرى .

٢. **الرموز الحيوانية** : وتشمل النسر ليدل على الإله قوس أو قيس ، ويدل النسر إجمالاً على الشمس ، وتوحي منحوتات النسر في البتراء بذلك ، فهي تشير إلى الشمس ، ويظهر النسر بهذا الصيغة من خلال معتقد ميثولوجي قديم رافديني آشوري (الشمس والنسر) أو مصري حيث يحمل النسر الشمس فجر كل يوم من البحر الهولي ليطلع بها وهي بين قدميه إلى السماء .

أما ظهور الشمس والحية معاً فلا شك بأنه يذكر بقصة اسطورية رافدينية قديمة حول صعود ايتانا إلى السماء وبخسه عن نبتة الانجاب ، وايتانا هذا ملك اسطوري من أول سلالة بعد الطوفان .

أما الرمز الشاني المهم فهو رمز الأسد الذي يدل على الإلهة العزى . وكذلك تظهر مجموعة من الأسود دائماً في خدمة الآلهة اتارجاتيس .

الرمز الثالث هو الثور الذي يرافق الإله زيوس حدد ويرمز إلى الإخصاب .

٣. **الرموز المتنوعة** : وتشمل مانعة الصواعق التي تدل على زيوس حدد ، والكف المرفوعة وهو رمز نبطي قومي يميزهم عن غيرهم ، وقرنا الخصب المتقاطعان هو رمز هيلنستي يمثل اتارجاتس ورمز البروج الذي يمثل اتارجاتس وقدراتها الفلكية ومسكها بالمصائر .

مظاهر المثلولوجيا النبطية : الطقوس والمعابد

ورث الأنباط ما استعمله الأدوميون عن الكنعانيين من أماكن للعبادة ، فبالإضافة الى المعابد التي ذكرناها كانت هناك انواع اخرى من أماكن العبادة وهي المعلبات (High Places) "وهي عبارة عن مساحة منحوتة في الجبل مكشوفة وأرضيتها واسعة وشكلها شبه بيضاوي يتوسطها المذبح حيث تقدم الأضاحي ، والمثال الذي وجدناه على حالته الأصلية هو معلبة الرقيم ، ويطلق عليها هناك « المذبح »^(١٦) .

وترى الباحثة هتون الفاسي ان المعلبات وهي أماكن العبادة العالية وخصوصا المعابد الموجودة على رؤوس الجبال (كجبل أثلب ، المناجاة ، غنيم ، خربة تنور ، خربة الضريح ، ومعبد بعل سمين) ماهي الا معلبات متطورة ونرى ان المعلبات هي الشكل الجبلي لهياكل العراء الكنعانية التي تطورت عن العبادة الميغاليثية . وكان الطريق من الأرض المستوية الى المعلبات عبارة عن درج طقسي تزيينه تماثيل للأسد (رمز العزى) والهلل (رمز الثور البعل) وهناك مشكاوات ومذابح .

كانت المعلبات ذات طابع طقسي مهيب ونعتقد انها كانت مسرحاً لطقوس مثيولوجية خاصة مرتبطة بتقديم الأضاحي في بعض المناسبات ، أما الانصاب فقد استمر ظهورها عند الأنباط كما كانت عند الكنعانيين تسمى (بيت ايل - Betyl) وفي النبطية تسمى (نصب) أو (مصبا) فإذا وضعت قرب مذبح سمي المكان كله بالنبطية (مسجدا) والمسجد كما ورد في الآرامية واليونانية عبارة عن محراب ويقترّب من المشكاوات النبطية .

إن الأنصاب النبطية "عبارة عن حجارة منصوبة يكون ارتفاعها ضعف عرضها ومن أشكالها ما يكون مستطيلاً ومنها ما يكون محدباً وغير ذلك وهي ترمز للآلهة .

وعادة ما تكون بدون أية ملامح وجهية عليها وهذا من خصائص الفن النبطي وهو كناية عن رفضهم لتصوير الآلهة بأشكال آدمية^(١٧) وهذا أمر غير صحيح ونخالف به الباحثة هتون الفاسي لأن تصوير الآلهة تم عند الأنباط من خلال المنحوتات الالهية الكثيرة التي سبق أن ذكرناها .

قد تكون الأنصاب لأكثر من اله ، ثنائية ، أو ثلاثية وكانت الطقوس المرتبطة بها تتضمن الدوران حولها وإراقة الدماء أو الحليب ونحر الأضاحي عندها .

أما المسلات (Obelisks) فهي أنصاب أشد انتظاماً وربما احتوت على الكتابة . أما المشكاوات (Niches) فهي كوى بيضوية أو مستطيلة في الحائط تشبه المحراب وتوضع فيها تماثيل للآلهة وتتلى أمام هذه التماثيل الأدعية .

كانت الآلهة النبطية تعبد في معابد تسمى (محرمات) أو (بيتا) والإثنان تجمعان معنى المراد منه هو (البيت الحرام) أي (البيت المقدس) . وأهم المعابد النبطية هي :^(٢٨)

١ . معابد الأسود المجنحة في البقراء : وهي معابد استثمرت الصورة المثلوجية الأشورية أو المصرية (أبو الهول) فجنحت الأسود وكانت مخصصة لعبادة الآلهة اترجاتيس أو العزى في شكل ايزيس .

٢ . معبد اعري الموجود في بصرى : وقد تعني كلمة اعري (الاله العاري) الذي هو ديونيزيوس اله الخمر والفجور في صورة حوارنية نبطية .

٣ . معبد اللات : ولها معبدان واحد في (الحجر) والآخر في (صلخد) بحوران واسمها هنا (الهتهم) وتسمى في صلخد (ام الآلهة) .

٤ . معبد بعل سامين : في سيع بحوران ، وهي نوع من (المعليات) .

٥ . جبل إثلبل : وهو من الجبال المقدسة لما يحتويه من أحجار مقدسة وأثار دينية كالنصب الذي يدور حوله المتعبدون .

٦ . جبل غنيم : جبل مقدس للتيماثيين الذين كانوا جزءاً من المملكة النبطية ، لالههم الكبير (صلم) .

٧ . معبد جبل المنيجة : جنوب وادي فيران بجنوب سيناء ، وهو جبل المناجاة ويرتبط ميثولوجياً بالنبي موسى ، وعلى رأسه مزار يشبه المعبد النبطي .

٨. معبد خربة القنور: كان أولاً مخصصاً للإلهة اتارجاتيس وإله حدد ، تظهر فيه الإلهة اتارجاتيس إلهة السمكة ، الحبوب ، الفواكه ، الخضار وتبدو كامرأة حسناء مغرية بملامحها وشعرها وملابسها ورموزها . أما الإله حدد فرمزه الثور الذي يرافقه .

٩. معابد ذو الشرى (دوشرا): وهي متعددة منها في ام الجمال جنوب حوران وعند وادي (وغيث) غرب البتراء .

١٠. معبد الديوان: في الحجر محفور بجبل إثلث وهو نوع من مثولوجيا المكان ، وهناك من يقول إنه للإله أعرى .

١١. معبد صلخد: في حوران وهو مكرس للإلهة اللات .

١٢. معبد العزى: في البتراء وفي جبل رم .

١٣. معبد قصر الصريح: قرب خربة التنور وعثر في هذه المنطقة على عشرين معبد نبطي شعبي لخدمة الناس وعباداتهم .

أما مظاهر العبادة الأخرى عند الأنباط فكانت تتمثل في سياستهم المميزة للكاهن (بافكل) وهي تسمية ترجع بجذورها الى البابلية حيث كان يسمى الكاهن (افكلو) وهذه بدورها ترجع الى السومرية حيث يسمى (ايفكلو) وهناك من درس هذه الكلمة ورأى فيها مصدراً لكلمتي (الأفك) و (الفلك) في اللغة العربية ومعناها يتطابق مع طبيعة الجذر .

وللكاهن أسماء نبطية أخرى مثل (كمر) و (فتورا) التي تعني المتنبئ، أو (العراف) أو (قارى، الفأل) وهو الكاهن الخاص بتقديم النصائح التنجيمية وتفسير الأحلام . وهناك (المرزح) وهو كاهن الاحتفالات الدينية المصحوبة بالغناء والموسيقى والطعام . وهناك (المرمقر) وهو كان الاضحيان الذي كان يبقرها ويقرأ أكبادها وأحشائها لأغراض تنبؤية . وهنا (اقطيرا) أي الكاهن الخاص بتقديم القرابين كالعسل أو الحيوانات أو حرقها أو حرق ما ينوب عنها من البخور . كذلك فقد كانت كلمة (كهن) و (كهنا) تستعمل للدلالة على الكاهن بصورة عامة .

أما عقائد ما بعد الموت فقد كانت تتضح في اهتمامهم بدفن موتاهم في مقابر مهيبة وإيداعهم الأغراض الشخصية كالحلى والأواني والأختام والنقود والطعام وغير ذلك ما يعكس اعتقادهم بعودة الميت الى الحياة وحاجته لاستخدام هذه الأدوات . وكانو يسجلون علي مقابرهم أسماءهم . والقبر عندهم هو ال(كفر) و ال(ضريح) .

كانت الصلاة تؤدى وبشكل خاص الأدعية . وكان المصلي يرفع يديه الى الأعلى وهناك نصوص خاصة باللعن تسمى (أدعية اللعن) تدم فيها من ينش القبور . وهناك نوع من التماثيل والرقى كتبها الأنباط فقد "تم العثور مؤخراً على بردية نبطية تؤرخ بحوالي ١٠٠ ق م . قرب بئر سبع بصحراء النقب ، تتناول موضوعاً جديداً الا وهو التماثيل . وهي عادة مألوقة لدى الآراميين واليهود والسريريان . لكن الكثير من المفردات غير محددة المعنى ومضمونها العام يدور حول عليل يطلب التخلص من سيطرة امرأة عليه ويستعين في ذلك بذكر عدد من الأرواح والملائكة الذين يصورون كبنات للآلهة ويدعون (فشرتاً)" (٢٨) .

مثنولوجيا المكان

لم ينفرد النبطيون في جعل المكان ، مدينة أو قرية أو مقاطعة ، مؤشراً لمثنولوجيا الآلهة ولكنهم ربما فاقوا غيرهم من الأقوام التي سكنت الأردن في هذا الموضوع ، فقد آله الأنباط بعض مدنهم ، مثل تأليهم لأول مدينة نزلوا فيها وهي مدينة (جايا) وهكذا ظهر الإله (جايا) مكاناً . وليس دالاً على المكان . وألهو كذلك الجبل الذي تركوا فيه آثارهم على شكل اله وهو (قطبه) . وكذلك آله أهل حوران الإله (بصرى) وسمّو عاصمتهم باسمه . وقد تكون هذه الأماكن أسماء آلهة عبدت في تلك الأماكن ثم اطلقت أسماؤها عليها ولكن هذا الاحتمال ضعيف . فالآلهة غير موجودة كأسماء ورموز وتمائيل ومعابد في النظام المثنولوجي للأنباط . ولذلك نرجح عبادة الأماكن لذاتها وتصورها على شكل اله . وقد ورد في نقش من (صلخد) يوضح ان الآلهة الكبرى كانت تسمى (ذات الأثر) أو (ربة أثر) أي (سيدة المكان) وهذا يعطي لفكرة المكان الألوهية عمقاً أركولوجياً .

قد نستثني من هذه الفكرة . رغم مجاورتها لها ، منطقة كانت تقع ضمن دولة الأنباط وهي قرية قرب جرش تسمى (رمان) التي نرجح أن يكون اسمها قد جاء من اسم الاله

(حدد) أو (هدد-رمون) أو (رمان) وهو الاله الزراعي الذي ورد في الآثار النبطية (وربما كان أقدم من وجود الأنباط) فقد ورد ذكره في التوراة . "وتوقفنا نصوص رأس شمرا على أن (حداد) أو (بعل حداد رمان) المرعد الذي دعاة الكهنة والنبیین في (العهد القديم) بـ(هدد رمون) أي رمان على نحو ما نجد في سفر زكريا ، ودعوه بـ(حداد) عند ذكر اسماء ملوك السوريين . بات عندما دخل ضمن آلهة الكنعانيين والفينيقيين الهاً نشطاً رفیع المكان لكنه ظلّ في مكانة أدنى من مكانة (إیل) كبير آلهتهم" (٢٠) .

وتعتبر مدينة البتراء بتكوينها الصخري الفريد مدينة دالة على أقصى ما يمكن أن تجده المثولوجيا مكانياً ، فمنظرها المهول الذي يبدو وكأن آلهة جبارة تدخلت في صياغة جباله الصخرية ومنحنياته وكواه واطلالاته ، يوحى بأشكال آدمية وحيوانية ونباتية وتشعر وأنت في قلب هذا المكان بأنك لا تحتاج الى مسميات إلهية أو معابد ، فكل إطلالة صخرة هي إله ومعبد في نفس الوقت . لكن زخرف الأيادي النبطية ملأ المكان بالرموز والاشارات المثولوجية التي تدل وتشير الى ارتفاع روحي هنا ، وثنية وجدانية هناك .. لقد خرجت البتراء من هيلولى الحجر والماء ، هيلولى ذي الشرى واللات في أقدم تشكلها الإلهي . كان جسد ذي الشرى هو الصخر وكانت عروقه تمتلأ باللات حيث هي شمس تسطع داخله وخارجه ، شمس / ماء ولكنها دم في عروق الحجر أيضاً .

سواقي الماء وشهوات الحوريات المائية والدلافين التي تتفافز على الصخر وتلقي بها اترغاتيس على سطح هذا البحر الحجري .. ثم تلقي عليه خضابها وبذورها وأثمارها .. ثم تشهق عالياً وتدور قرص الفلك الدوار بأبراجه الاثني عشر .. تدور القرص الأقدار والمصائر .

هذا المكان (البتراء) هو نموذج حي نابض سرمدى لـ(مثولوجيا المكان) وكم تبدو كل أمكنة العبادات والدين والطقوس مصنوعة بأيدي وأرواح بشرية إلا هذا المكان ، فقد صنعتها الطبيعة وحشود الآلهة التي دبت فيه وتسربت في عروقه .

هوامش الفصل الخامس

١) انظر كتاب احسان عباس « تأريخ دولة الأنباط » دار الشروق للنشر ط ١ عمان ١٩٨٧ . ص ٢٢ .

٢) المرجع السابق ص ٨٥ .

٣) علي ، جواد : "تأريخ العرب قبل الاسلام" ج ٣ . مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٣ . ص ص ١٤ ، ١٥ .

٤) عباس ، احسان : "تأريخ دولة الانباط" دار الشروق للنشر والتوزيع ط ١ عمان ١٩٨٧ ص ١٢٨ .

٥) الحوت ، محمد سليم : «في طريق المتولوجيا عند العرب» . ص ٦٩ .

٦) ابن الكلبي : "كتابة الاصنام" تحقيق أحمد زكي ، القاهرة ١٩٦٥ . ص ٢٥ .

٧) الفاسي ، هتون اجواد : "الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية" ص ٢٤٤ .

٨) الحوت ، محمد سليم : «في طريق المتولوجيا عند العرب» . ص ٧١ .

٩) الفاس ، هتون اجواد : «الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية» . ص ٢٤٤

١٠) انظر كتاب الحوت "في طريق المتولوجيا عند العرب" ص ٦٥ .

١١) السواح ، فراس : "لفز عشتار" ص ٨٦ .

١٢) هاردنج ، لانكستر : "آثار الاردن" ترجمة سليمان موسى ، وزارة السياحة والآثار في الاردن ، عمان ، ط ٢ ، ١٩٧١ ص ١٤١ .

- ١٣) الحوت . محمد سليم "في طريق المثلوجيا عند العرب" ص ٦٠ .
- ١٤) عجينة ، محمد : "موسوعة اساطير العرب عن الجاهلية وولادتها" دار الفارابي . بيروت . ط ١ ١٩٩٤ . ص ١٩٩ .
- ١٥) الحوت ، محمد سليم : "في طريق المثلوجيا عند العرب" ص ٧٨ .
- ١٦) عباس ، احسان : "تأريخ دولة الانباط" ص ٢٩ .
- ١٧) الفاسي ، هتون اجواد : "الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية" . ص ٢٣٨ .
- ١٨) المرجع السابق ص ٢٣٠ .
- ١٩) المرجع السابق ص ٢٣٠ .
- ٢٠) المرجع السابق ص ٢٢٧ .
- ٢١) انظر احسان عباس "تأريخ دولة الأنباط" ص ١٣١ .
- ٢٢) مقار ، شفيق : "قراءة سياسة للتواراة" ص ٢١٥ .
- ٢٣) عباس ، احسان : "تأريخ دولة الانباط" ص ٣٢ .
- ٢٤) الفاسي ، هتون اجواد : "الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية" ص ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .
- ٢٥) أبو زيد ، أحمد : "الرمز والاسطورة في البناء الاجتماعي" . مجلة عالم الفكر . المجلد ١٦ . العدد ٣ ، ١٩٨٥ ص ١٥ .

٢٦) الفاسي ، هتون اجواد : "الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية" ص٢٥٦ .

٢٧) المرجع السابق ص٢٥٧ .

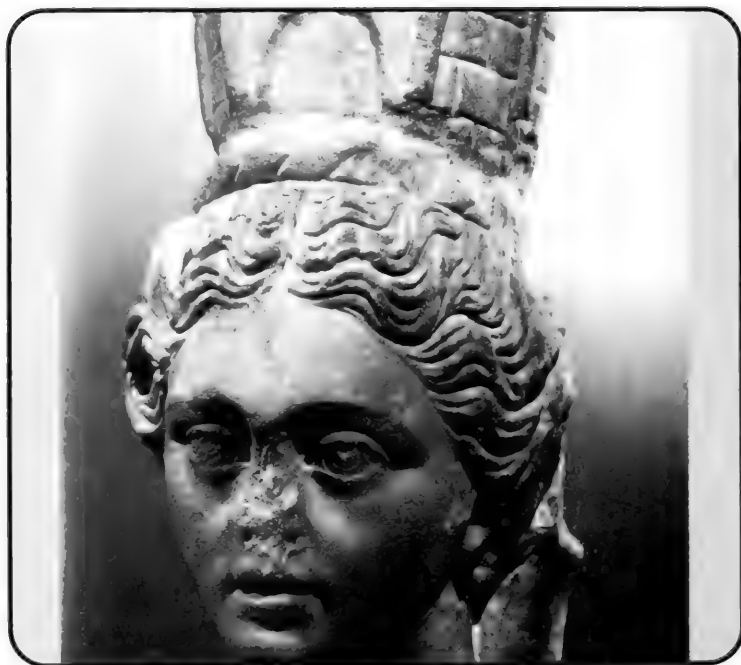
٢٨) انظر المرجع السابق ص٢٥٠ وما يليها .

٢٩) المرجع السابق ص٢٨٨ .

٣٠) مقار ، شفيق : "قراءة سياسية للتوارة" ص٢١٦ .

الفصل السادس

المثولوجيا اليونانية الرومانية



تاكي عمون

مقدمة تاريخية

المرحلة الهيلنستية (٣٣٢-٦٤ ق.م)

بدأ العصر الهيلنستي في الشرق بالغزو اليوناني الذي قام به الاسكندر المقدوني مجتاحاً الشرق الأدنى من مصر غرباً حتى الهند شرقاً ، وعندما توفي الاسكندر خضعت مصر وفلسطين والأردن وسوريا الجنوبية الى حكم بطليموس أحد قادته ، الذي جعل من مصر عاصمة للملكة الهيلنستية البطليموسية .

كانت في جنوب الاردن في ذلك الوقت المملكة النبطية وعاصمتها (البتراء) ، وقد دفعت الحكايات الأسطورية عن ثراء الأنباط وملوكهم حاكم سوريا (انتيغونوس) الى غزو الانباط عام ٣١١ والاستيلاء على العاصمة وحصد غنائمها . لكن الانباط استغلوا المكان غير المناسب الذي عسكر فيه ، فهاجمه الانباط وسحقوا جيشه ، فقام اليونانيون بتنظيم حملة ثانية بقيادة (ديتيريوس) الذي دخل البتراء فوجدها خالية من السكان الا من شيوخ طاعنين في السن ، ففاوضهم وقدموا له الأموال وحققوا سلاماً ناجزاً لمنطقتهم ، وكانت هذه بالطبع خطة نبطية لامتصاص الغضب اليوناني .

كان الجزء الشمالي من سوريا خاضعاً لسيطرة (سلوقس) القائد الكبير الثاني من قادة الاسكندر الذي قام بعد وقت بغزو الأردن دون مقاومة محلية أو بطليموسية منافسة آنذاك . لكن بطليموس الثاني غزا عمون وبعض مديان عام ٢٨٤ ق م ولم يتعرض للأنباط .

هكذا نرى أنّ الوجود اليوناني في الاردن لم يكن همجياً أو قاسياً بل ان الأردن كان منطقة فراغ سياسي آنذاك ، ولذلك ظهرت معالم هذا الوجود في العمران والثقافة وبدأ بناء مدن هيلنستية ذات طابع يوناني ، وحتى الانباط الذين كانوا يتمتعون باستقلال نسبي تلقفوا عناصر العمران والثقافة الهيلنستية وتفاعلوا معها بشكل إيجابي تماماً .

تغيرت أسماء المدن من أسماء أردنية ونبطية الى أسماء يونانية فعمان التي هي عمون أصبح اسمها فيلادلفيا تكريساً لبطليموس فيلادلفيوس الثاني الذي حكم من (٢٨٥-٢٤٧) ق م ومعنى فيلادلفيوس (الاخ العاشق والمحب) وهكذا أصبحت مدينة عمان

فيلادلفيا تعني (المدينة العاشقة) ، وشهد هذا العصر رخاءً حضارياً وثقافياً كبيراً وتبنت مدن الشرق الأدنى اللغة والكتابة اليونانية .

ان الصراع السلوقي البطلمي كان مثار فائدة سياسية واقليمية للأنباط الذين توسعوا الى الشمال . ولما وقعت معاهدة ١٩٧ ق م بين السلوقيين والبطالمة أظهر الأنباط ميلاً للسلوقيين الذين احتفظوا بفلسطين وسوريا والاردن .

وفي عصر السلوقي (انطيوخس الثالث) قام يهودي من فلسطين اسمه (هركانوس) بإنشاء دولة مستقلة في اراضي عمون جعل مركزها في خربة (عراق الأمير) غرب عمان . ثم بدأ بتوسيعها خلال اثنتي عشر سنة ، لكن انطيوخس الثالث أرسل له حملة تأديبية فأنكسر جيشه وانتحر عام ١٧٥ ق م.

ثم قامت ثورة يهوذا المكابي الذي استطاع خلال السنتين الحاق الهزيمة بأربعة جيوش أرسلها له أنطيوخس الثالث . وعندما توفي هذا قام يهوذا بغزو أراضي عمون . لكن العمونيين قاوموه دون فائدة .

كانت الدولة المكابية هذه مثل فقاعة سريعة حيث سحقت نهائياً عام ١٦١ ق م وهزمها السلوقيون نهائياً .

وبعد أقل من قرن قامت ثورة يهودية اخرى استطاع فيها قائدهم (جانيوس) أن يسيطر على الأردن كلها حتى وادي الحسا . أما الأنباط فكانوا مستقلين تماماً ، بل انهم وسعوا مملكتهم حتى دمشق وسيطروا على هذه المنطقة حتى ١٠٦ م . وكان يحكم الأنباط الملك الحارث الثالث فلهلين (المحب للهيلينيين) عام (٨٧-٦٢) ق م .

وخلاصة الأمر فإن المرحلة الهلنستية كانت تشير الى وجود خمس قوى في الأردن (البتليموسية ، السلوقية ، الأردنية المحلية ، النبطية ، اليهودية) . وقد تفاعلت ثقافات هذه القوى بطريقة فذة انتجت ولاشك ما أنتجت من ديانات وثقافات معروفة باستثناء القوة اليهودية .. فقد كانت عامل تدمير كبير للمدن الأردنية في هذه المرحلة .

المرحلة الرومانية (٦٤ ق.م - ٣٢٤ م)

توسعت الامبراطورية الرومانية . وكان الشرق عموماً واحداً من أهم مناطق نفوذها . فقد قام بومبي حوالي سنة ٦٤ ق م باحتلال بلاد الشام وإعمار المدن اليونانية التي خربها اليهود وأنشأ الطوق الدفاعي والتجاري ممثلاً بالمدن العشر (الديكابولس Decapolis) وأغلبها يقع شرق الأردن وهي :

١. بيسان (سكاثيو بولس Scytho polis) .

٢. فحل (بيلا Pella) .

٣. ديون Dion ؟

٤. جرش (Gerasa) .

٥. عمان (فيلادلفيا Philadelphia) .

٦. أم قيس (كدارا Gadara) .

٧. رافنا (Raphana) .

٨. هيبوس او خربة السوس وهي دمشق (Hippos) .

٩. قناتا (كاناثا Kanatha) .

١٠. بصرى (Basra) .

واضيف لها (ابيلا ، بيت راس ، اربيل ، درعا) .

وكان النظام السياسي لهذه المدن هو أن تحتفظ باستقلالها التام شرط أن تدفع الضرائب للأمبراطورية ، وانسحب هذا على الأنباط فدفعوا المال ليستمروا في المحافظة على استقلالهم . وما أن توفي بومبي حتى عادت الاضطرابات في هذه المنطقة . وحوالي سنة ٤٠ ق م أصبح هيرودس ملكاً على منطقة (اليهودية) وشرق الأردن ، ثم اختلف هيردوس مع الأنباط فهاجمهم وأخرجهم من شمال مملكتهم ثم استمرت هذه السيطرة متفاوتة وبعدها ظهر الاردن مقسماً الى ثلاث مناطق يخضع كل منها لسلطة مختلفة كما يلي :

١ . المنطقة الشمالية - الديكابولس الرومانية .

٢ . المنطقة الوسطى - من الزرقاء على الأرتون منطقة بيريا الخاضعة للمملكة اليهودية في فلسطين .

٣ . المنطقة الجنوبية - مملكة الأنباط المستقلة .

بعد أن توفي (هيردوس الكبير) في ٤ ق م خلفه (هيرودس تتراك) الذي تزوج من ابنة الحارث الرابع الملك النبطي ثم طلقها بعد من اجل هيروديا زوجة اخيه ، وقد دفعت هذه الحادثة الحارث لارسال جيش لمحاربة هيرودس والحاق الهزيمة به .

ولما أقام هيرودس في منطقة ماخيروس (مكاور جنوبي غربي مادبا) قام النبي يوحنا المعمدان (يحيى) بتأنيبه والخط من شأن هيروديا وابنتها سالومي التي انتقمت من يوحنا وحرضت هيرودس على قتله في ماخيروس .

وفي عام ١٠٦ م قام الامبراطور الروماني تراجان بالقضاء على استقلال مملكة الأنباط وخضعت الأردن بأجمعها في عصره لنفوذ الرومان ، ثم ظهرت منطقة (البتراء العربية) الخاضعة للنفوذ الروماني وكانت البتراء عاصمتها بصرى ، وسادت بعد هذه الفترة مرحلة من السلم والأمان فتعمرت المدن الأردنية وارتفع الفن المعماري الى ذروته في الاردن .

المثولوجيا اليونانية الرومانية

تحتل المثولوجيا اليونانية أوسع مساحة من بين المساحات المخصصة لمثولوجيا الشعوب القديمة ، ولقد كانت حتى وقت قريب تشكل الأثرى والأعمق وربما الأقدم (حسب بعض المؤرخين) ، لكن ظهور المثولوجيا الرافدينية والمصرية والكنعانية قلل من أهميتها ووضعها في المكان المناسب لها .

ولاشك أن المثولوجيا اليونانية تمتلك كل عناصر الغنى والعمق ، وقد مثلت جوهر الديانة اليونانية وجوهر الأدب اليوناني كذلك .

ورث اليونان آداب وعلوم وفنون وديانة الشرق المتوسطي القديم وتأثروا بها ، وأعادوا صياغتها ، وظهروا بعدها بمعارف جديدة فتشكلت في اليونان خميرة جديدة استطاعت أن تقدم للتاريخ البشري أعظم المنجزات في العالم القديم .

لقد كان اتصال اليونان بالشرق واضحاً ومعروفاً فقد مرّ تراث الشرق المتوسطي إليها عبر ثلاث قنوات رئيسية : الأولى عن طريق آسيا الصغرى حيث انتقل تراث وادي الرافدين وفارس والشام عن طريق مباشر أو غير مباشر قام به الحثيون والحيوريون . والقناة الثانية عن طريق البحر الأبيض المتوسط حيث قام الفينيقيون بنقل التراث الكنعاني الى اليونان . والثالث عن طريق جزيرة كريت والبحر حيث انتقل التراث المصري إليهم . ثم قام الإغريق بإعادة تخليق لتراث هذه الشعوب ، وقدموا نسقاً جديداً من خلال تراثهم الخاص ، ثم بدأوا بتصديره الى الشرق الذي كان منبعاً لهم ذات يوم ، فنشأت من المزاجية بين تراث اليونان والشرق ما سمي بالثقافة الهلينستية اثر اجتياح الاسكند المقدوني للشرق ونشؤ كيانات سياسية وثقافية كبيرة فيه .

ولما ظهر الرومان على مسرح التاريخ ، أخذوا التراث اليوناني ولم يضيفوا له الا قليلاً ورافق هذا التراث فتوحاتهم فكان لهم ان استكملوا مسرى الثقافة الهلينستية يوم سيطروا على اصقاع كبير في المشرق العربي تحديداً .

كانت المثلولوجيا اليونانية الرومانية جوهر الديانة عندهم فانتشرت معابد الآلهة وهياكلها على أنقاض معابد وهياكل المثلولوجيا المحلية ، وما أن مضى وقت حتى تفاعلت الواحدة مع الأخرى وأخذت المثلولوجيا اليونانية والرومانية شكل الوعاء الذي وشعت فيه . لقد أعيدت صياغة هذه المثلولوجيا وأصبحت امتداداً للآلهة المحلية (الأنباط نموذجاً) وتعامل الناس معها دون أن تقوم حواجز اللغة أو الدين بمنع ذلك ، لكن نكهة الشرق وماضي الشرق كانا ينبضان داخل هذا النسيج الجديد .

الأدب المثلولوجي

لاشك أن الأغريق انتجوا أدباً دينياً (Hymnes) قبل ظهور ملحمة الإلياذة لهوميروس ، وهناك من يرى أن ثمة أدباً وجدانياً (Lyric) وأدباً ملحماً (Epic) ، ولكن ظهور هوميروس بملحمته الخالدتين (الإلياذة) و (الأوديسة) ساهم في نقلة نوعية للأدب المثلولوجي عموماً .. ولا خلاف بين مؤرخي الأدب في أن معظم ما اشتملت عليه هاتان الملحمتان قد أُلِفَ قبل القرن السادس ق م .

بعد هوميروس تصاعد الأدب المثلولوجي في اليونان ومرّ بعصره الذهبي (القرنان الخامس والرابع ق م) ثم جاء عصر الاسكندر حيث انتقل هذا الأدب الى الشرق (القرنان الثالث والثاني ق م) وظهرت المثلولوجيا الهلنستية ، ثم جاء العصر الأخير الروماني (القرن الأول ق م حتى الخامس الميلادي) .

وبالإجمال ظهرت هناك ثلاثة أنماط شعرية صيغت فيها المثلولوجيا اليونانية والرومانية وهي (الشعر الملحمي ، الشعر الغنائي ، الشعر الدرامي) :

الشعر الملحمي

تعد الإلياذة العمل الملحمي الأكبر في الشعر الملحمي اليوناني . ورغم أنها ملحمة شعرية أبطالها بشر لكن الآلهة تأخذ دوراً كبيراً وتسير أحداثها حيث تظهر الآلهة (هيرا وأثينا وأفروديت وزئوس وإبولون) وراء الأحداث وتختلط هذه الآلهة مع البشر وتسلط سلوكه وتوضح قدرتها على مسك الأقدار وتدير شؤون العالم .

وكذلك الأوديسة التي تروي رحلة البطل اليوناني اوديسيوس (عوليس) وما يصادفه من أهوال وآلهة وأنصاف آلهة وشياطين .

وتحفل الملحمتان بالكثير من مظاهر الحياة الدينية والروحية لدى اليونان إضافة الى مادتها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية ، لكن المثلوجيا التي تنضح منها كانت المادة الرئيسية لأساطير اليونان حيث نرى أن الأوديسة تعتمد على العقائد الدينية نفسها التي تعتمد عليها الإلياذة "فأفراد الآلهة يظهرون في الأوديسا بنفس الوظائف والاتجاهات والصفات التي يظهرون بها في الإلياذة ، غير انهم يبدوون في الأوديسا في صورة أدنى الى الكمال من الصورة التي يبدوون بها في الإلياذة . وذلك انه لا يوجد في الأوديسا اثر لتلك الخصومات العنيفة التي تصور الإلياذة انها قائمة بين الآلهة"^(١) .

الشعر التعليمي

يتميز الشعر التعليمي عن الملحمي في أنه يتضمن حقائق وتواريخ يرمي فيها الى التعليم والعظة والدرس في حين يروي الشعر الملحمي القصص بأسلوب شعري وتظهر التعبيريات الخيالية والمجازية كأساس له وتكون الأخلاق والاجتماع والعلوم أموراً عارضة فيه .

ويكاد الشعر هسيود يمثل أفضل نموذج لهذا النمط من الشعر وله قصائد طويلة هي (الأعمال والأيام) التي تتناول مسائل الأخلاق والفنون الزراعية والصناعية وقصيدة (أنساب الآلهة أو الثيوجونيا) وهي ما يهمنا هنا فهذه القصيدة تعرض لتاريخ الآلهة وتتبع اصولهم وانسابهم وشعوبهم وتفصل اعمالهم ووظائفهم "وقد استمد المؤلف مادتها من الأساطير المنتشرة في عصره ، بعد أن جمع شتاتها ، وربط عناصرها بعضها ببعض ربطاً محكماً ووفق بين المتنافر منها وهذب ما كان يعوزه التهذيب من مسائلها ، ورتب حوادثها ترتيباً منطقياً يسوده الانسجام ، ويتفق مع مناهج البحث التاريخي السليم . وحرص على أن لا يضمنها الا العقائد العامة التي يعتنقها جميع اليونان ، فلم يكدر فيها ذكر للمعتقدات المحلية التي كانت مقصورة على بعض المناطق أو بعض الشعائر"^(٢) . وقد ألفها هسيود حوالي النصف الأول من القرن الثامن ق م وأصبحت دستوراً في معرفة الآلهة وتصنيفها ، واسلوبها يقترب من التأليف التاريخي وهي ترتب الآلهة حسب قدم ظهورهم

وتوزعهم في طبقات العليا منها أقرب الى الكمال ثم يتدرج نقص الكمال في الطبقات السفلى .

الشعر الغنائي

يمتاز الشعر الغنائي في انه شعر وجداني كان يؤدي غالباً على الآلات الموسيقية ، وكان يؤلفها بالأساس في أوزان خاصة وكانت موضوعاته متصلة ببث عاطفي وجداني فردي "فما كان يعرض لتمجيد أبطال اليونان الأول كما كان يفعل الشعر الحماسي ولا لتعليم الناس ما يهمهم من دينهم وديناهم كما يفعل الشعر التعليمي وإنما كلن يتخذ وسيلة للترجمة عن العاطفة والتعبير عن الوجدان فمنه ما كان يستخدم للتضرع الى الآلهة واستدرا د عطفهم ورحمته في أثناء اقامة عبادته أو تأدية نسك ، ومنه ما كان يستخدم للتعبير عت التحسس والحزن في بكاء قعيد أو ندب عزيز"^(٢٣) . ومنه أنماط أخرى في الغزل والوطنية وغير ذلك .

ولايهمنا في حقيقة الأمر من هذا الشعر الا ذلك الشعر الذي خصّ الآلهة وذكرها وعدد صفاتها واسترحمها ، فهو يدخل ضمن الأدب الميثولوجي ويشكل واحداً من متكنات الأساطير .

والشعر الغنائي اليوناني يتضمن أربعة أنواع من القصائد (النومية والاليجية واليمبية والميليكية) وأقرب نوع منها الي الميثولوجيا هي القصائد النومية والضاربة في القدم والتي كانت تؤلف بأوزان خاصة لتمجيد ومديح الآلهة ، وأهم الشعراء الذين كانوا يؤدونها على القيثارة هو الشاعر (ترياندر) ، وعلى المزمار هو الشاعر (اوليمبوس) . كذلك فإن القصائد المليكية ابرزت الشاعر (أريون) الذي ابتكر ما يسمى بقصائد الديثرامب التي كانت تنشد في أعياد الاله ديونيزيوس وكانت هذه القصائد تغنى وتؤدى في طقوس جماعية ماجنة ويرتدي من يؤديها جلود الماعز تشبهاً بالساتير (الماعز) الذين كانوا يرافقون الاله ديونيزيوس ويرمزون له ، وشكلت أغاني الديثرامب نواة التراجيديا وساهمت في ظهور المسرح اليوناني لاحقاً .

الشعر الدرامي

نشأ الشعر الدرامي (الحواري) وسط الأعياد الدينية التي كانت الميثولوجيا مادتها الأساسية ، ومن أقدم هذه الأعياد عيد (السبتيون) الذي كان يقام في دلف تكريماً للاله (أبولون) الي الطب والموسيقى والشعر والنهار والشمس والتنبؤات وفي هذا العيد كانت آلاف الناس تنشد أساطير الاله أبولون وتروي قصته عندما قتل التنين وعاقبته الآلهة بالأعمال الشاقة وعودته فيما بعد الي احضان الآلهة .

أما العيد الثاني فهو عيد (الهرواس) الذي كان يقام للآلهة (سيميلييه) حبيبة الاله زيوس (جوبتر) وأم الاله ديونيزيوس (باخوس) وكانت تنشد أساطيرها وهيامها بزيوس وقصة ولادة ابنها باخوس وموتها مصعقة .

العيد الثالث هو عيد (ديمتر) الهة الأرض وقوى الطبيعة المنتجة وهو عيد زراعي طقسي كانت تنشد فيه أسطورة ديمتر ونزولها الي الجحيم بحثاً عن ابنتها ، وكان هذا العيد مؤثراً وعميق الصلة في نفوس الناس وكان بعده الديني يحمل روحاً شرقية تذكر بأعياد ديموزي وأناثا .

العيد الرابع هو عيد (ديونيزيوس) اله الخمر والذي أصبح إشارة واضحة وعميقة في الحياة اليونانية ومن ثم في الحياة الهيلنستية في الشرق وفي الشام تحديداً فهو يماثل الاله البعل الذي يمثل الخمر وقوى الخصب ، وكانت تروى أحداث أساطير ديونيزيوس بالكثير من التفاصيل والاضافات وتؤدي بالكثير من الحزن والفرح والعاطفة ، فإذا كانت لأعياد ديمتر الاثر في نشأة المسرح اليوناني "مع أن القصة التي كان يتغنى بها في هذه الأعياد لاتشمل الا على بضع حوادث ، فماذا عسى أن يكون اثر أعياد ديونيزيوس قد أمتلأت قصته بهذه الطائفة الكبيرة من الأحداث الغريبة والمؤثرات القوية العميقة التي لا تغادر قوة من قوى الادراك الا شغلها ولا مظهر من مظاهر الوجدان الا اثارتها"^(٤) .

لقد نشأت التراجيديات المسرحية من هذا العيد تحديداً وسميت كذلك لأن التراجوس كانت تعني (المعز) وجلده الذي يلبسه ممثلو باخوس ورفاقه في هذا الاحتفال . وكانت

حفلات الساتير التي تقام منذ القرن السابع ق م في اليونان والذي يقوم به منشد يروي قصة الاله ديونيزيوس ويمثل انفعالاته وكانت الفرقة الغنائية ترتدي جلود الماعز ، ونمط هذه الأغاني من الشعر الغنائي (الديثرامب) أما أشهر شعراء الدراما في اليونان فهم اسخيلوس وسفوكلس ويوربيدس التراجيدون ، واريستوفانس الكوميدي .

هكذا نجد أن الأدب المثلولوجي الملحمي والتعليمي والغنائي والدرامي كان اساساً من اسس انتشار وحفظ شيوخ الأساطير في اليونان وخارجها وكانت الأساطير اضافة الى تداولها التقليدي الحكائي بين الناس بؤرة دينية ودنيوية تعكس تماسكهم الروحي .

وقد حمل اليونان ثم الرومان آدابهم المثلولوجية هذه مرافقة لدياناتهم وكهنتهم وبنوا معابدهم في الشرق وجعلوا من القصائد والأناشيد الاسطورية هذه مادة دينية في تعبدهم المجرد أو في اعيادهم واحتفالاتهم الدينية التي كانت تقام في ساحات المعابد أو في المسارح التي انشئت في الشرق .

عناصر المثلولوجيا اليونانية

قبل أن نتعرف على أهم الأساطير اليونانية لابد من معرفة عناصر المثلولوجيا اليونانية ومحتوياته في نسيجها ، والمظاهر العامة التي ظهرت فيها هذه العناصر .

١) الآلهة

يمكننا أن نصنف آلهة اليونان والرومان الى خمس مجاميع أو أجيال سنذكرها تباعاً مع ملاحظة اننا سنذكر أولاً الاسم اليوناني للاله وسنضع بين قوسين الاسم الروماني له إن وجد .

١) **آلهة السماء** : وهم الآلهة الهيلويه الأولى التي نشأ منها الكون وأجيال الآلهة اللاحقة (خاؤس) وهو الخواء وزوجته (نوكس) وهي الظلام اللذان أنجبا أرييوس ، وبوتس اله البحر وتيرا الهة الأرض الأولى ثم أنجب هذان عن طريق الحب يورانوس (اله السماء) وجيا (الهة الأرض) .

٢) **الآلهة القديمة (التيتان)** : وهم أول الآلهة الذين انجبتهم السماء والأرض ورئيسهم هو كرونوس (ساتورن) أي الزمان وهو أعظم الآلهة القديمة ويمثل كوكب زحل ومعه اخوانه (اوسيان) الاله المحيط أبو العذارى الحوريات (التمفيمات) وهن بنات المحيط وحفيداته والهة البحار والأنهار والعيون والغابات والجبال . والاله جابيت أبو الالهين (أطلس) و (برومثيوس) والانسان الاله (بمفثيوس) وأطلس أبو النجوم الثريات السبع ، أما برومثيوس فهو اله النار وخالق الانسان . الالهة التيتانية الرابعة هي ريا (سيبل) وهي اخت وزوجة كرونوس .

٣) آلهة الأولمب (زيوس وعائلته) . الانشا متر

أنجب كرونوس زيوس الذي قتل أباه وتزوج اخته هيرا الهة الزواج ، زيوس (جوبتر) هو رب الأرباب وهو ملك الآلهة اليونانية والرومانية ويمثل له باله كوكب المشتري . وله من الأبناء كثيرون ولكنه ضم ثمانية منهم فقط الى آلهة الأولمب ومعهم زوجته واخته هيرا (جونون) واخته الثانية ديمتير (سيرسه) الهة الحصب والزراعة والولادة واخوه بوزيدون

(نبتون) اله البحار أما اخوه الآخر هادس (بلوتون) اله الجحيم فقد أنزله الى الأسفل ليحكم العالم السفلي وزوده بحشد من كائنات الجحيم الشيطانية .

ويمثل كل اله من آلهة الأولومب الاثني عشر شهراً من أشهر السنة وبرجاً من الأبراج السماوية الفلكية .

أما بنات زيوس من الالهات الأولومبيات فهن :

١. افروديت (فينوس) الهة الحب والجمال والتناسل والهة كوكب الزهرة .

٢. اثينا (منيرفا) الهة الحكمة والعقل والفنون .

٣. ارتيمس (ديانا) الهة الصيد ، العذراء .

٤. هستيا (قستا) الهة النار وقد حلّ محلها فيما بعد الاله ديونيزيوس .

٥. الميوزيات : وهن ربات الفنون التسعة ولايسكن جبال الأولومب وهن بنات زيوس من

الهة الذاكرة (يوراني - علم الفلك ، كليلو علم التأريخ ، يوتيرب - الموسيقى ،

تريسيكور - الرقص ، ثالي - الكوميديا ، مليومين - التراجيديا ، اراتو - الشعر

الراثي ، پولني - الشعر الغنائي ، كليوب - الشعر الملحمي) .

أما أبناء زيوس من الآلهة الذكور الساكنين جبال الأولومب فهم :

١. هيفايستوس (فولكان) اله الحرف .

٢. اريس (مارس) اله المريخ ويعتقد الرومان أنه أبو روميلوس جد الرومان .

٣. هرمس (ميركوري) رسول زيوس الى الآلهة والخلق ، إله الخطابة والبيان والتجارة والمصوص .

٤. ديونيزيوس (باخوس) اله الخمر .

٥. ابولون (أبولو) اله التنبؤات والأخبار بالغيب والطب والشعر والفنون والموسيقى

والماشية والنهار والشمس .

٦. هيراكليس (هيركول او هرقل) اله البطولة (ولايسكن جبال الأولومب)

وللاله زيوس كثير من العشيقات منهن (ميتس ، ثيميس ، يورينومي ، ديتمر ،
نيموسيني ، ليتو ، مايا) وله مع كل واحدة منهن اسطورة أو اساطير .

٤) **الآلهة الثانويون** : وهم ما تبقى من الآلهة اليونانية والرومانية وأعدادهم كثيرة مثل اله
النوم هنبوس (سوموس) والهة قوس قزح (ايريس) واله الرياح الشرقية (يوراس)
والرياح الشمالية (بورياس) والرياح الغربية (زفيروس) والجنوبية (نوتوس) وبرسيوس
واندروميديا . واستريا الهة البراءة وثيمس الهة العدل وتايكي الهة الحظ وتايكي الهة
النصر ... الخ .

٥) **الآلهة الرومانية** : وهم آلهة أضافهم الرومان على المثلوجيا اليونانية وليس هناك
ما يقابلهم عند اليونان وهم :

١. **الالهة لاريس وبناتس** "وكان لهم في كل بيت معبد صغير . وبعد أن تقدم النحت
عندهم اتخذوا لها تماثيل على هيئة شبان يلبسون القفاطين القصيرة ويحملون الأشربة
بأونٍ أو بقرون للشرب . وكانت هذه التماثيل تصقل دائماً بالشمع وكان من الضروري
أن تبقى دائماً في حالة ودية وكانت هذه الآلهة (بناتس) تهتم بأن لا يقل الطعام في
البيت ، ووظيفة (لار وجمعها لاريس) حفظ المزارع خارج البيت" (٥) .

٢. **الإله ماينس (الظلال)** ويمثل أشباح الأجداد .

٣. **جينوس اله البوابات والابتداءات** وهو سبب تسمية شهر جنوري (كانون الثاني) .

٤. **قلورا الهة الأزهار** وهي تشبه الجنيات .

٥. **بومونا الهة الفواكة** .

٦. **كويرنيوس اله مدينة روما** .

٧. **تيرينيوس** : ملك اسطوري غرق في النهر فاتحد مع اله النهر (فولتيرنوس) وأصبحت شينا
واحدة .

تمتاز آلهة اليونان بميزة معروفة وهي تشابههم مع الانسان شكلاً وسلوكاً فهم يأكلون ويشربون وينامون ويشتهون ويمشون في المدن والأسواق ويتعاملون مع البشر وقد يرتكبون الجرائم ويتزوجون وقد يتصلون جنسياً بالبشر ولا يختلف تكوينهم الجسدي عن تكوين الانسان الا انهم يختلفون عنه بصفتين : الأولى خلودهم وعدم موتهم والثانية قدرتهم الفائقة على القيام بما يعجز عنه الانسان ، ولذلك فهم أسياد الكون القائمون على أموره وتسييره وضبط موازينه .



شكل (٦٢) : آلهة الأولمب على جبل برناسوس حيث يظهر الإلهان افروديت وأريس على القمة ، وربات الفنون التسعة (الموزيات) يستمن الى قيثارة ابولو والى اليمين يبدو هرمس واقفاً قرب حصانه المجنح .

جدول (١٩) : شجرة الآلهة اليونانية

<p>آلهة السماء</p>	<p> خاوس (الجزء) + نوكتس (الظلام) تيترا (الأرض الأولى) + جيا (الأرض) بونتس (المحيط) + بويراتوس (السماء) </p>	
<p>الآلهة القديمة (التيتان)</p>	<p> أوقيانوس (إله المحيط) + أمفوتري (التيهات) هيميرون (الشمس) + جاييت (الأمه الأم) + كرونوس (الزبدان) ريتا + شينس (البقاء والانداد) + زوية كرونوس (الزبدان) أيل (الشمس) بومبوس (الزبدان) + أمفوتري (التيهات) </p>	
<p>آلهة الأولمب (١) (زيوس وأخوته)</p>	<p> زيوس (البحر) + بوزيدون (البحر) + هرايس (البحر) زيوس (ملك الآلهة) + هيرا (الزواج) + ديوس (السماء) ديوس (السماء) + بوزيدون (البحر) + هرايس (البحر) </p>	
<p>إنشاء زيوس (٢)</p>	<p> ديوس (السماء) + بوزيدون (البحر) + هرايس (البحر) ديوس (السماء) + بوزيدون (البحر) + هرايس (البحر) ديوس (السماء) + بوزيدون (البحر) + هرايس (البحر) ديوس (السماء) + بوزيدون (البحر) + هرايس (البحر) ديوس (السماء) + بوزيدون (البحر) + هرايس (البحر) </p>	

ب. أنصاف الآلهة

وهم مجموعة من أشباه الآلهة الذين لا يرقون في صفاتهم الى الآلهة ولذلك فهم يتبعون الآلهة وأبرزهم ما يلي :

١. اتباع الاله هيفيسيتوس (اله الحرف والحدادة) وهم السايكلوب اصحاب العين الواحدة وأجسامهم عملاقة يساعدونهم في أعماله الشاقة .

٢. اتباع الاله اريس (مارس) اله الحرب ويحيطون به كحاشية ملازمة منهم اريس (الفتنة والشقاق) وديموس (الذعر) وفوبوس (الرعب) وإينو وكيريس (القتل والموت العنيف) .

٣. اتباع الاله ديونيزيوس (باخوس) اله الخمر ومنهم سيلين الذي علم باخوس زراعة الكرم ، وكان مضحكاً للآلهة . وحاشيته من الساتير ولكل منهم قرنان وساقان وبشرة تشبه قرون وسيقان وبشرة الماعز ووجوههم كوجوه الاناسي .

٤. ارجوس (رمز اليقظة) كان له مائة عين ، اذا نام أغمض منها خمسين فقط .

ج. الأبطال

ظهر في تأريخ اليونان والرومان عددٌ كبير من الأبطال الذين شادوا مدن اليونان وروما والذين قادوا الحروب الكبرى ولمعوا كأبطال قوميين وكانوا على صلة مباشرة بالآلهة ولذلك فقد عاملتهم شعوبهم معاملة الآلهة "فنصبوا لهم التماثيل والهيكل والمعابد . وأقاموا لتكريهم أعياداً دينية ، وتقربوا الى أرواحهم بتقديم القرابين ، وخصوصهم بنوف من العبادات ، وأنزلوهم منزلة من التقديس لاتقل كثيراً عن منزلة الآلهة وملأوا بذكرهم الأقاصيص والأساطير"^{١٣} . وقد ظهر في الأمبراطورية الرومانية الكثير منهم فارتقوا أعلى المقامات ، وذكرتهم ملاحم اليونان والرومان (اللياذة ، الأوديسة ، الانياذة) وسنذكر أهمهم :

١. أخيل بطل اللياذة .

٢. أجاممنون أعظم ملوك اليونان ملك أرجوس .

٣. مينيلاس شقيق أجاممنون وزوج هيلين التي سبب خطفها حرب طروادة .

٤. هيلين زوجة مينيلاس الخارقة الجمال وتوصف بسبب ذلك أنها ابنة زيوس .

٥. عوليس (اوديسيوس) بطل الأوديسة .

٦. تيلماك ابن عوليس .

د) الانسان

ويظهر الانسان في المثلولوجيا اليونانية والرومانية منحدرًا من نسل الرجل الأول (ايبيميث) والمرأة الأولى (باندور) . خلق برومثيوس (اله النار) الرجل الأول من الصلصال وأعطاه الروح والعقل وهناك اسطورة اخرى تقول بأن الرجل الأول هو أخ برومثيوس نفسه ، ويمثل برومثيوس الفكر الأول وايبيمثيوس الفكر الأخير . وخلق هفستيوس (اله الحدادة) المرأة الأولى من الطين والماء واعطتها أثينا الروح والجمال والعقل . وقد أعطاها زيوس علبة مليئة بالآلام والشور ليكيد لبني الانسان ثم بعث بهذه المرأة الأولى الى الرجل الأول الذي اتصل بها وفتح العلبة فتطايرت منها الآلام وهذا أصل شقاء الانسان . وأنجبا بعد ذلك أولادًا كثيرين غرقوا بالطوفان ما عدا (دوكاليون) وزوجته (بيرها) اللذان هدهما برومثيوس الى صنع سفينة عبرت الطوفان ورست على جبل برناس ثم انتشروا في الأرض ورمى كل منه الاحجار والحصى خلفه فظهر من احجار دوكاليون صنف الرجال . وظهر من أحجار بيورها صنف النساء وعادت الحياة من جديد على الأرض وتكاثر الانسان .

هذه هي اسطورة خلق الانسان التي تشبه بعض الشيء مثيلاتها في الأساطير البابلية والمصرية والكنعانية .



شكل (٦٢) : خلق الانسان حيث يظهر الاله برومثيوس وهو ينهي صنعه بحضور آلهة الاولمب (زيوس ، بوزيدون ، هيرمس ، هيرا ، وابولو) .



شكل (٦٤) : بروجمونيوس مقيداً ومعاقباً من قبل الآلهة لأنه سرق النار



شكل (٦٥) : باندور وهي تفتح العلبة وتخرج منها الشرور والألام التي ستلاحق الجنس البشري

الأساطير اليونانية والرومانية في الأردن

يمكننا أن نضع لكل إله ذكرناه في الفقرات السابقة أسطوره الخاصة به ولكن ما يهمنا هنا حصرا أساطير الآله اليونانية الرومانية المهمة والتي انتقلت الى الشرق والى ارض الاردن على وجه الخصوص وكانت تمارس عبادتها وطقوسها في معابد ومزارات خاصة وأصبحت على مدى ستة قرون جزء من التراث المثلوجي الاردني واستطاعت ان تتلاقح مع الآلهة والمثلوجيا الاردنية التي سبقت وجودها ونتج عن ذلك تفاعل خصيب ادى الى اثراء المثلوجيا الاردنية اجمالا وتفتحت قوى جديدة فيها .

وسنعمد في إحصاء ما وصل الى الاردن من آلهة يونانية رومانية على ثلاثة أمور أولها المعابد اليونانية والرومانية التي خصصت لآلهة محددة بذاتها والتي تكشف عن سيادة هذه الآلهة وممارسة أساطيرها . والثاني المسكوكات النقدية اليونانية والرومانية التي عثر عليها في الاردن وكانت تشير الى آلهة معينين دون غيرهم .. وهذا بحد ذاته يعني شيوع عبادة هذه الآلهة وشيوع أساطيرها برغم اننا لامتلك اساطير يونانية ورومانية مدونة في الاردن حتى نستطيع ان نلمس طابع التحول أو الصيغة الجديدة لحضورها في الحياة الروحية والمثلوجية لمدن الاردن ولكننا سنحاول توصيف هذا التحول من خلال امور اخرى سنأتي على ذكرها .

أما الأمر الثالث فهو عشورنا على تماثيل ولقى ورموز يونانية ورومانية تشير لنا الى حضور عبادة هذا الاله دون غيره . وستجتمع هذه العناصر مع بعضها في استحضار صورة العبادات اليونانية والرومانية في الأردن .. وقد اتضح لنا من خلال دراسة الامور الثلاثة السابقة ان الالهة اليونانية الرومانية التي عبدت في الاردن هي ما يلي :

الآلهة الذكرية: زيوس ، ديونيزيوس ، ابولو ، هرمس ، هرقل ، نبتون ، اسكلابيوس ، ديداليوس وايكاروس .

الآلهة الانثوية: ايرتميس ، افروديت ، منيرفا ، ديمتر ، تايكسي ، نايكسي .
والحوريات (النمفيات) .

١. أسطورة زيوس

زيوس ملك الآلهة وهو أعظم آلهة الاغريق والرومان واشارته (النسر) وهو دالة القوة ويظهر في يديه الصواعق والصولجان وله خدم من الآلهة أهمهم (تايكي ، نايكي ، فاما . هيبى... الخ) . ولزيوس عدة أساطير لعل أشهرها صراعه مع أبيه كرونوس الذي كان يلتهم كل أبنائه الذين ولدون خوفاً من نبوة تقول بأن أحدهم سيقتله ذات يوم . ولما كبر زيوس اصطدم بأبيه عدة مرات حتى قتله ووزع شؤون الكون بين أخوته وأبنائه من هيرا ثم اسطوره مع فيلمون وبوسيس اللذين تحولوا الى شجرة وسط بحيرة لأنهما أكرما الاله زيوس وابنه هرمس . واسطوره مع (اوربا) ابنة الملك اجنور حيث تحول الى عجل واغرى اوربا بمداعبته ثم ركوبه حتى اختطفها وأسكنها في كريت وأنجبت له ثلاثة صبيان هم (مينوس ورادامنتاس وساربيدون) وترافق هذه الأسطورة اسطورة (قدموس) أخ (اوربا) الذي بحث عنها وخاض مغامرات شتى حتى كرمه زيوس بزواجه من آلهة جميلة هي (أريس) وينسب لقدموس انه بنى مدينة طيبة واخترع الحروف الهجائية ونشرها بين الاغريق .

ان هذه الاسطورة الفينيقية اليونانية توضح العلاقة بين التأثير والتأثير بين الأمتين . وهناك أساطير عديدة أخرى لزيوس مع عشيقاته . وكانت عبادة زيوس وأساطيره أعظم ما احتفى به اليونان ثم الرومان وكان يوم انتصاره على (التيان) يوماً عظيماً اقيمت فيه فكرة الأحتفالات والألعاب الأولمبية .

وفي الاردن عبد زيوس في عمان وجرش وكدارا (ام قيس) وسمي بأسماء مختلفة مثل زيوس ابيكاروس وزيوس هليوس سرابيس وعند الانباط زيوس حداد وله هياكل ومعابد كثيرة أهمها معبد زيوس في جرش .



شكل (٦٧) : رأس زيوس في متحف عمان



شكل (٦٦) : رأس زيوس في متحف روما



شكل (٦٩) : زيوس على عرشه في جدارا (أم قيس)



شكل (٦٨) : زواج هيرا وزيوس



شكل (٧٠) : معبد الاله زيوس في جرش

عثر في الأردن على سراج برونزي في الكرك يصور زيوس على شكل أوزة تضع تحت جناحيها ولدين صغيرين ويجسد هذا السراج واحداً من أساطير زيوس التي تقول بأن زيوس عندما شاهد (ليدي) ابنة (ثيستوس) وزوجة (تنداروس) ملك اسبارطة تستحم في مياه نهر أورتناس وقع في غرامها ، وقلب نفسه الى أوزة لكي يستطيع الوصول اليها .. وقد فعل ذلك وأغواها ثم هرب بها وتزوجها ومن زواجه بها أنجب ولدين أحدهما (كاستور) والثاني (بولكس) وابنة تدعى هيلين .



زيوس الأوزة ويظهر ولداه في الجناحين
سراج برونزي من الكرك / روماني من القرن ٢ - ٣ .

٢. أسطورة ديونيزيوس (باخوس)

عشق زيوس الالهة الرائعة سيميلي ابنة (قدموس وهرميون) فقامت زوجة زيوس هيرا بالتخفي والتأكد من هذا العشق وطلبت من سيميلي أن تطلب من زيوس الظهور على حقيقته الالهية الجبارة اذا كان هو فعلا زيوس ففعلت فظهر زيوس كما هو واحترقت سيميلي وببتها وانقذ زيوس ابنتها ديونيزيوس بصعوبة . الذي قدر له فيما بعد أن يكون اله الخمر وحامي بساتين الكروم ومقطري الخمر وارتبط بالخصب والخضرة . ولما كبر ديونيزيوس اصبح له اتباع وناصبه العدااء ملك طيبة القاسي اكيثيس الذي قتل في النهاية في احد الاعياد الباخوسية واصبحت عبادة ديونيزيوس شعبية جداً وطغت على عبادة جميع الالهة اليونانية بضمهم زيوس . فقد كان ديونيزيوس اله الحبوب وحامي المسرات والأفراح وهو الذي تحول لحمه الى حبوب ودمه الى خمر كل عام . من أجل أن يأكل الناس ويشربوا (وفي هذا ما يشابهه في المسيحية حيث الخبز والنبيذ هما لحم ودم السيد المسيح) .

وله أسطورة مع ميداس الملك الذي أراد تحويل كل شيء الى ذهب حتى فجع عندما تحول الخبز والطعام الى ذهب ولم يستطع أكل شيء ومات جوعاً .

أما أسطوره مع اريادني فخلاصها أنه رأى أريادني الأميرة الكريتية تبكي فقرر أن يرفه عنها بعد أن أحبها وجلب لها تاجا مرصعا بسبع نجوم فتحول الى برج من النجوم عرفت بعد ذلك بل(تاج اريادني) .

وكان ديونيزيوس رمزاً للخلاعة والتهاك والمجون . ونرى بأنه يقابل الاله (بعل) وقد امتزج معه عند وفودده الى الشام والاردن وبنيت له معابد وسكت صورته على نقود .

وقد عشر في كدارا (أم قيس) على تمثال لأريادني تمثل اسطورة ديونيزيوس معها . وانتشرت عبادته في كل أصقاع الاردن .



شكل (٧٢) : أريادني / (ام قيس) القرن الثاني الميلادي



شكل (٧١) : أحد الساتيرات المرافقة
لديونيزيوس ويظهر عليه جلد الماعز / (ام قيس)
القرن الثاني الميلادي



شكل (٧٣) : عنقود عنب وهو رمز الاله ديونيزيوس
عثر عليه في جرش

٣. أسطورة أبولو

أبولو هو ابن زيوس من (لاتونا) وهو أخ أرتميس (ديانا) وكان أبولو يرمز الى الشمس وأرتميس الى القمر لأن امهما (لاتونا) هي الضوء ، وقد أحبها زيوس لكن هيرا زوجته طاردها ولكنها عادت فيما بعد .

وأكثر أساطير أبولو شهرة هي اسطوره مع (دافني) التي حاول التقرب منها الا انها هربت فركض وراءها حتى وصلت الى حافة جدول أبيها فتحولت الى هيئة جامدة ونبتت الأوراق الخضراء من شعرها ويدها . وكانت مثل شجرة غار ولما رآها كذلك أبولو ضمها وقرر أن تكون جوائز الشعراء والموسيقين أكليل غار ، ودافني هي الندى التي أسرت الشمس (أبولو) حيث يهرب الندى بعيدا وعندما يمس الندى أنفاس حبيبه الشمس يزول تاركا خضرة مكانه .

ويحظى أبولو بعدد كبير من الأساطير مثل أبولو وأورورا الهة الفجر ، ومع كوماتاس راعي الماعز ، ومع ابنه فيتون وعربة الشمس ، ومع الموسيقار أمفيون والموسيقار أريون ومع أورفيوس أعظم موسيقار يوناني وابن أبولو ، الذي كان له قيثارة بسبعة أوتار ولموسيقاه قوة عظيمة تفتح الأزهار وتروض الوحوش وقصته مع عروس البحر يوريدس التي ماتت ومع الباخوسيين الذين قطعوا جسده ولكنه مات وهو يتمتم باسم عروسه ثم دفنت الميوزيات اشلأه وبقي مذكوراً م خلال قيثاره . واسطوره مع ميداس ومع كليتي التي احبت أبولو دون ان ينتبه لها فحولتها الآلهة الى زهرة عباد الشمس التي تراقب الشمس أينما ذهبت وغيرها من القصص اضافة لعلاقته الوثيقة بربات الفنون التسعة اللاتني كن تحت امرته .

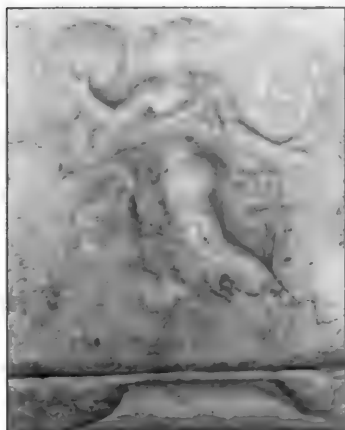
وكان لأبولو الكثير من المعابد وتحت تماثيله وصوره على المسارح والملاهي وقد وجد في المسرح الجنوبي لجرش مجموعة منحوتات جدارية لأبولو مع آلاته الموسيقية .



شكل (٧٥) : أبولو يعترف على قيدته / روما



شكل (٧٦) : رأس أبولو / روما



شكل (٧٧) : أبولو يعترف على دف/ المسرح الجنوبي / جرش



شكل (٧٨) : أبولو يعترف على قيدته/ مسرح جنوبي / جرش



شكل (٧٨) : أبولو وديفني



شكل (٧٩) : بوزيدون ، ابولو ، أرتيمس في الأولمب

٤. أسطورة هرمس

هو ابن زيوس ويسميه الرومان الزئبق (ميركوري) وارتبطت الأجنحة به فحذانه مجنح وطاقيته مجنحة وعصاه مجنحة تلتف عليها الأفاعي الذهبية ، وهو رسول الآلهة . واكتشف هرمس القيثارة والشباب ، فقد وجد القيثارة في صدفة سلحفاة فارغة فمط أوتارها صدفة ولعب عليها . ثم أعطاها لأبولو وأعطاها أبولو العصا . ثم أهدته الآلهة نعلًا مجنحًا وطاقية مجنحة .

واسطورته مع الاله ابولو شهيرة عندما سرق ثيرانه وأخفاها في الكهف وأنكر أنه سرقها أمام ابولو والآلهة فحوكم من قبل الآلهة وسوي الأمر بينهما . وسجد هرمس في أساطير الآلهة الأخرى واضحا لانه رسولها .

وكانت أهم صفات هرمس حمايته للمسافرين والتجار واللصوص . ومن وظائفه انه يرافق الموتى الى الجحيم . فهو اله باطني ، كما انه الأحلام والرؤى .

وقد ظهر هرمس في الشرق بصورة واضحة جدا وكان قريبا من السحر والكياء القديمة والأفكار السرية . وقد وجدت آثار عديدة له في الأردن منها نحت حجري يصور وجه هرمس وعلى رأسه يظهر جناحان صغيران يدلان عليه .

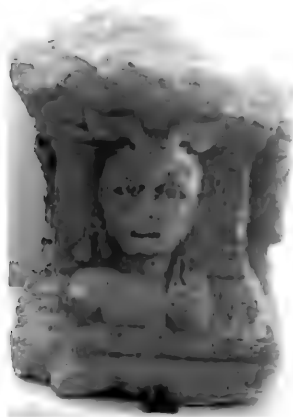
وكذلك فقد وجدت على نقود فيلادلفيا (عمان) صورة هرمس العريان وهو مائل نحو الشمال وعلى كتفه قسيب طويل تتلاعب عليه حيتان مشبكتان ورأس الواحدة يقابل رأس الأخرى .



شكل (٨١) : هرمس يحمل الثعلب ديونيزيوس



شكل (٨٠) : تمثال هرمس / يونان



شكل (٨٢) : هرمس على منحوتة حجرية / متحف عمان وتظهر على رأسه الأجنحة التي هي رمزه الرئيسي

٥. اسطورة آريس

آريس أو مارس اليوناني هو اله الحرب . وقد انتشرت عبادته وارتقى ارفع المناصب عند الرومان باعتبارهم أمة محاربة تقدر الحروب والتوسع . وآريس لا يمل من اراقة الدماء .. وموسيقاه الحقيقية هي جعجة القتال ولذلك لم ترفع له صلوات محبة ولم يحبه القدماء . والعجيب انه تزوج افروديت وولد منها ولداً اسمه كيوييد (ايروس) وهو روح الحب الجنسي . وله اتباع مثيرون هم (الشقاق والخطر والخوف والرعب والذعر) وتتبعه دائما الالهة بالونا (اينو) وتحرس عربته وتقودها وهي الهة الحرب . وعبد الرومان مارس واينو في معبد واحد وقدموا لهما الضحايا البشرية . أما أشهر اساطير آريس فهي مع العملاقين اوتوس وافالتييس .

ولعل الاسطورة التي شاعت في عصر الرومان عنه هي اسطورة (روميولوس وريموس) وهما ابنا آريس من ابنة ملك ألبا (ريا سيلفيا) اللذان ولدا ووضعا في سلة وتركا في ماء النهر حيث رست السلة قرب شجرة واسقت ذئبة من ضروعها الطفلين ثم كبرا وأصبحا رئيسا عصابة وطرد الملك المقتصب اميلوس وأعادا جدتهما الى عرشه . ثم قتل رومولوس اخاه . وسمي المدينة . سبب الخلاف بينهما . باسم روما . ثم اختفى رومولوس فاعتبره الناس انه رفع الى الأعالي وانه صار مع الخالدين واعتبرت الذئبة التي أرضعته مقدسة وأقاموا لها عيداً سموه (لوبركاليا) يحتفلون به كل عام .

وقد ورد ذكر هذا الاله في الاردن خصوصاً مع مجيء الرومان واعتبر الهاً مقدسة وربما كانت له معابد في الأردن .



شكل (٨٣) : أبناء آريس . روميولوس وريموس يرضعان من الذئبة وروميوليوس هو الأب الاسطوري للرومان



شكر (٨٥) : ريس مع فروديت



تكل (٨٤) : اريس جالب وايروس يلعب بين قدمه

٦. أسطورة هرقل

هرقل شبه اله أدسه انسان ولكنه نسب الى زيوس وارتفع الى مصاف الآلهة واصبح رمزا لبصولة والقوة ولكل امة هرقلها الخاص بها ، وعندما ولد كان هدفا لهيرا زوجة زيوس فارسلت له الثعابين ليقتلاه في مهده ولكنه خنقهما بيديه القويتين فاضطربت هيرا . واما كبر تعلم الموسيقى والرياضة وضرب معلمه ضربة قاتلة فعوقب بالجلال وهناك أصبح أقوى وقتل أسداً كان يعدو على قطعان الماشية .

والأساطير التي دارت حول هرقل لا حصر لها فهي كثيرة ولكن يمكن تلخيصها بالعنوانات الرئيسية التالية (مشقات هرقل : قتله لأسد نيماء ، صراعه مع الأفعى المتعددة الرؤوس هيدرا ، مطارده لوعل سيرينيا ، قبضه على خنزير اريمتشوس ، تنظيف حظائر اوجيوس ، صراعه مع الطيور المرعبة ، مطارده لعجل كريت ، سوقه لخيول ديوميدس . جلبه لحزام هيبوليتا ، صراعه مع ثيران جيريون ، حصوله على تفاح هسبريدس ، قبضه على الكلب سربوس ، صراعه مع انتيوس ، ثم مغامرته الأخيرة .

وكان هرقل موضوع مسرحيات وأعمال احتفالية وأضفت شهرته على الأفاق وكان رمز القوة الجسدية .

وقد عُثر في الأردن على هياكل ومعابد لهرقل وعثر على نقود في عمان تصوره مكلاً بورق الغار بصورة شاب حول رقبته جلد أسد . ونقود أخرى تصوره مع ولديه وقد جاءت هذه النقود من العصر الروماني البيزنطي .



شكل (٨٧) : هرقل وهريرديس



شكل (٨٦) هرقل يتكى على عصاه



شكل (٨٨) : هرقل وولده

دينار بيزنطي في عمان

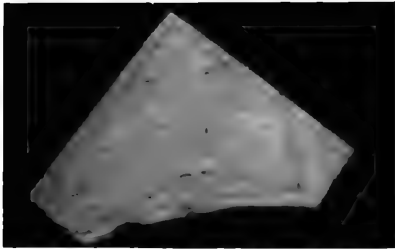
٧. اسطورة بوزيدون

بوزيدون (نبتون) هو اخ زيوس اله المحيطات والمياه كلها وهو يحرك الأرض ويروض الخيول ويحفظ القوات البحرية وشعرد الأخضر يلف الأرض وعقله شفاف ويده ترحم الجميع . وقد حاول أكثر من مرة أن يحل بديلا عن زيوس ويخلعه وفي كل مرة كان يكشفه ويعاقبه .

وزوجة بوزيدون هي امنثيريتي وهي الهة البحار وتنتمي لالهين هما تجسيد لفكرة هدوء البحر الذي تضيئه الشمس وقد كانت تتمنع على بوزيدون وتريه خفتها ورشاقتها فقط فاقنع الدولفين أن يغويها فلما فعل حوّل الدلفين الى برج النجوم مكافأة له . ثم تزوجا وأنجبا أطفالا كثيرين ومنهم تريتون الشهير بأنه نصف آدمي ونصفه الثاني سمكة . وله اساطير اخرى مع ايداس وأبولو وغيرهم .

وأهم عباده هم البحارة ومدربو الخيول ومروضوها وأهم الألعاب التي اقيمت له (العاب البرزخ) في كل اربع سنوات .

وان واحدا من رموزه الدلافين واداة صيد السمك ذات الأنياب الثلاثة وقد عشر في جرش على لوح رخامي مزخرف عبارة عن عصا بوزيدون هذه يحيط بها اثنان من الدلافين .



شكل (٩٠) : لوح رخامي عشر عليه في جرش وعليه نقش فيه عصا بوزيدون (نبتون) واثنان من الدلافين يحيطانها



تخل (٨٩) : تمثال الإله بوزيدون

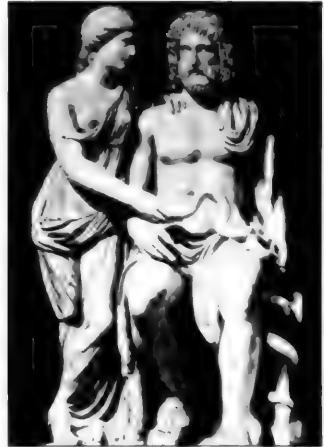
٨. إسكلابيوس

إسكلابيوس هو اله الطب والشفاء في اليونان وهو ابن أبولو من الفتاة كورينس فحين ولد تولاه شيرون بالتعليم وهو اعظم علماء السنتور وهم شعب غريب ، وهكذا شب اسكلابيوس طبيباً ذا مقدرة فائقة فقصده الناس من كل انحاء الدنيا ويقال بانه ارجع مرة رجلا الى الحياة فأغاظ بفعلته هذه زيوس ، ثم اشتدّ أمر اسكلابيوس وحب الناس له فأغاظ هذا زيوس وأمر بلوتو بأن ينزل عليه صاعقة تقتله ففعل ، ولما عرف أبولو بما جرى لابنه رمى صنّاع الصاعقة بسهامه الفضية انتقاماً لابنه ولكن زيوس حماهم ونفى أبولو الى عالم الناس وفرض عليه أن يخدم أحد الفنانين فيها .

وقد عثر في جرش على رأس تمثال من الرخام لاله الشفاء في حدود القرن الثاني بعد الميلاد .



شكل (٩٢) : رأس تمثال رخامي لاسكليبيوس في جرش ٢ ق هـ



شكل (٩١) : اسكلابيوس مع ابنته هيجيا / روما

٩. ديداليوس وإيكاروس

ديداليوس معماري عظيم عاش في كريت وبنى قصراً كبيراً رائع الجمال لملك كريت مينوس وقد كان له ولد اسمه (إيكاروس) نمت في داخله رغبات التطلع والفضول في الصعود الى السماء .. فقرر ان يحاول ذلك عندما انتبه للطيور وكيف ان بإمكانها الطيران بواسطة الأجنحة ، ففكس وقتاً طويلاً في صناعة أجنحة له من الريش ولما أتم صنعها ، ذهب الى مرتفع عال وقفز منه وطار .. ثم ارتفع نحو الشمس وعندذاك ذاب الشمع الذي كان يربط الريش مع بعضه فتساقط الريش وبدأت كارثة إيكاروس الذي سقط في البحر وهذه القصة تذكر بقصة عربية حول عباس ابن فرناس .

وقد عثر في جبل القلعة في عمان على تمثالين كبيرين الأول لديداليوس وهو ينظر الى اله الشمس هيليوس بغضب ولوم وحسرة على ما فعله بابنه والثاني لابنه إيكاروس .



شكل (٩٤) : إيكاروس / متحف عمان



شكل (٩٣) ديداليوس / متحف عمان

١٠. أرتيميس

ديانا أو أرتيمس شقيقة ابولو التوأم من زيوس والهة القمر والصيد وتمثلها المنحوتات والرسوم كأنها الهة فتية جميلة تلبس ثياب الصيد القصيرة ومسلحة بقوس وجعبة على جانبها مملوءة بالسهم وعلى رأسها هلال .

ولها أربع أساطير مهمة الأولى مع نيوبي التي كان لها سبعة أبناء، وسبع بنات فاخرت بهم لاتونا ام أرتيمس فقام ابولو وأرتيمس بقتل أبنائها وهي اسطورة رمزية ترمز لانقضاء شهور الشتاء السبعة .

والثانية مع انديميون وهو الشاب الجميل الذي طبعت على شفته قبل وهي عابرة في السماء والثالثة مع اوريون الذي فقد بصره بسببها والرابعة مع اكتيون الذي تجرأ وتطلع الى جسد أرتيمس وعرائسها وهن يسبحن في النهر فمسخته الى وعل هارب .

وتماز أرتيمس بانها (العذراء) التي طالبت من الآلهة عدم التقدم لها ورجت من زيوس أن يمنحها هذا الحق فقبل ، وفي كل يوم وبعد أن ينتهي دور اخيها ابولو وعند غروب الشمس تمتطي أرتيمس عربة القمر وتسوق جيادها البيض وتجتاز السماء حيث النجوم التي لاتحصى تراقبها وتحبها .

وارتبطت أرتيمس بالخصوبة أيضاً فقد صورت افسوس وفي كدارا (ام قيس) في الاردن بتمائيل تشير الى شدة الخصوبة فيها من خلال الانداء الكثيرة المعلقة على صدرها . وهناك تمثال رخامي لرأس أرتيمس في متحف عمان .

وقد كانت أرتيمس الالهة الحامية لمدينة جرش بشكل خاص فبالاضافة لوجود هيكلها أو معبدها المعروف فقد عثر على تماثيل ولقى تشير لها ومنها خاتم صغير من الفضة مطعم بحجر من العقيق . حيث تلبس الالهة أرتيمس ثوباً قصيراً يشده الى وسطها زنار وتتقدم الى اليسار حاملة القوس بيدها وعلى كتفها جبة السها ويربط شعرها شريط يبرز وراء الرأس^(٧)



شكل (٩٦) : اרתيس الصيادة



شكل (٩٥) : اרתيس الهة الخصوبة



شكل (٩٨) : رأس رخامي لارثيس الهة الصيد والشباب / متحف عمان



شكل (٩٧) : جسد اרתيس كثير الاثداء (ام قيس)



شكل (١٠٠) خاتم روماني عليه صورة الالهة اרתيس / جرش



شكل (٩٩) : مدخل معبد اרתيس في جرش

١١. افروديت

افروديت (فينوس) الهة الحب والجمال وهي مولودة من البحر واسمها اليوناني يدل على انها مولودة من الزبد . وهي الهة رقيقة تحمي العشاق والبساتين والزهور والحمام والدلافين والأوز .

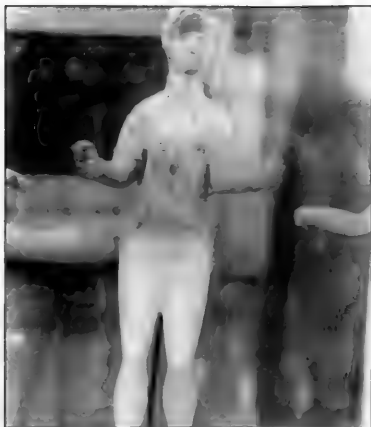
ان افروديت هي عشتار اليونان ولها عدد كبير من أساطير الحب والجمال لعل أهمها اسطورتها مع أدونيس وهي اسطورة ذات منشأ شرقي وتحكي كيف وجدت افروديت ساق شجرة في غابة خرج منها طفل أودعته الى ملكة الظلام (بيرسفوني) ثم أصبح الطفل من امهر الصيادين في العالم ، وظلت الآلهة محتفظة بشبابها حتى كبر الطفل وأصبح صيادا وهو أدونيس فعشقتة كلٌ منهما ثم قتل أدونيس خنزير بري فحزنت افروديت عليه وأعلنت الحداد . وواضح ان هذه القصة تذكر باسطورة تموز وعشتار والبعل وعناة .

وهناك الكثير من الأساطير الاخرى مثل ايروس وسايكي (الرغبة والنفس) فقد علمت افروديت بأهمية سايكي الجميلة فأمرت ايروس خادمها أن يغريها الذي وضع على شفاهها قطرات من الماء المر ومسّ جنبها برأس سهمه القاتل لكن ايروس وقع في حبها . وهذه الأسطورة واحدة من أجمل اساطير افروديت التي تتمنى أن يرجع اليها القارىء (كما هي الأساطير الاخرى) في مصادرها الأصلية ليستمتع بها .

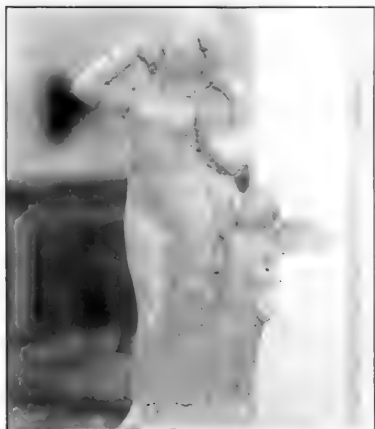
وفي الاردن كان هنا حضور كبير لالهة الحب والجمال ، فقد عثر على الكثير من تماثيلها الفخارية والبرونزية في عمان وجرش والبتراء . وكانت ترتبط عبادتها بالاله زيوس .



شکل (۱۰۲) : فخال فخاري مکسور / متحف جرش



شکل (۱۰۱) : فروديت / متحف عمان



شکل (۱۰۴) : افروديت وایروس / متحف عمان



شکل (۱۰۳) : فروديت / متحف عمان

١٢. أثينا

أثينا (منيرفا) ابنة زيوس التي لم تنجبها امرأة بل خرجت من رأسه . فقد أصيب زيوس بوجع شديد في رأسه ولم يطقه فأمر هيفاستوس ابنه الحداد بأن يفلق رأسه بالفأس ولما فعل قفزت منيرفا تامة التكوين ولها درع ذهبي ورمح مشهور وهي تغني اغنية النصر . وأصبحت أثينا الهة السلم والحرب الدفاعية وأصبحت رمزاً للحكمة وهزمت الهة الغباء ، وورثت صولجانها وحكمت العالم وأساطير أثينا كلها تدل على الحكمة والقوة معا وأعطت اسمها لمدينة اليونان الخالدة .



شكل (١٠٥) : أثينا ترتدي خوذةها المميزة

وكانت عبادتها واسعة وشائعة وأقيم لها معابد في كل العالم وأشهرها معبد البارثنون في أثينا ، وكان الاغريق يحتفلو بها مرة كل أربع سنوات أما الرومان فمرة كل عام ، وكان الناس يحملون تماثيلها ويطوفون به المدينة منشدين ومهللين .

وقد عثر في الاردن على نقود في عمان (فيلادلفيا) تحتوي على صورة لأثينا وعلى رأسها بيضة حربية أما الوجه الآخر للعملة فعليه غصن دالية ممتدة وعليها عنقود عنب سنة ١١٦ م .



شكل (١٠٧) : أثينا - تمثال برونزي / روما



شكل (١٠٦) : أثينا - تمثال برونزي / روما

١٣. ديمتر

ديمتر (ساريس) الهة الزراعة والمدنية وهي عشيقة زيوس واخته ولها بنت كانت تحكم العالم الأسفل هي بيرسفوني (بروزرين) الهة الخضرة . وهناك اسطورة حول بيرسفوني وبلوتو وخطفها للعالم الأسفل فبحث عنها ديمتر بلهفة وجنون ولكنها لم تجدها فجلست على الطريق وأخذت تبكي . فحنّت لها قلوب بنات الملك سيليوس واعطنّ لها اخوهن ليكون بديلاً وخطر لديمتر ان تمنحه الخلود فدهنته بالخمير الالهي والتعزيمات ووضعت على النار حتى تنتهي كل العناصر الفانية الباقية في جسده . لكن امه اخذته منها .

وهناك اساطير اخرى لديمتر التي توصف بانها راعية الخنطة والسنابل ويبدو أن بعض النقود التي وجدت في عمان تشير الى هذه الالهة حيث صورت وفي يدها اليمنى السنابل والخنشاش وعليها كتابة ، ويظهر الخنشاش وفقاً لاسطورتها التي تقول بانها تحمل دائماً مصباحاً وتفتش عن ابنتها بيرسفوني التي خطفها بلوتو اله الجحيم ولم تكن تنام ابداً فارسل اليها جوبتر خنشاشاً لينومها فارتبط رمز الخنشاش بها وتأريخ هذه النقود يعود الى سنة ١٦٦ م .



شكل (١٠٨) : الالهة ديمتر وهي تحمل سنابل الخنطة وفي يديها والافاعي حولها والتاج المصنوع من ورق الأشجار على رأسها

١٤. تايكي Tyche

ليست تايكي من بنات زيوس ومن الهات الاولمب الا ان زيوس كان له خدم من الآلهة يقومون له بواجبات محددة ومن أهم هؤلاء الخدم له هما الالهتان تايكي (الهة الحظ) ونايكي (الهة النصر) .

لقد أحب زيوس خدمته تايكي حباً شديداً وكانت عشيقته وتحمل معها دائماً دولا ب "القدر أو الأبراج الذي أصبحت مسؤولة عنه باعتبار ان الحظ يرتبط ببرج الشخص الذي يولد فيه .

وصارت تايكي تمثل "مفهوم الحظ العابر وتظهر في وقت مناسب لتحقيق السعادة المنشودة . وهكذا جسد الفكر الانساني التأثير الفجائي القصدي الملائم في صورة انسانية آمن الانسان بها . وتفقن خياله في ابتكار صفاتها وخلق خصائصها ، وتصور معجزاتها" (٨) .

ويبدو ان تايكي تعبر تحديداً عن الحظ وتايكي ليست بلقب يدل على الهة له اسم بل هي الهة قائمة بذاتها كانت ذات يوم ضمن حاشية فينوس لكنها في الفترة الهيلنستية تحديداً أخذت مقاما راقيا فصبحت تدل على الالهة الحارسة للمدينة وتدل كذلك على الحظ وسمها بالآغريقية يعني باللفظ كلمة (الحظ) "وكذلك تدعى داكي Dike أو مويرا Moera الهة القدر الكونية ، والخاصة بروح فردي . وكانت تايكي باسيلوس Tyche Basi leos عنوان (الروح الانشوي) او الهة الحظ للملك . وليس هناك أي من حاكم يمتلك القوة دون ان تنظر له الآلهة تاكي بين الرعاية" (٩) .

وأصبح اسم تايكي عد الرومان (فورتونا Fortuna) التي تعني الحظ وهي كلمة تذكر بكلمة العربية (فرتنا أو فرطلة) وتعني السعادة والبهجة وتسمى الهة الحظ الثلاثية الرومانية "وكان القياصرة دائماً يحملون تمثال ذهب لهذه الآلهة حتى في نومهم ورحلاتهم . وكانت تنتقل بعد موتهم الى تابعيهم الذين كانوا يتضرعون لها تحت اسم (فورتنا ريجا Fortuna Regia) والتي تترجم الى تايكي باسيلوس أي (قدر الحكم)" (١٠) .

ان تاكيكي بالقدر الذي تعبر فيه عن حظ المدينة وحظ الملك فانها تعبر عن حظ الشخص أيضا وترتبط "كملاك حارس وهي النفس (ساكيكي) أو الروح (انيما) . واسمها الروماني فورتنا وربما يكون قد انحدر من فورتنا Vortumna (التي تبدل السنة) ، الام الكبرى التي تدير العجلة السماوية للنجوم وكذلك العجلة القدرية للمصير" (١١) .

وستوسع في دراسة تاكيكي لأسباب كثيرة أهمها انها صارت أكبر الهة في الرحلة الهلينستية الرومانية وغطت على كل الالهات ، وثانيها انتشارها الواسع والكبير في الشرق وفي الاردن (في جميع مدنه وقصباته) ثم ان ما هو معروف عنها يسير جدا ولا يعطي اي معلومات واضحة .

اختلاطها مع آلهة أخرى

تختلط تاكيكي مع مفاهيم ووظائف ربات اخريات مثل فاتوم أو فاطم Fatum ربة القدر والحتمية ومنميس ربة العدالة والانتقام ، و (فونوس Fonus) حامي القطعان والرعاة وخصب النوع الانساني وجونون حامية العذراء والنساء المتزوجات و (هركول) رب القوة الانسانية والأعمال الخيرة و(مركور) حامي المهن وصغار التجار والمسافرين ، و (مارس) رب الحروب ، ومنيرفا ربة النصر والحكمة ، وارتيمس الهة الصيد والشباب وحامية النساء الأمازون وبلوتس رب الغنى وأثينا وروما .

ارتباط الالهة فورتنا مع الهات اخريات

يرد اسم تاكيكي او فورتنا مع الهات اخريات ليعطي وظيفتهن مثل (١٢) :

- ١ . فورتنا فيريليس (F. Viriles) وهي الهة النساء بمقدار النظر الى حظهن من الرجال .
- ٢ . فورتنا موليبرس (F. Muliebris) وهي الهة النساء الشريفات اللواتي لم يكن يتزوجن سوى مرة واحدة . وهذا يعطين .
- ٣ . فورتنا ريدوكس (F. Redux) الالهة التي يبتهل اليها من اجل عودة المسافرين .
- ٤ . فورتنا باربارا (F. Barbara) الهة الجنس المذكر التي تشرف على انتقال الرجل من فترة الطفولة الى سن البلوغ ومرحلة الرجولة .

٥ . فورتنا فيركو (F. Virgo) الة الفتيات اللواتي يذرن لها ثيابهن اما في سن البلوغ أو في أيام الزواج .

٦ . فورتنا مومسا (F. Mammosa) الالهة ذات الثديين اللينتين المتهدلتين وكانت تعتبر سيدة نساء عامة الشعب .

٧ . فورتنا الجمعيات : الة نقابية تشرف على العلاقات المهنية والتجارية وتحميها .

٨ . فورتنا فيلكس (F. Felix) الة الحُصْب السعيد .

٩ . فورتنا ايكويستريز (F. Equestris) ربة الفرسان .

١٠ . فورتنا اوبيكونز (F. Obsequens) التي تنقذ المرء من الخطوات السيئة وهي ايضا الة السلام والصحة .

١١ . فورتنا مالا (F. Mala) تمثل أمراض الحميات وتجسد معنى الخضم .

١٢ . فورتنا دوتيسوس (F. Douteuse) احدى مظاهر الحظ المعاكس .

وظائف تايكي

هناك مجموعة من الوظائف اختصت تايكي بتقديمها وهي :

١ . تأسيس المدن وحمايتها فهي الربة المؤسسة للمدن وحمايتها ومن اجل ذلك تضع على رأسها تاجا على شكل أسوار ذات البرج (انظر جيدا الى تمثال تايكي عمون) وكان ينشد لها تمجيда لكي تحمي المدن . ويتضرع لها الأبطال لتعينهم في النصر .

٢ . تجسيد خصب المدينة وازدهارها وهي ربة المياه التي تحمل في يدها السنابل والخشخاش كرمز للخصب (وهي تدل على ديمتر في هذه الوظيفة) ويحتفل بعيدها مع فترة الحصاد فهي ربة الأرياف والفلاحين الذين يحملون لها النذور .

٣ . تجسيد الحظ الملائم والصدقة المناسبة في التجارة والحروب والمباريات ، فهي سيدة المقامرين واللاعبين ولانها تجسيد الحظ المتغير باستمرار والمتبدل على الدوام . فهي



تجسيد للحظ السعيد والحظ المعاكس والفردى والجماعى
وكانت تصور أحياناً فى صورة امرأة عمياء لكى ترمز
لقيامها بمنح السعادة بشكل اعتباطى وفجائى .

٤. تقرير الاقدار والحتميات : فهى تساهم فى وضع اقدار
الناس الهالكين ، فهى الهة هامة لان كل انسان يحلم بأن
يحظى برضاها لدعم موقفه من التحديات الخارجية وكان
الناس يشربون نخبها ونخب الحظ الذى تمثله .

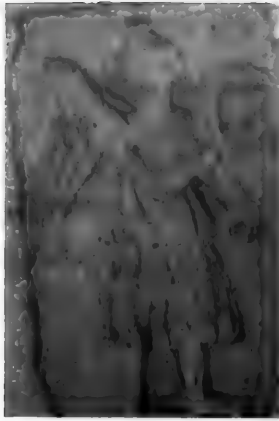
شكل (١٠٩) : الالهة فورتن الرومانية (تقابل تاىكى اليونانية)
وهى تحمل على يدها اليسرى قرن الخصب الذى سيلازم ظهورها .
وهى الهة الحظ ومؤسسة وحامية امن .



شكل (١١١) : تاىكى جدارا (ام قيس)
وهى تحمل على يدها اليسرى قرن الخصب



شكل (١١٠) : تاىكى عمّون أو تاىكى فيلادلفيا
وهى تحمل على رأسها تاجاً على شكل أسوار المدينة وأبراجها



شكل (١١٣) : تايكي المجنحة وهي تحمل اكليل السعف



شكل (١١٢) : تايكي المجنحة



شكل (١١٤) : تايكي حامية المدينة على مسكوك نقدي من عمان وهي تحمل قرن الخصب في يدها اليسرى وسنابل القمح أو الصولجان في يدها اليمنى وتحتها عجلة أو دفة أو مقود سفينة دلالة قيادتها لحياة البشر وهذه الصورة تحمل ثلاثة رموز من رموزها .

٥. قيادة المراكب والملاحة عبر الأخطار حيث كان المصير المحتوم يسير أمامها وهي التي تتولى إعادة المسافرين إلى أوطانهم .

٦. ربة الولادة والزواج السعيد وربة الوفاء وهي الملاك الحارس لكل انسان وهذا يفسر وجودها منقوشة على قبور الناس وهي ربة الحياة بالنسبة للمرأة وهي التي تحول دون أن يمس الانسان حشرة ما أو تصيبه الحشرات بأذاها .

رموز تايكي

١ . تاج على شكل اسوار مدينة مع ابراجها للدلالة على حماية المدينة وسكانها (تايكي عمون) .

٢ . قرن الخصب الذي يبدو في يدها اليسرى دائما ورأسه المنفرج مملوء بالأزهار والفواكه والثمار المحلية (تايكي كدارا) (ام قيس) .

٣ . دفة السفينة أو مقودها للدلالة على انها تقود البشر في مصائرهم .

٤ . الكرة وترمز الى العمومية والشمول .

٥ . الدولاب ويرمز الى الحركة وعدم الثبات على حال والتبدل والتقلب في الوجد .

٦ . غصن النخيل كشارة فوز وعلاقة نصر ، وأكليل الغار من النخيل يقدم للفائزين .

٧ . سنابل القمح وتدل على الخصب والثروة .

٨ . الاجنحة حيث كان الرومان يعتقدون بانها بعد ان طافت الكون قطعت جناحها واستقرت في المدن .

٩ . الكأس : ويبدو في يدها اليمنى دلالة الارتواء والخمر .

١٠ . الصولجان : الذي تمسكه بيدها اليمنى دلالة الحكم والسلطان .

١١ . الاكليل : في يدها اليمنى .

١٢ . رمز السلام والتجارة في يدها اليمنى .

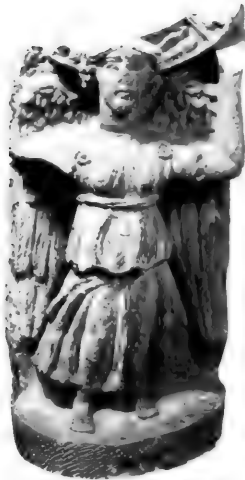
وقد عثر في الاردن على تايكي وهي تحمل تاج المدينة واسوارها وقرن الخصب واكيل السعف والالجنة وسنابل القمح .

لقد اندمجت تايكي مع الالهة اترجاتيس وظهر ذلك عند الانباط واضحا فقد توحدت وظيفة (تايكي المدينة Tyche Ploleos) مع وظيفة حماية المدينة عند اترجاتيس . وظهر مثل هذا عندما توحدت تايكي مع الالهة التدمرية (جاد) ومع الالهة العراقية (عشتار) ومع الالهة المصرية ايزيس (ايزيس تايكي) او (ايزيس فورتنا) التي عبت في روما .

١٥. نايكي Nyche

الالهة نايكي الهة مرافقة لتايكي ولكنها تتخص تحديدًا بالنصر فهي الإلهة المنتصرة .

لقد كانت الالهة نايكي وصيفة او خادمة عند الاله زيوس ، ولكن زيوس أحبها جدا شديدا وكان يحمل صورتها في يده .



كسنت هي وتايكي في بلاط زيوس .. ولكن الربيثين أخذتا مكانة كبيرة في المرحلة الهيلنستية في الشرق ثم عند الرومان .

وفي الاردن عثر في البتراء على صورة الالهة نايكي وهي تحمل دولا ب الفلك الدوار الذي تتوسطه تايكي وقد اشرنا لهذه المنحوتة في حديثنا عن آلهة الأنباط ، ونرى ان نايكي وتايكي امتزجتا عند الانباط مع الالهة الكبرى في مرحلتهم المركبة اترغاتيس واصبحت تدل عليها .

شكل (١١٥) : الالهة نايكي وهي تحمل ابراج الفلك وتبدو مجنحة وهي الهة النصر في الاردن في المرحلة الهيلينية الرومانية

هـ . الحوريات Nymphs

الحوريات مجموعة من الالهات المائيات التي ارتبطن بالينابيع ومنابط المياه ولذلك حمل اسم (سبيل الحوريات) دلالة على وجودهن فيه . وهن بنات الاله المحيط اوقيانوس وهو اخ كرونوس . وقد ولد الاله المحيط بنات المحيط وحفيداته آلهات البحار والانهار والعيون والغابات والجبال . الطائفة الأولى منهن هن حوريات البحار ويطلق عليهن اسم الاوسيانيد Oceanides اي البحرديات أو المحيطيات ويدخلن في اساطير ديونيزيوس وارتميس . والبعض منهن عشيقات للاله زيوس مثل (الكمين) التي جاء منها هرقل و (ديوني) التي جاءت منها افروديت ومنهن (ثيتس) التي جاء منها أخيل بطل الالياة ومنهن (يو) التي انجب منها زيوس ايبافوس الذي انحدر من نسله ايجبتوس وداناؤوس وايجتوس هو أبو المصريين الاسطوري في نظر اليونان .

و (سبيل الحوريات) في الاردن موجود في اغلب المدن القديمة فهناك في وسط عمان وهناك في جرش وفي البتراء وارتبط ظهوره مع الماء الذي هو وسط النيمات او الحوريات العذراوات .



شكل (١١٧) : الاله اوقيانوس (OCEANUS)
أب الحوريات والاله المحيط الأعظم



شكل (١١٦) : الحورية اريثوسا وتظهر سمكتان أمام وجهها دلالة على الماء .



شكل (١١٨) : سبيل الحوريات في جرش

دخلت المثلولوجيا اليونانية والرومانية الى الاردن في وقت كانت تعاني فيه البلاد من فراغ سياسي وروحي كبير فقد كانت الممالك الأردنية المحلية قد انتهت تماما وذابت دياناتها معها .. ولم يبق سوى الأنباط في المناطق الجنوبية من الاردن .. ولذلك سرعان ما حلت هذه المثلولوجيا بقوة وأصبحت جزء من عقائد الغزاة ثم المواطنين .. وعلى مدى ستة قرون وهي الفترة اليونانية الرومانية هضمت هذه العقائد وأصبح لها آثارها المادية من المعابد والتماثيل والطقوس والشعائر والمسكوكات النقدية .

لقد مثلت المجموعة الالهية الذكورية آلهة متشابهين مع ماكان سائداً في الاردن من آلهة .. فالاله زيوس يقابل الاله الكنعاني ايل ، والاله ديونيزيوس يقابل الاله بعل ومشتقاته . والاله اريس له صدى في آلهة عمونية ومؤابية وادومية آفة والاله هرقل كان منتشرا في المنطقة قبل مجي، هركلوس اليوناني فقد كان اله مدينة صور اسمه (هركول) والاله ابولو اله الشمس والموسيقى . هؤلاء الآلهة كانوا يمثلون عدة وجوه لآلهة اردنية

عبدت وكانت أساطيرها متداولة . لكن القطب الأخصب في هذه العقائد كان يمثل زئوس وديونيزيوس الاله السماوي والاله الأرضي ، اله الفكرة واللوعوس واله الحس والايروس . وهو ماسيظهر لنا واضحاً في الهين نبطيين هما ذو الشرى بوجهين الزئوسي والباخوسي والاله حدد بوجهين هذين أيضاً .

أما الآلهة الاناث فتعكس كل واحدة منهن وظيفة معينة كانت تمثلها محليا . الالهة تايكي والالهة اترغاتيس اللتان اتحدتا في البتراء . فالحب والجمال والحكمة والخصب والحظ والنصر والشباب والصيد كانت تمثل صفات لالهة واحدة رأينا كيف انها انحدرت من اللات حتى اترغاتيس عند الانباط وكانت تمثل عشتار سابقاً .

هكذا اذن دخل أسطول المثلولوجيا اليونانية عبر شحنتين اساسيتين الأولى ذكرية مثلها زئوس / ديونيزيوس الذي يماثل ايل / بلع والثانية انثوية تايكي / ارتميس التي تماثل عشتار الحب والحرب ، ويقع هذا كله في نفس خط الاستنتاج الذي توصلنا له سابقاً حول القطبين الذكري والانثوي الجامع للنقائض في المثلولوجيا الاردنية . وانه لما يثير الاستغراب حقا ان الآثار الرومانية في الاردن (وهي كثيرة) لم تحمل الا فيما ندر أسماء الآلهة الرومانية واستمر احياء المثلولوجيا اليونانية وهذا واضح من اسماء المعابد الهياكل والمزارات ذات المعمار الروماني والمضمون اليوناني وكانت المعابد تسمى مثلاً ارتميس اليونانية وليس ديانا الرومانية ولا فينوس بل افروديت ولا باخوس بل ديونيزيوس ولا جوبتر بل زئوس . وهذه مفارقة جديرة بالدرس والتحليل . ثم ان ديونيزيوس ظهر بصورة الطفل وارتميس ظهرت بصورة العذراء وهذا ما كانت تنبض به المثلولوجيا والعقائد الشامية والاردنية تمهيداً لظهور يسوع الطفل ومريم العذراء .

هوامش الفصل السادس

١. وافي ، علي عبد الواحد : الادب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٠ ص٨٦ .
٢. المرجع السابق ص٩٩ .
٣. المرجع السابق ص ١٠٤ .
٤. المرجع السابق ص ١٣٦ .
٥. غريب ، ه.أ. : "أساطير الاغريق والرومان" ترجمة حسين فريز . منشورات دائرة الثقافة والفنون . عمان ١٩٧٦ ص ٣٥٤ .
٦. وافي ، علي عبد الواحد : "الادب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي" ص٢٣ .
٧. انظر بحث السيدة ايمان عويس (مدفن بيزنطي في جرش) حولية دائرة الآثار العامة المجلد ٢٩ ، عمان ١٩٨٠ .
٨. زهدي ، بشير : "تيكه وتمثيلها في المتحف الوطني بدمشق " . مجلة الحوليات الأثرية السورية . مجلد ١٦ ، ١٩٦٦ ص١٦ .

Walker , Barbara G “The Women’s encyclo pedia of myths . ٨

and secrets , Harper. Sanfrancisco 1983 p. 1023

Ibid P. 321 . ١٠

Ibid P. 321 . ١١

١٢ . انظر بحث "تيكة وتمائيلها في المتحف الوطني بدمشق" لبشير زهدي ص ص ١٧ ، ١٨ .

الفصل السابع

المثولوجيا المسيحية



الهاث المدن المسيحية (روما . غريغوريا . مادبا) تحمل كل واحدة منهن صليبا ، وعلى رأس كل من غريغوريا ومادبا تاج يشير الى الاسوار والقلعة وهو ذات التاج الذي كانت تحمله تايكي على رأسها وقرن الخشب الذي كانت تحمله تايكي على اليد اليسرى لكل من مادبا وروما .

من فسيفساء ردهة هيبوليتس في كنيسة العذراء في مادبا

مقدمة تاريخية

ظهر السيد المسيح في أرض فلسطين واسمه (يسوع) عبري الأصل معناه (يهوواهو الخلاص) ولقبه (المسيح) مشتق من لفظة آرامية معناها الممسوح بالزيت المقدس وهي علامة على النبوة او الملوكية .. وعمده في الاردن يحى (يوحنا المعمدان) ، وهناك من يرى انه نشأ بين جماعة من الاسينين والقمرانيين وأخذ بتعاليمهم .

لقد سطعت تعاليم السيد المسيح أولاً في فلسطين والاردن وجاءت الديانة التي بشر بها لتكون ذروة الديانات السامية السابقة والكنعانية منها بشكل خاص ، وقد مهدت الثقافة الهيلينية الرومانية في أرض الشام لأن تنصهر في هذه الديانة عوامل حضارية جديدة فقام الرسول (بولس) الذي اعتنق الهيلينية مذهباً فكرياً بفك اسار المسيحية من محليتها ونشرها غرباً لتصبح ديانة عالمية اكتسحت الديانات الوثنية في اوربا .. وعاشت المسيحية صراعاً حاداً مع ديانة الاله (مثرا) ثم انتصرت عليها في القرن الرابع ، وكان الشرق العربي الذي ظهرت فيه الديانة المسيحية يُنبت ويشيع هذه الديانة بصبر وعناد وينشر عقيدتها وشهداءها وكنائسها بصعوبة بالغة . ولما اعتنق الامبراطور البيزنطي قسطنطين الديانة المسيحية عام (٣٢٣م) اصبحت المسيحية الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية البيزنطية وشمل هذا التغيير المستعمرات الرومانية .

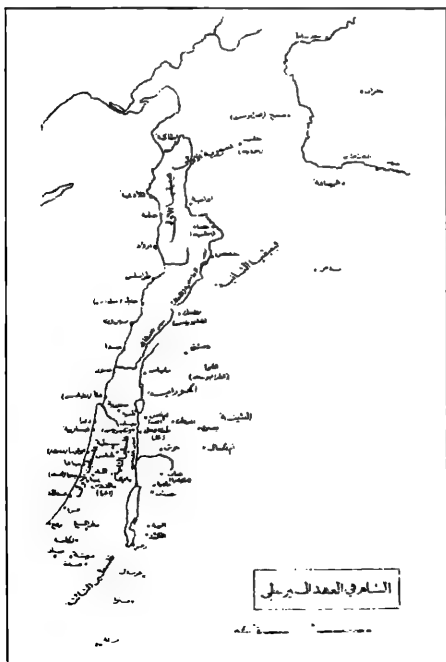
في عام ٣٦٣م ضرب زلزال مدمر جنوب الاردن وهدم جزء كبيراً من البتراء . وفي عام ٣٩٥م قام الامبراطور ثيودوسيوس بانشاء عدد كبير من الكنائس في الاردن ومع نهاية القرن الرابع الميلادي اعيد تقسيم المقاطعات الرومانية وقسمت منطقة شرق الاردن ووادي عربة الى اربع مقاطعات :

١. فلسطين الاولى : غرب وسط الأردن وعاصمتها قيسارية .
٢. فلسطين الثانية : شمال غرب الاردن وعاصمتا بيسان .
٣. فلسطين الثالثة : جنوب الاردن وعاصمتها البتراء .
٤. فلسطين الرابعة : شمال شرقي الاردن وعاصمتها بصرى .

وفي عام ٥٤٢م ساد طاعون عظيم مدن الاردن ومع نهاية القرن السادس سيطر
الغساسنة المسيحيون على شرق الاردن وسوريا واعتبروا خلفاء الأنباط في مناطق الشام .

وبين الأعوام (٦١١ - ٦١٤) اجتاح الفرس بقيادة كسرى الثاني المنطقة فهاجموا المدن
ونهبوا مدينة القدس ، لكن الامبراطور البيزنطي هرقل دحرهم واعاد المدن الى نفوذه .

وفي عام ٦٣٦م زحفت جيوش المسلمين الى الاردن واصطدمت بالجيش البيزنطي في
مؤتة قرب القرب فتراجع المسلمون قليلاً وقتل منهم ثلاثة قادة كبار هم (زيد بن حارثة .
جعفر بن ابي طالب . عبد الله بن رواحة) ودفنوا هناك ثم تقدم جيش اسلامي كبير في
الاردن وحسمت معركة اليرموك في وادي اليرموك سنة ٦٣٦ وكان النصر للمسلمين
وزحف المسلمون منها الى دمشق التي صارت عاصمة خلافتهم .



خريطة (٧) الشام في العهد البيزنطي

المثولوجيا المسيحية

السؤال الأول الذي يتبادر الى الذهن هو : هل هناك مثولوجيا مسيحية ؟

فأقول مباشرة : نعم هناك مثولوجيا يهودية ومسيحية واسلامية . وطالما كان هناك دين كانت معه مثولوجياته ، لأننا وكما ذكرنا في الفصل نرى المثولوجيا مرتبطة بالمقدس ، والمقدس الديني هو من اكثر المقدسات التي تستدعي حولها الأساطير .

ومن المؤكد اننا لن نخوض في هذا الفصل بجميع أوجه المثولوجيا المسيحية ، ولكننا سنؤكد على أثارها في الاردن فقط وما يتعلق بها في تأريخه .

لقد كانت أرض الشام نسيجاً عقائدياً صالحاً لظهور الاقنوم المسيحي (الأب والابن والروح القدس) . فقد حُفرت الديانات السابقة ثالوثاً معروفاً هو (ايل والبعل وعشتار) ، وهناك من يؤكد ان الثالوث المسيحي كان في البداية مشتملاً على العذراء مريم لكنه استبدل لاحقاً بالروح القدس .

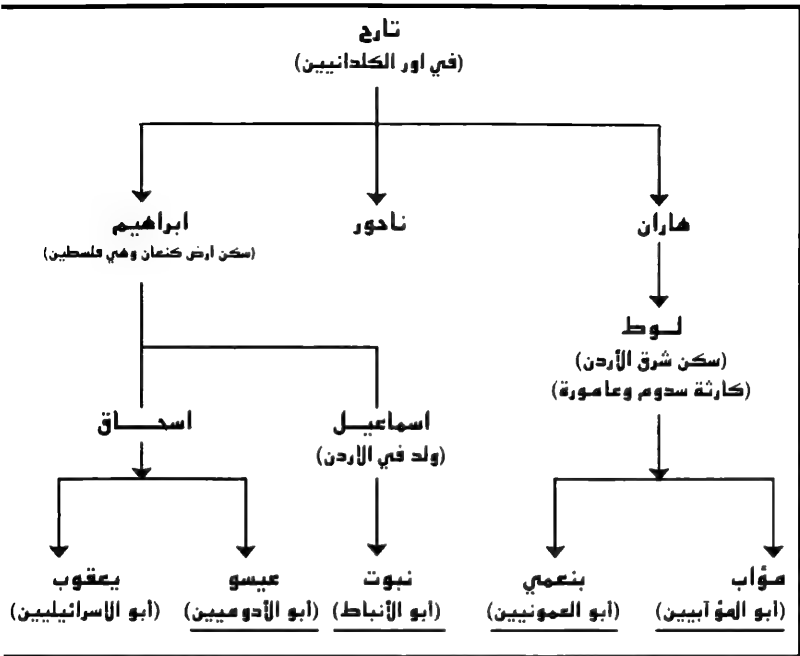
لقد حمل الصراع بين (ايل وبعل) أوجهاً مختلفة متناقضة ومتحدة في آن واحد وجاءت قصة المسيح وصلبه وتضحيته من اجل البشر صورة مكملة لعلاقة (الأب بالابن) أو (الله والانسان) وطفحت بعد ذلك رموز كثيرة لها علاقة بعقائد الخصب القديمة : مريم وعشتار ، قيامة المسيح وبعث تموز أو البعل ، صلب المسيح ومقتل البعل ، الخبز والنبيذ جسد ودم المسيح الخنطة والعنب علامات باخوس وغيرها كثير .. حتى الصليب كان رمزاً للخصب في اقدم الحضارات الاولى وكانت تحمله آلهات مثل عشتار وبارات وايزيس ... وغيرها .

وسنبداً أولاً بنظرة سريعة الى المثولوجيا التاريخية التي نضحت من التوراة (العهد القديم) والتي خصت الاردن تحديداً باعتبار ان العهد القديم شكل الخلفية الروحية والتاريخية للمرحلة اللاحقة التي ظهر فيها (العهد الجديد) .

١. المثلولوجيا التاريخية للتوراة

ان رحلة النبي ابراهيم من اور الكلدانيين في وادي الرافدين الى أرض كنعان رحلة غامضة اسطورية تحفها الكثير من الأحداث التي تحتاج الى تفسير وتحليل . ومعروف ان ابراهيم بحسب رواية التوراة "ينتمي الى القبائل الآرامية وهي قبائل عربية نزحت من وطنها الاصلي في جزيرة العرب واستقرت على ضفاف الفرات في شمال سورية ، ثم نزلت بعض اسرها الى العراق ومن جملتهم اسرة ابراهيم الخليل ، واذا أخذنا بما توصل اليه العلماء حول تعيين تاريخ هجرة الآراميين فتكون اسرة ابراهيم الخليل قد جاءت الى منطقة بابل في حوالي أوائل الألف الثانية قبل الميلاد"^(١) . ولانريد ان نقرر أصل عائلة ابراهيم وطبيعة الهجرات السامية وأماكن وجودها الأول ، فهذا الأمر محط مناقشة جديدة لا تتفق في نتائجها مع ماكننا نعرفه من معلومات حول الهجرات السامية التي جاءت من جزيرة العرب ؟! . ان قراءة النص التوراتي يؤكد أن ابراهيم لم يقم بهذه الرحلة بل قام بها أبوه تارح الذي أخذ معه ابنه ابراهيم وابن اخيه لوط وساري وكنته وزوجة ابرام ، اذن كانت الهجرة مكونة من أربعة فقط (تارح ، ابرام ، لوط ، ساري) الذين خرجوا من اور الكلدانيين (ليذهبوا الى أرض كنعان فجاءوا الى حاران وأقاموا هناك) . ونرى أنهم لم يذهبوا الى (حاران) التي في اعالي الفرات بل الى (حاران التي تقرب من أرض كنعان) كما تقول التوراة ، ولذلك لانرجح احتمال ذهابهم الى (حرّان) المدينة المعروفة شمال سوريا ، بل ذهبوا الى أرض (حوران) التي تقع شمال الاردن وجنوب سوريا .

لقد كانت (حوران) هي المكان المنطقي بين اور الكلدانيين وأرض كنعان وتكاد تقع بينهما على خط شبه مستقيم ، أما (حرّان) فمنطقة بعيدة لاعلاقة لها بمسيرة من هذا النوع . وما يهمنا هنا هو ان عبور ابراهيم نهر الاردن فيما بعد الى أرض كنعان كان انعطافا توراتية تدل على تبدله من آرامي الى عبري .



جدول (٢٠): يوضح المتولوجيا التاريخية للتوراة . حيث نرى كيفية انحدار شعوب الاردن من نسل مفصوب عليه أو ملمون في رأي كتبة التوراة والأقوام الأربعة المؤشر عليها هي أكبر الأقوام الأردنية

ان هناك من يرى ان ابراهيم قبل عبوره نهر الاردن بقي في حوران "فقد دخل مدينة حران فسكنها مدة وتزوج بنت ملكها سارة ثم هبط بلاد الاردن وهناك قدمت له ساره جاريتها هاجر لعله يأتي منها بولد . اذا انها كبرت ولم ترزق البنين ، فلما حملت هاجر ووضعت اسماعيل ، اغتتمت سارة ودخلتها الفيرة وطلبت من زوجها ان يحول هاجر الي حيث يشاء ، فاوحى اليه ان احمل هاجر واسماعيل الى أرض الحرم . فسار ابراهيم بزوجه وولده الى الحجاز" (٢١) .

وما يهمنا هنا ولادة اسماعيل في الاردن ثم رحيله الى الجزيرة ومعروف ان اسماعيل هو أب العرب وهو الذي أنجب عدة أبناء أحدهم كان اسمه نبوت ويقال بأنه (أب الأنباط)



ويبدو ان المنطقة بعد الكارثة أصبحت خاوية ومهجورة ، ثم امتد البحر الميت ليجعلها فقد أصبح في مستوى أعلى من هذه المنطقة ولكن هذا الزحف لمياه البحر الميت كان تدريجيا حتى ابتلع المنطقة كلها وقدرت المدن المحطمة تحت هذا البحر ودفن تاريخها ولكن رائحة الاساطير ما زالت تفوح منها .

ونرى من أجل الاطلاع الدقيق على

اسطورة سدوم وعموره اننا لا بد من ان نذكر النص التوراتي الخاص بها^(٢) .

(٢٠) فقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جداً (٢١) أنزل وأرى هل فعلوا طبق صراخها البالغ إلي وإلا فأعلم (٢٢) وانصرف الرجال من هناك ومضوا نحو سدوم وبقي إبراهيم واقفاً أمام الرب (٢٣) فتقدم إبراهيم وقال أهلك البار مع الأثيم . (٢٤) إن وجد خمسون باراً في المدينة أفهلكها ولا تصفح عنها من أجل الخمسين باراً الذين فيها . (٢٥) حاش لك أن تصنع مثل هذا أن تهلك البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم . حاش لك . أديان كل الأرض لا يدين بالعدل . (٢٦) فقال الرب إن وجدت في سدوم خمسين باراً في المدينة فأني أصفح عن المكان كله من أجلهم . (٢٧) فأجاب إبراهيم وقال هاءنذا قد طفقت أتكلم أمام سيدي وأنا تراب ورَمَاد . (٢٨) إن نقص الخمسون باراً خمسة أفهلك جميع المدينة بالخمسة . فقال لا أهلكها إن وجدت ثم خمسة وأربعين . (٢٩) ثم عاد أيضاً وكلمه فقال إن وجد هناك أربعون . فقال لا أفعل من أجل الأربعين . (٣٠) قال لا يتقل أمام سيدي أن أتكلم إن وجد ثم ثلاثين . (٣١) قال قد استرسلت في الكلام أمام سيدي . إن وجد ثم عشرون . قال لا أهلكهم من أجل العشرين . (٣٢) فقال لا يتقل لدى سيدي أن أتكلم هذه المرة فقط . إن وجد ثم عشرة . قال لا أهلكهم من أجل العشرة (٣٣) ومضى الرب عندما قرع من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى موضعه .

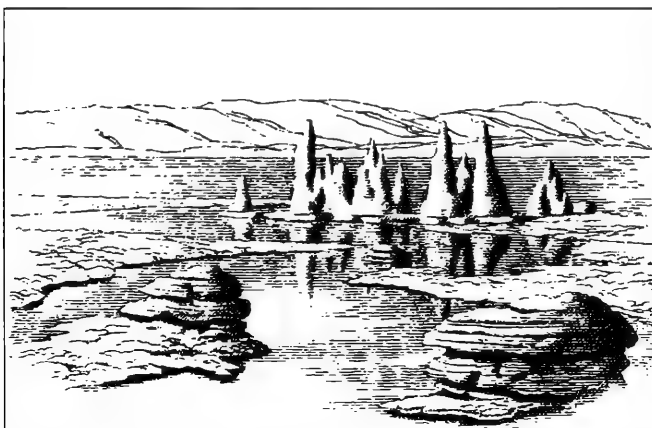
(الفصل التاسع عشر)

(١) فجاء الملاك إلى سدوم عشاء وكان لوط جالساً بباب سدوم . فلما رآهما لوط قائماً للقاءتهما وسجد بوجهه إلى الأرض (٢) وقال ياسيدي ميلاً إلى بيت عبدكما وبيتاً وأغسلاً أرجلكما . ثم تبركان وتمضيان في سبيلكما . فقالا لا بل في الساحة نبيت . (٣) فالح عليهما جداً فمالا إليه ودخلا منزله . فصنع لهما مائدة وخبزاً فطيراً فأكلا . (٤) وقبل أن يضطجعا إذا أهل المدينة أهل سدوم قد أحاطوا بالبيت من الصبي إلى الشيخ جميع القوم إلى آخرهم . (٥) فنادوا لوطاً وقالوا له أين الرجال اللذان قدما إليك في هذه الليلة أخرجهما إلينا حتى نعرفهما . (٦) فخرج إليهم لوط إلى الباب وأغلق الباب ورآه (٧) وقال لا تفعلوا شراً يا إخوتي . (٨) هاءئذا لي ابنتان ما عرفتا رجلاً أخرجهما إليكم فاصنعوا بهما حسن عندكم وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئاً لأنهما دخلا تحت ظل سقفي . (٩) فقالوا تنح من هنا . ثم قالوا أيأتي رجل ينزل بنا ويحكم علينا ، الآن نفعل بك أسوأ مما نفعل بهما وألحوا على لوط جداً وتقدموا ليكسروا الباب (١٠) فمد الرجلان أيديهما وأدخلا لوطاً إليهما إلى البيت وأغلقا الباب . (١١) وأما القوم الذين على باب البيت فضرباهم بالعمى من صغيرهم إلى كبيرهم فعجزوا عن أن يجدوا الباب . (١٢) وقال الرجلان للوط من لك أيضاً ههنا أصهارك وبنيك وبناتك وجميع من لك في المدينة أخرجهم من هذا الموضع (١٣) فبنا مهلكان هذا الموضع إذ قد عظم صراخهم أمام الرب وقد بعثنا الرب لنهلك المدينة . (١٤) فخرج لوط وكلم أصهاره متخذي بناته وقال لهم قوموا وأخرجوا من هذا الموضع لأن الرب مهلك المدينة . فكان كمازح في أعين أصهاره . (١٥) فلما كان عند طلوع الفجر ألح الملاك على لوط قائلياً قم فخذ امرأتك وابنتيك الموجودين لئلا تهلك بإثم المدينة . (١٦) فتوانى لوط فامسك الرجلان بيده وبيد امرأته وابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه وصبراه خارج المدينة . (١٧) فلما أخرجاهم إلى خارج قال له انج بنفسك لا تلتفت إلى ورائك ولا تقف في البقعة كلها وتخلص إلى الجبل لئلا تهلك . (١٨) فقال لهما لوط لا ياسيدي (١٩) إن عبدك قد نال حظوة في عينيك وعظمت رحمتك التي صنعتها إلي بإحياء نفسي إني لا أستطيع التخلص إلى الجبل فربما أدركني شر فاموت . (٢٠) ها إن هذه المدينة قريبة للهرب إليها وهي صغيرة دعني أتخلص إليها إنما هي صغيرة فتحمي نفسي . (٢١) فقال له هاءئذا قد

شفعتك في هذا الأمر أيضاً بأن لا أقلب المدينة التي ذكرت . (٢٢) أسرع بالتخلص إلى هناك فإني لا أستطيع أن أصنع شيئاً إلى أن تصيرَ إليها . لذلك سميت المدينة صُوعَرَ . (٢٣) وإذا إشرقت الشمس على الأرض دخل لوطٌ صُوعَرَ . (٢٤) وأمطرَ الربُّ على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء (٢٥) وقلب تلك المدن وكل البُقعةَ وجميع سكان المدن وَثَبَتَ الأرض . (٢٦) فالتفتت امرأته الى ورأتها فصارتَ نصب ملح . (٢٧) فبَكَرَ إبراهيم في الغد الى الموضع الذي وقفَ فيه أمامَ الرب (٢٨) وتطلَّعَ إلى جهة سدوم وعمورة وسَائرَ أرض البُقعةَ ونظرَ فإذا دخان الأرض صاعدٌ كدخان الآتون .



شكل (١١٩) : قوم سدوم وعمورة يتظاهرون امام بيت لوط



شكل (١٢٠) : البحر الميت حيث تظهر أعمدة الملح المنتصبة والتي تذكر بزوجة لوط في هذه الاسطورة

ونرى أن في هذه الصياغة التوراتية المثلولوجية ما يشابه الصياغة الخاصة بالطوفان وما حدث مع نوح . فقد خرج نوح ولوط ومن معهما من كارثة طبيعية زلزالية ، وإذا كان نوح قد خرج ليستمر نسله المقدس في سام وليحذف حام ويافث ومعهما كنعان من المشهد القدسي عن طريق وصمهما بخطيئة النظر الى عورة نوح بعد سكره . فان لوط قد وصم نسله كله بالخطيئة مع ابنتيه لأن في بقاء نسل لوط منافسة مع نسل ابراهيم الذي كان النسل المقدس يجري منه الى ابناؤه ، وليس جميع ابناء ابراهيم بل ما اختاره التوراتيون عن طريق يعقوب (اسرائيل) .

اما النسل المدنس الذي الصقوه بلوط فقد جرّ مثلولوجيا كارتنتين متتاليتين الأولى دمار مدنه بسبب انحرافهم الجنسي والثانية تشويه نسله بسبب انحراف لوط الجنسي هذه المرة مع ابنتيه .

ويستمر مشهد الحريق والرماد الذي شهدته مدن سدوم في رواية (سترابو) المؤرخ اليوناني الذي عاش في القرن الأول وبعد الميلاد ، ويستمر في رواية (يوسيفوس) في نهاية القرن الأول الميلادي حيث يرى أن مدنهم "أحرقت بالصواعق نتيجة لفجور أهلها وشرهم وما تزال آثار النيران الالهية الى اليوم مع بقايا خمس مدن مخربة ، والى اليوم ترى الرمال في فواكهها التي يظهر من منظرها الخارجي انها صالحة للأكل . ولكن حين قطفها ومسكها باليد تذوب وتصبح دخاناً ورماداً وهذه القصص عن ارض سدوم قد حققناها باعيننا"^(١) ويرى المؤرخون المسلمون ومنهم ابن كثير ان الآلهة التوراتية الثلاثة الذين قدموا الى لوط هم ملائكة الله (جبرائيل واسرافيل وميكائيل) وهنا تزداد الطبقات المثلولوجية على هذه الحكاية .

ونرى فيما نراه ان الباعث اللاواعي لسرد هذه الملحمة الميثوبية عند كتبة التوراة محاولة تدمير نسل لوط الذي سيفوز بأرض كنعان بدليل انه مستمر ، فلو ط منجب وامراته منجبة ، اما ابراهيم الذي مع ساره فكان الى حين رواية هذه القصة مازال في عقم لايعرف سببه (منه أم من زوجته) وكان انقطاع نسل ابراهيم الى ذلك الحين سبباً دفيناً لتشويه نسل لوط ودمغ سيرته بالخطايا والتمهيد لطرده كلياً من المشهد المقدس لابراهيم ونسله .

بنتا لوط وأصل المؤابيين والعمونيين

يذكر العهد القديم في سفر التكوين ان مؤاب وعمون من أصل واحد من ابنيهما فقد ولدت الكبرى ابناً وسمته مؤاب وهو أب المؤابيين . وولدت الصغرى ابناً وسمته بنعمي وهو ابو بني عمون وسنذكر ما ورد في سفر التكوين حرفياً : (٥)

(٢٩) ولما دمر الله مدن البقعة ذكر الله ابراهيم لوطاً من وسط الانقلاب حين قلب المدن التي كان لوط مقيماً بها . (٣٠) وصعد لوط من صوعر وأقام في الجبل هو وابنتاه معه إذ خاف أن يقيم في صوعر فأقام في المغارة هو وابنتاه . (٣١) فقالت الكبرى للصغرى إن أبانا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا على عادة الأرض كلها . (٣٢) تعالي نسقي أبانا خمرأ ونضاجعه ونقيم من أبينا نسلأ . (٣٣) فسقتا أباهما خمرأ تلك الليلة وجاءت الكبرى فضاجعت أباهما ولم يعلم بنيامها ولا قيامها . (٣٤) فلما كان الغد قالت الكبرى للصغرى هاءنذا ضاجعت أمس أبي فلنسقه خمرأ تلك الليلة أيضاً وتعالي أنت فضاجعيه لنقيم من أبينا نسلأ . (٣٥) فسقتا أباهما خمرأ تلك الليلة أيضاً وقامت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنيامها ولا قيامها . (٣٦) فحملت ابنتا لوط من ابنيهما (٣٧) وولدت الكبرى ابناً وسمته مؤاب وهو أبو المؤابيين إلى اليوم . (٢٨) والصغرى أيضاً ولدت ابناً وسمته بنعمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم .

ويمكننا أن نعدّ هذا التاريخ الميثوبي الذي ذكرته التوراة بمخابة أصل اسطوري لشعبي مؤاب وعمون اللذين قدما من نسل النبي لوط بعد ان ضاجعته ابنتاه .

لقد هرب لوط من خطيئة اقوام سدوم وعاموره بعد ان نزلت فيها كارثة العقاب . ولكنه دخل مجبراً في خطيئة اخرى ذات طابع جنسي محرّم ، ويبدو هذا الوصف الجنسي الذي تعمده كتبة التوراة لأقوام سكنت وادي الاردن (لوط ، سدوم ، عاموره ، مؤاب ، عمون) بمخابة التهيئة لصراع طويل بين العبرانيين والأقوام الاردنية بعامة . وقد يفسر هذا حقد التوراتيين ومن ثمّ تشويههم المتعمد لهذه الأقوام ولكن هذا لا يمنعنا من النظر الى هذه النبرة الميثوبية (الاسطورية) لأصل شعوب الاردن فقد انطلق هذا التأصيل من أعماق جنسية مشاعية حيث لا تابوهات ولا تحريم وهو ما تحفل به الأقوام البدائية . وفي ظني ان في مثل هذا ترميزاً لا واعياً لقدم الاستيطان البشري في وادي الاردن ولذاكرة مترسبة عتيقة عن ممارسات جنسية بائدة كانت ذات يوم .

عيسو (أدوم المختصب حقه)

أما الشعب الاردني الرابع الذي طردته المثلولوجيا التاريخية للتوراة الى الهامش فهو عيسو الابن الأكبر لاسحاق : الذي تذكره التوراة كما يلي ^(١) :

(٢٠) وكان إسحق ابن أربعين سنة حين تزوج برفقة بنت بتوئيل الأرامي من فدان أرام أخت لابان الأرامي . (٢١) قم دعا إسحق الى الرب لأجل امراته إذ كانت عاقراً فاستجاب له الرب وحملت رفقةً امراته . (٢٢) وازدحم الولدان في جوفها فقالت إن كان الأمر هكذا فما لي والحمل ومضت لتسأل الرب . (٢٣) فقال لها الرب إن في جوفك أمتين ومن أحضائك يتفرع شعبان . شعبٌ يقوى على شعبٍ وكبيرٌ يستعبد لصغير . (٢٤) فلما كملت أيام حملها إذا في جوفها توأمان . (٢٥) فخرج الأول أكلف اللون كله كفروة شعر فسموه عيسو . (٢٦) ثم خرج أخوه ويده قابضة على عقب عيسو فدُعِيَ يَعْقُوب . وكان إسحق ابن ستين سنة حين وُلدا . (٢٧) وكبر الغلامان فكان عيسو رجلاً عارفاً بالصيد برياً ويعقوب رجلاً سليماً مقيماً بالخيام . (٢٨) فاحب إسحق عيسو لأنه كان ياكل من صيده ورفقةً أحببت يعقوب . (٢٩) وطبخ يعقوب طبيخاً وقدم عيسو من الصحراء وهو قد أعيا (٣٠) فقال عيسو ليعقوب أطعمني من هذا الأحمر فإني قد أعيت . ولذلك قيل له أدوم .

(٣١) فقال يعقوب بعني اليوم بكريتك . (٣٢) فقال عيسو إنما أنا صائر الى الموت فما لي والبكرية . (٣٣) فقال يعقوب احلف لي اليوم . فحلف له وباع بكريته ليعقوب . (٣٤) فاعطى سيعقوب لعيسو خبزاً وطبيخاً من العدس فاكل وشرب وقام ومضى واستخف عيسو بالبكرية .

هكذا وصمّ عيسو بلون أحمر (هذا يذكرنا باللون الأسود لحام) ، وشعر غزير وضخامة في الجسد ، وقد رحل عيسو بعد ذلك الى جبل سدير وتكون منه شعب الادوميين .

وهكذا .. اذا كان المنافس ليس من نسل ابراهيم وصم بالخطايا (لوط وابنتاه) واذا كان من نسله ظهر انه (ابن خادمة : اسماعيل ثم اولاده ومنهم نبوت) واذا كان من نسله ومن ساره ظهر انه مشوه اللون والجسم ولا يستحق وراثة ابراهيم رغم انه الاكبر (مثل عيسو) .

ويتصادف ان يكون كل هؤلاء اقواماً مجاورة لبني اسرائيل التي تشن عليهم حرب لاهوادة يها لاحقاً . هؤلاء الأقوام هم مادة الاردن القديم وارومته .

موت موسى في جبل نيبو

بقي قوم موسى في بركة فاران مدة طويلة وكانت آخر محطة لهم قبل دخول الاردن في جوار جبل هور في طرف ارض ادوم حيث مات هارون في السنة الأربعين بعد خروجهم من مصر . ولم يكن بالامكان ان يدخل موسى لأرض فلسطين عن طريق الجهة الغربية ، فقرر دخولها عن طريق شرق الاردن "وكانت في هذه الجهة خمس ممالك : الأولى مملكة عوج في باشان وهي تبدأ في أقصى الشمال عند حدود جبل حرمون (جبل الشيخ حالياً) وهي بيد الرفائين والثانية مملكة سيحون في جلعاد وهي بيد العموريين ، والثالثة مملكة عمون وقد استولى عليها العموريون من العمونيين ، والرابعة مملكة مؤاب بيد المؤابيين والخامسة مملكة ادوم بيد بني عيسو . وقد تم للموسويين الاستيلاء على ثلاث من هذه الممالك ولم يتحرشوا بمملكتي مؤاب وادوم لمناعة تحصيناتها ، وقد عزت التوراة ذلك الى ما أمر به الرب" (٧) . واذا كانت سيرة موسى تحفل بالالتماعات المثولوجية بدءاً من انخراطه في ديانة اخناتون في مصر (عبادة الاله اتون) ومروراً بعصاه السحرية التي ابتلعت الحيات وشقت

النهر ، وذهابا معه الى عبادة العجل ثم تبنيه لديانة مدين وظهور (يهوا) في رسالته الدينية . وأخيرا في أرض الاردن ورفع له لراية الحية للملدوغين ، وعلى جبل (نبو) ميته الغامضة التي لم تحل اسرارها الى الآن ، وقد حفت بعض الاتهامات بكهنته الذين قاوموا تعاليمه أو ببوشع بن نون الذي يقال بأنه استصحبه الى اعلى الجبل ثم عاد بدونه ليقول بأن الرب قضى بموت موسى .

ان هذه السيرة الاسطورية لموسى والتي تكرسها التوراة وضوحاً أو غموضاً لتشير أيضا الى استمرار التأريخ المثلولوجي الذي سيظهر في انحيازاته الواضحة لبني اسرائيل وهم يحترّبون مع الشعوب الاردنية القديمة من مؤابيين وعمونيين وادوميين وبنطيين .

بلعام نبي مؤآب

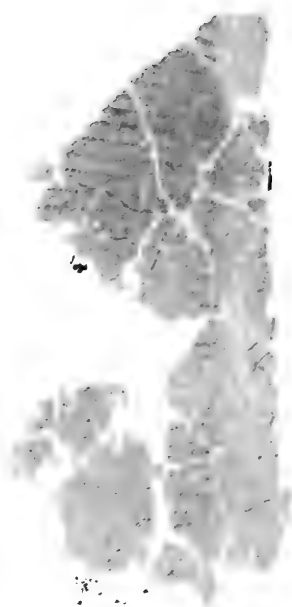
سبق لنا وان ذكرنا النبي بلعام في اكثر من مناسبة وقصته الموجودة في التوراة تشير له بوضوح ولاعماله التقية .

وارتبطت ببلعام مخطوطة آثارية اسمها (مخطوطة دير علا) المصنوعة من الجبس والمكتوبة بالحبر الأحمر والأسود ، وقد كانت على الأرجح مثبتة على جدار المعبد ولقتها ذات صلة بالكنعانية الجنوبية القديمة والآرامية . والمخطوطة مكتوبة بنموذج النصوص المميزة لشرقي الاردن وتعود الى القرن السابع ق م . تحكي المخطوطة عن رؤيا ليلية للعراف (بلعام بن بيور) الذي كان يوحى اليه من قبل الآلهة ، والرؤيا تخبر عن اجتماع لمجلس الكهنوت ، حيث عبرت الآلهة بشكل ظاهر وواضح عن عدم رضاها عن الأعمال غير الطبيعية على الأرض ، ويرد ذكر الآلهة في المجلس شادي والاسم معروف من توراة العهد القديم . أما آلهة روايا بلعام التي بلغت الى شعبه ونقلها المجلس الكهنوتي بامتعاذ اليه اسمها مفقود بسبب الكسر في المخطوطة (واخبرت الآلهة لكي تعاقب الأرض) . أما النصف الثاني من المخطوطة غير واضح من المحتمل ان يكون مجموعة من الطقوس والشعائر الدينية التي كانت تقام لاسترضاء الآلهة .

وقد عُثر أيضاً في دير علاّ على كتابات قديمة لم تحل رموزها من العصر البرونزي المتأخر .



شكل (١٢٢) : كتابات قديمة في دير علا غير مقروءة الى الآن



شكل (١٢١) : مخطوطة دير علا للنبي بلعام

٢. الاسينيون ومخطوطات البحر الميت

كان الفريسيون يمثلون معتزلة اليهود ، وقد اختاروا طريقاً آخر غير الطريق اليهودي المعروف فاعتزلوا الناس جميعاً في محاولة للحفاظ على التوراة والتلمود وشددوا في نمط خاص من الحياة فيما يخص الطهارة والأطعمة والزواج وغير ذلك .

ويسمى غلاة الفريسيين بـ(الاسينيين) وقد سلك هؤلاء مسلكاً خاصاً وتركوا مخطوطاتهم في مجموعة من كهوف تقع على البحر الميت وسميت (مخطوطات البحر الميت) التي بدأ اكتشافها منذ عام ١٩٤٧ في الاردن وتعد المخطوطات المتعلقة بالعهد القديم أقدم مخطوطات عبرية للتوراة وقد ألفت ضوءاً ساطعاً على تأريخ التوراة وعلى المسيحية في نفس الوقت ، وهذه المخطوطات هي :

١ . مخطوط سفر اشيعا .

٢ . شرح حقوق الذي يتضمن كلاماً عن (معلم الحق) .

٣ . كتاب النظام وهو مجموعة التوجيهات والطقوس والأنظمة والقوانين المتبعة في اجتماعات الجمعية والسلوك الشخصي للأعضاء .

٤ . سفر لامك وهو ابن ادريس واب نوح .

٥ . حرب ابناء النور على ابناء الظلام : أي الحرب بين اسباط لاوي ويهوذا وبنيامين (ابناء النور) والأدوميين والمؤابيين والعمونيين والفلسطينيين والاغريق (ابناء الظلام) .

٦ . المزامير : عشرون مزمور .

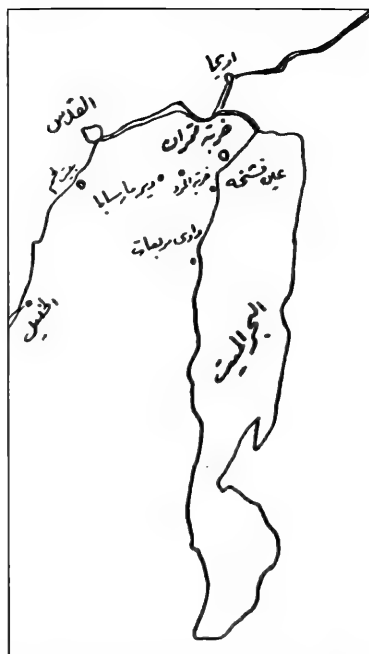
٧ . الملفات النحاسية

٨ . أجزاء من سفر اللاويين والمزامير والترجوم (الترجمة الآرامية لسفر ايوب) والوصايا العشر وأجزاء وجذاذات كثيرة من العهد القديم .

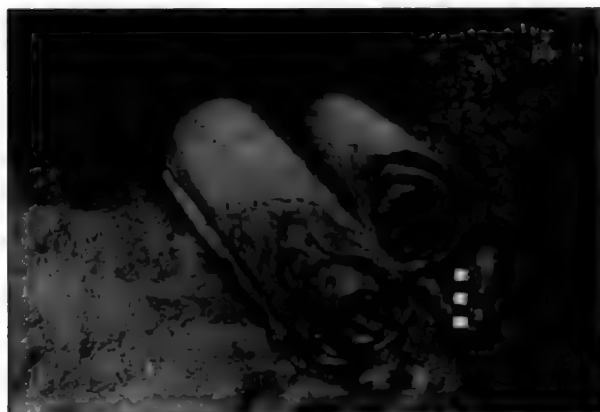
٩ . مخطوطات تأريخية .

١٠ . رسائل وعقود وأحجية وسندات وكتابات .

١١ . اجزاء من العهد الجديد واعمال الرسل وغيرها .



خارطة (١٠) : موقع خربة قمران التي وجدت فيها مخطوطات نبحر لييت



شكل (١٢٣) : المخطوطات النحاسية

اما المثلولوجيا الاسينية أو القمرانية (حسب اسماء الكهوف التي وجدت فيها المخطوطات) فيمكن أن تتلخص بأربعة فروع هي :

أساطير الملف النحاسي

اكتشف هذا الملف في كهوف قمران . وهو مخطوطة نحاسية في ثلاث صفحات طول كل منها ٨٠ سم وعرضها ٣٠ سم وسمكها (١) سم بالخط العبري المربع "وقد كتبت عليها اغرب مجموعة من الأساطير التي تدل على وجود دفائن قديمة بلغت ستين دفينة مكونة من الذهب والفضة تزيد في وزنها على مئتي طن" (٨) . واسطورة مدافن الذهب والفضة هذه ناقشها الكثير من الباحثين وبعضهم تساءلوا عن معنى اهتمام معتزلة كالاسينيين بها وما هي اسبابه : ورأى البعض الآخر "أن المخطوطة جمعت الأقاصيص الشعبية التي كانت تدور حول الكنوز الدفينة في القرن الاول بعد الميلاد . وبعبارة اخرى ظهر ان هذه المخطوطة الفريدة العجيبة ما هي الا مجموعة من القصص والتقوليات التي تناقلها الناس فجاء الكاتب وجمع خلاصتها" (٩) . وهناك آراء أخرى .

اسطورة حرب النور والظلام

يحتوي هذا النص على تعليمات لادارة الحرب بين أسباط لاوي ويهوذا وبنيامين . المدعوين بأبناء النور . وبين الأدوميين والمؤابيين والعمونيين والفلسطينيين والاغريق المدعوين بأبناء الظلام . وهي لا تشير الى حرب حقيقية وقعت بل تشير الى العاقبة . والى قصة ستظل تدور كذلك فهي "تشير الى الحقيقة القائلة ان الأشرار في الأيام الغابرة تجاهلوا تحذير الاله ولذلك هلكوا . ويعد النشيد بنصر مؤكد للنور على الظلام وبسحق الملائكة الأشرار ثم يشرق العدل كالشمس ويمتلئ العالم بالمعرفة بينما يهلك الأشرار الى الابد" (١) ان اساطير حرب النور والظلام ذات منشأ فارسي زرادشتي ويحتمل انها جاءت مع الغزو الفارسي للمنطقة وترسبت الى الثقافة اليهودية الاسينية .

أسطورة معلم الحق

ترد في شرح حبقوق اشارة واضحة الى معلم الحق Teacher of Righteosisness وهو يدل على "رئيس الجماعة أو مؤسسها الذي كان على حد زعم أتباعه يملك القدرة على

تفسير النبؤات وكان في الواقع يفسر ما كان غامضاً حتى على الأنبياء أنفسهم وقد كان يقاومه ويضطهده بعنف رجل عرف في التفسير بلقب «الكاهن الشرير» وقد بلغ الاضطهاد غايته في حادث جرى يوم عيد الغفران^(١١). وقد نجد صدى تاريخيا لاسطورة معلم الحق لكنها في حقيقة الأمر جوهر روحي يدل على الصراع بين قوة خير منتظرة وقوة فاسدة قاهرة، وهو أمر درجت الاساطير على تناولها بأشكال مختلفة.

ويبدو ان الاسطورة عرضت بطريقة سردية ودرامية وضيفت لبطليها السابقين (رجل الكذب) و (الواعظ بالكذب) ومجموعة من الناس الحيايين (بيت ابسالوم) و (شعب يهوذا) و (صانعوا الشريعة) واشخاص من الكتيمة والكهنة... الخ

ومعروف ان شخصية (معلم الحق) هذه ذات صلة كبيرة بشخصية السيد المسيح الذي كانت تسميه طائفة الابيونييين اليهودية المسيحية القديمة بـ(نبي الحق).

الأساطير الغنوصية

دخلت الأساطير والمفاهيم الغنوصية الى مخطوطات البحر الميت عن طريق فكرتين هما (الخلاص عن طريق المعرفة) و (صراع النور والظلام). وتشدد بعض المزامير القصرانية على الخلاص بالمعرفة حيث تقرأ ما يلي: ^(١٢)

بالمشورة الحكيمية سأحجب المعرفة
وبالظننة العارفة، سأضع سياجاً حول الحكمة

* * * *

لأنفتح بصبرتي من منابع معرفته
عينني رنت الى الحكمة الصحيحة

* * * *

والتي حجبت عن رجل المعرفة
والظننة الحكيمية عن أبناء البشر

* * * *

مبارك أنت يا الهي
الذي فتحت الى المعرفة قلب خادمك
انت علمت كل المعرفة

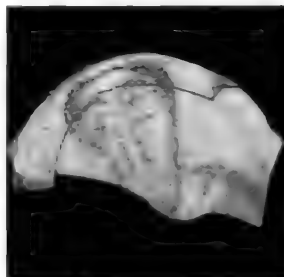
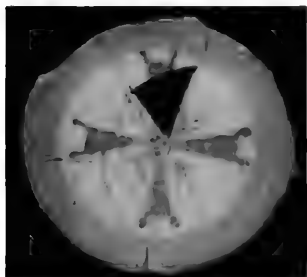
أما ثنائية الخير والشر فمرادفه لثنائية النور والظلام والصراع بينهما ، وهي ذات منشأ زرادشتي . وتظهر كذلك أفكار عن (الأسرار العجيبة) و (اسرار الفهم الالهي) و (اسرار المعرفة) و (اسرار الحكمة) واسماء الملائكة رفائيل وميخائيل وجبرائيل وعبارات عديدة تذكر بالمتولوجيا الغنوصية .

٣. يوحنا المعمدان (يحيى)

ظهر يوحنا المعمدان في الاردن وكان سبيله الى التعميد ماء الاردن ، وهناك من يرى بأن يوحنا المعمدان هو أسيني قمراني ولكنه اتخذ طريق الجهر والعلن بدلاً من اخفاء التعاليم وتداولها سرا .. وكان يبشر بالمسيح المنتظر . وقد تمثل هذا النبي شخصية (معلم الحق) ومضى في طريقه الى النهاية .. وقد عمد المسيح في نهر الاردن وبشره بأنه سيكون صاحب شأن عظيم . وقد عاش المعمدان وبشر بدياته في أرض الاردن ومات فيها أيضاً ميتة تراجيديّة على أيدي الحاكم الروماني وبترريض من سالومي وامها .

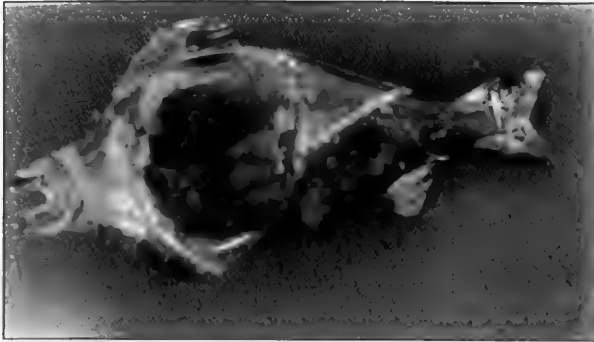
٤. السيد المسيح

يطول الحديث عن المتولوجيا المرتبطة بظهور السيد المسيح وبسيرته وقد ناقشتها بشكل مباشر او غير مباشر كتب كثيرة وبحوث كثيرة لانريد أن نتفصل فيها هذه العجالة . ولكننا نشير الى ان السيد المسيح صعد من بحر الجليل الى مدينة الجرجاسيين (ام قيس) وفيها شفى احد المجانين الذي كان يحمل أربعة شياطين فطرد الشياطين منه وسحبهم ووضعهم في سرب من الخنازير البرية فهاجت الخنازير وولت شاردة وشفى المجنون وخرج ينادي في المدن العشر بما صنعه يسوع اليه وكان الجميع لا يصدقون ما حصل .



شكل (١٢٥) : صليب على طبق فخاري / جرش

شكل (١٢٤) : تخليط لوحة السيد المسيح على طبق فخاري / جرش



شكل (١٢٦) السمكة : رمز مسيحي تداوله المسيحيون الأوائل ليستدلوا به على بعضهم / متحف عمان

هذه المعجزة للسيد المسيح حصلت في واحدة من مدن الاردن لكن المدن العشر التي كان اغلبها في الاردن صارت فيما بعد مهذاً لانتشار المسيحية الى العالم ولاختلاطها الصميم بالثقافة الهيلينية واكتسابها صفة عالمية وكان عماد الثقافة اليونانية آنذاك الأساطير والفلسفة .

٥. أهل الكهف

هناك مدرستان في تفسير اسطورة أهل الكهف ، الاولى ترى ان مكان أهل الكهف الوارد ذكرهم في القرآن الكريم هو مدينة افسوس في غربي آسيا الصغرى في جبل أحمر في القسطنطينية . وهذه المدرسة في أساسها مسيحية وقد ايدها مجموعة من المؤرخين المسلمين كالطبري أما المدرسة الثانية الاسلامية فقد رأت ان مكان أهل الكهف في شرقي الاردن بالقرب من عمان . وقد طرح ابو عبد الله البشاري المقدسي هذا الرأي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) وذهب معه كثيرون الى هذا الرأي .

نقرأ في القرآن الكريم ما يلي : (١٢)

« أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً * إذا أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً * فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً * ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً * نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » .

وفي صدد البحث عن مكان أهل الكهف تذكر دائرة المعارف الاسلامية ان الغرب يسميهم (نوام افسوس السبعة) ويورد الطبري قصتهم على انها جرت في مدينة من مدن الروم (اليونان أو آسيا الصغرى) . في عهد الملك دافوس أو دقيانوس وخلاصتها ان عددا من الفتية في هذه المدينة اعتنقوا المسيحية ونبذوا عبادة الأوثان فلما كشف امرهم فروا من هذه المدينة الى كهف وكان معهم كلب عجزوا عن ابعاده وناموا في هذا الكهف وتبعهم جنود الملك فلما لم يستطيعوا دخول الكهف بنى عليهم الملك باب الكهف ليموتوا جوعا وعطشا ونسي الناس امرهم ، وذات يوم حاول الرعاة فتح باب الكهف ليجعلوه حظيرة لغنمهم ، فلما دخلوا اليه وجدوا الفتيان نائمين فاستيقظوا مرعوبين من خطر ملاحقة الجنود لهم ، ثم بعثوا أحدهم الى المدينة ليشتري لهم طعاما ولم يعرف البائع النقود التي معه فقاده الى الملك فعرف انه وأصحابه ناموا ثلاثمائة سنة وتسعاً وان الوثنية انقرضت خلالها وحلّت المسيحية ففرح الملك بأصحاب الكهف ولم يكذب الفتى يعود الى الكهف ثانية حتى ضرب الله على أذانهم مرة أخرى فشيّدوا في ذلك المكان كنيسة ^(١٢) .

وفي رواية أخرى تنسب الى وهب بن منبه ذكرها الطبري أيضاً تتحدث عن بداية مختلفة وهي ان احد حواربي السيد المسيح جاء الى مدينة فوجد على بابها صنماً لا بد ان يسجد له فلم يدخلها لكي لا يسجد ، ولجأ الى حمام قريب من المدينة فعمل فيه وبشر بالمسيحية فتبعه فتية ، وذات يوم جاء ابن الملك مع امرأة الى الحمام وغيرهما حواربي لمرتين .. وحصل أن ماتا في الحمام فعرف الملك وطلب صاحب الحمام فلما لم يجده قال من كان يصحبه ؟ فذكر له الفتية فطلبهم الى الكهف مع صاحب لهم وتبعهم كلهم أيضاً ثم تأتي بقية القصة .

وقد حاول جون كوخ أن يرجع هذه القصة الى أساطير قديمة ، وتخيّر كثيرون في كلمة (الرقيم) المرافقة لكلمة (الكهف) فرأى بعضهم ان الرقيم اسم الكلب ، وذهب آخرون الى ان الرقيم هو اللوح الذي نقشت عليه قصة أصحاب الكهف اما جغرافيو العرب فيرون ان الرقيم اسم مكان ، فابن خرداذبه مثلاً يقول ان الكهف الذي كانت فيه الجثث اسمه الرقيم وان قصة اصحاب الكهف حدثت في افسوس ، اما المقدسي فيرى ان الثلاثة عشر رجلاً الذين وجدت جثثهم في الكهف كانوا أصحاب الكهف ويروي ان الرقيم هي جهة في شرقي الأردن قريبة من عمان ، ويقال ان هذه الجهة كانت مسرحاً لحادث شاذ حدث لثلاثة من الرجال ، وقد زار الكهف الذي كان فيها كليرمون جانو Clermon Gannean وهو يرى ان هذه الجهة هي التي جاء ذكرها في القرآن

ونرى ان ذكر (الرقيم) هو دليلنا على أن سكان أهل الكهف هو كهف في شرقي الاردن لأن الاسم العربي لمدينة البتراء هو (الرقيم) وفي ذلك يقول الدكتور احسان عباس "بترا هو الاسم الذي يطلقه الكتاب الكلاسيكيون على عاصمة الانباط ومعناه الصخرة ويربط بعضهم بينه وبين لفظة (سلع) وتعني الصخرة ايضا . ولكن ورد في النقوش وغيرها ما يدل على ان الرقيم هو الاسم العربي لتلك المدينة"^{١٠٠} . ويرى الكثيرون ومنهم جانو ومحمود العابدي ان الكهف في عمان "بعد القويسمة بكيلومتر واحد وقبل ان تقطع خط سكة الحديد في منطقة ام الخير ان تتجه نحو الشرق حتى نصل الى قرية أبو غلندة وبينهما وبين قرية الرجيب سفح صخري تكثر فيه الكهوف الاصطناعية . والكهف مقبرة من أوائل العصر المسيحي .. يوصل انيه بطريق روماني قادم من عمان . وقريب الرجيب للشرق منه . وتشبه آثارها آثار مادبا ولو على مقياس أضيق"^{١٠١} .

ويرى البعض ان كلمة (الرجيب) هي تصحيف لكلمة (الرقيم) .. وقد احترم المسلمون كهف الرجيب ودفنوا فيه موتاهم . وتظهر على واجهة الكهف الشرقي زخارف منها النجمة الثمانية التي تذكر بنجمة تليلات الغسول الضاربة في القدم .



شكل (١٢٨) : اللوحة المعلقة على الكهف



شكل (١٢٧) : واجهة الكهف بعد ترميمه وتظهر في الصورة انقاض المسجد القديم فوق الكهف وهو المسجد السواد ذكره في القرآن الكريم

٦. مثنولوجيا الكنائس الأردنية القديمة (مثنولوجيا الفيسفاء)

تسربت الى اللوحات الجدارية وفيسفاء الكنائس مجموعة كبيرة من الرموز والصور والاشارات المثنولوجية اليونانية الرومانية . وبذلك اشترت تلاحم الأساطير والمثنولوجيات المتتالية على المنطقة . ويمكننا حسب هذا الوصف التقاط أهم عناصر هذه المثنولوجيات الكنائسية وكما يلي :

١) **كنيسة القديس ثودورس الشهيد في مادبا** . حيث نلاحظ في الفرشة الكبرى والوسطى من الفيسفاء حيث تمثل مثنات الزاوية المشتلكة تشخيصات لأنهار الفردوس الأربعة المذكورة في سفر التكوين وهي جيحون وفيشون والفرات ودجلة .

٢) **كنيسة العذراء وردة هيبوليتس في مادبا** . حيث نشاهد في فسيفساء الأرضية في ردهة هيبوليتس حيث نشاهد مجموعة من اللوحات المثنولوجية وهي كما يلي :^(١٦)

١. **اسطورة الفصول الأربعة** : حيث صورت الفصول الأربعة على شكل الهات الخصب والحظ تاكيكي وعلى رأس كل منهن الاكليل المسنن على شكل برج وتحمل الهة الربيع في يدها اليسرى قرن الخصب الذي اشتهرت به تاكيكي تخرج منه الأزهار والخريف قرن خصب مليء بالفواكة . والصيف حزمة سنابل والشتاء قرن خصب ينسكب منه الماء وواضح ما لهذه النباتات والمياه من دلالات فالربيع هو فصل الزهور والخريف فصل الفاكهة والصيف فصل سنابل القمح والشتاء فصل المطر .

٢. **اسطورة فيدرا وهيبوليتس** : وهي من أشهر الأساطير اليونانية التي اخذت فيما بعد طابع الحكاية والدراما . فقد كتبها يوربيدس مسرحية يونانية وكتبها سنيكا مسرحية رومانية . وفي الصورة الفسيفسائية نشاهد الجوّاري وهي تساعد فيدرا بينما ترنو المريبة الى هيبوليتس بين حاشيته وامامه خادم ممسك برسن الفرس . وترتدي الجاريتان رداء وملاءة من غير اكمام وشعرهما مصفف في شبكة وأما فيدرا فقد تحلّت بالحلى : حلق وسلسلة وعقد من ايقونة وفي اليد اليسرى سوار وعلى رأسها تاج مرصع بحجر كريم .

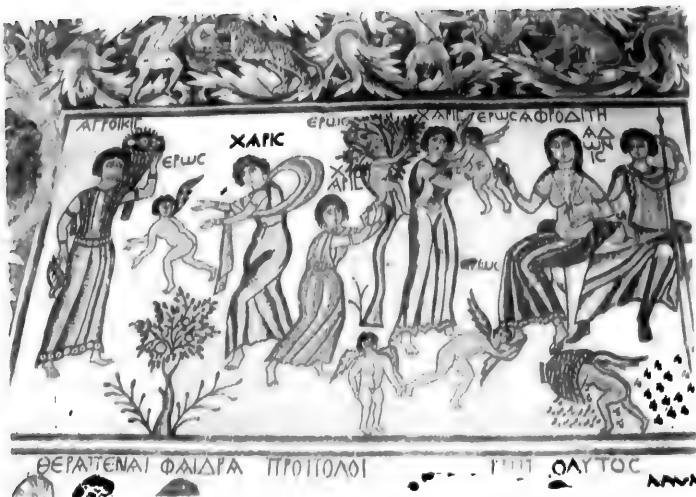


شكل (١٢٠) : تفصيل الجزء الأيسر من لوحة هيبوليتس وفيدرا حيث يظهر من اليمين الصاد وفيدرا حيث يظهر من اليمين الصاد وفيدرا وثيرابينا

٣. اسطورة ادونيس وافروديت : في اللوحة الوسطية تظهر افروديت جالسة على العرش وجنبها أدونيس وهي تهدد بصندلها اله الحب المجنح (ايروس) الذي تعرضه لها (نعمه) . وهناك ايروس ثاني يمسك بقدمها الخافية بينما الثالث يراقب المشهد والرابع يهتم بتفريغ سلة من الزهور . أما (نعمه) الثانية فتمسك بقدمي (ايروس) الذي لجأ الى أغصان شجرة وهناك (نعمه) الثالثة تحاول اللحاق بـ(ايروس) رابع ، وتراقب المشهد احدى الفلاحات شعرها المجدل المسدول على الكتفين وفي يدها زهرة .

ويظهر ادونيس الجالس على العرش جنب افروديت وهو يمسك بيده اليسرى رمحا ويرتدى ملاءة بأكمام طويلة مزينة بشبه بطرشييل ورداء مغلقة عند الصدر بشاكلة وفي قدميه حذاء أنيق

أما اسماء الهات (النعم) الثلاث فهن اكلايا ، يوفروسين وتاليا ، ولاشك ان هذه الاسطورة تصور ماكان يستمتع به افروديت وأدونيس من حب ولذة ، ولنا ان تتساءل كيف قفزت هذه الاسطورة الكنعانية الاصل اليونانية الصياغة الى كنيسة مسيحية . وهل كان دورها تزيينيا فقط ؟..



شكل (١٣١) : اسطورة ادونيس وافروديت



شكل (١٣٢) : أدونيس وافروديت تهدد بمسندلها ايروس

٤. **آلهات المدن الثلاثة** : القسم العلوي من هذه الفسيفساء الأرضية يضم صور الهات المدن الثلاثة (روما وغريغوريا ومادبا) اللائي يرتدين ملءة مزينة بشبه بطرشيلا ومغطة برداء مربوط بشاكله على الصدر وعلى رأس كل من مادبا وغريغوريا تاج تاكيكي ذي الابراج . اما روما فعلى رأسها قبعة تشبه الخوذة وتحمل غريغوريا في يسراها سلة زهور . وروما قرن الخصب وفيه ثمار من اجاص ورماني . واضيفت الى جانب ثمار قرن خصب مادبا سنبلتان ناضجتان من القمح . (انظر لوحة الفصل السابع) .

٢) **كنيسة الرمل** : يظهر في وسط صحن الكنيسة رسم فسيفسائي ملفت للنظر فهو يشخص الهة البحر (ثالاسا Thalasa) وهي الالهة اليونانية (ثيتس) على شكل امرأة خارجة من الأمواج وصدرها غير مغطى وهي ترفع يدها اليمنى وتحيط بها اسماك سباحة وسمكتان من القرش ذي الفكين المنشاريين . ويحيط بها حزام كتابي كتبت عليه العبارة التالية (ايها الرب الاله . الذي صنع السماء والأرض ، هب الحياة لانسئاس وتوما وثيرودورس وسلمانيوس رب الفن) .



شكل (١٢٢) : الهة البحر ثيتس خارجة من الأمواج

وتعكس هذه الأسطورة استمرار تداول وظهور الاساطير اليونانية في الفترة المسيحية او الاستفادة من عناصره لاغراض مسيحية تبين عظمة الخالق وقدرته .

٤- فيفساء بيت فريد المصري وتحتوى على مشهدين اسطوريين :

١- **المشهد الباخوسي** : الذي يتضمن مشهدا اباحيا لثلاثة من الاشخاص هم (ارديانة . بانخيه . ساتيروس) ولم يبق منه سوى بانخيه وساتيروس وهما راقصتان وعلى الأرجح ان تكون ساتيروس ممثلة للساتير الباخوسي (الماعز) الذين كانوا يرافقون باخوس . حيث يظهر لها عضو ذكري وهي ترقص بغنج .

٢- **اخيل وايرا** : وهو مشهد لشابين عاريين واقفين وعلى كتفهما رداء ومحتذين حذاء تشير كتابة فوقهما الى انهما أخيل (Achilles) وهو بطل الالياذة و باطروقليس الذي يتكي، يساراً على حربة يمسكها بيده اليمنى اسمها اوبرا Eubre وهي رافعة يدها اليمنى تقدم بها زهرة ويدها اليسرى ترفع خجلة طرف رداها الطويل وطفلان صغيران مجنحان وهما تشخيص للحب (ايروس) يصنعان اكليلاً على رأسها وبين اخيلس واوبرا ادمجت شجرة محملة ثماراً .

٣- **ساتيروس يضرب على المزمار** : ويلحقه شخص يرتدي رداءً طويلاً وبقي منه الذراع اليسرى مع جرس صغير في يده ثم تتراى ساقان عاريتان لشخص ثالث (ساتيروس) وبين الجدولين على مستوى الايروسين كان قد صور وحش يتجه نحو اليمين . بقي منه القائمتان الأماميتان ، لعله النمرة التي ترافق عادة صورة ديونيزيوس .

٤- **هرقل وهو يصارع الأسد نيموس** : ونرى فيها شاباً شبه عاري يخنق شبلأً فوقه عن اليسار مطرقه وعن اليمين اسم هرقل .

(وهذه اللوحة محفوظة الآن في كنيسة الرسل) .

٥- **المرأة المستلقية والاله (كوموس Comus) شيطان او اله المأدب** : وهي لوحة محوطة الآن نشر لها صورة فوتوغرافية عام ١٨٩٢ الأب سيجورني التقطت في الزاوية الشمالية الغربية من مدينة مادبا . وهي صورة امرأة مستلقية عارية الصدر يغطي سائر جسمها ثوب ضاف وقد اتكأت على ذراعيها اليسرى ورفعت يدها اليمنى الى جبينها .



شكل (١٢٤) : نخبة وسانديوس في مشهد داخوي

هوامش الفصل السابع

١. سوسة . أحمد : "مفصل العرب واليهود في التاريخ" العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة ط ٤ . دمشق ١٩٧٥ ص ٤٣٦ .
٢. الحوت ، محمد سليم : "في طريق المثلوجيا عند العرب" ص ٢٤ .
٣. العهد القديم سفر التكوين - فصل ١٨ (٢٠ - ٣٢) فصل ١٩ (١ - ٢٩)
٤. زهران ، ياسمين : "اصداء من تاريخ الاردن" الناشر يوسف بحوث وشركاء . دار الكتب . المطبعة الوطنية - عمان بلا تاريخ ص ١٩ .
٥. العهد القديم سفر التكوين - فصل ١٩ (٢٩ - ٣٨) .
٦. المرجع السابق . فصل ٢٥ (٢٠ - ٣٤) .
٧. سوسة . أحمد : "مفصل العرب واليهود في التاريخ" ص ٤٩٠ .
٨. العبادي . محمود : "مخطوطات البحر الميت" منشورات دائرة الثقافة والفنون . عمان ١٩٦٧ . ص ١٥١ .
٩. المرجع السابق ص ١٥٣ .
١٠. المرجع السابق ص ٢٦٦ .
١١. المرجع السابق ص ٧٧ .
١٢. ارجع لسورة الكهف في القرآن الكريم الآية (٨ - ٢٦) .
١٣. قنسنك ، أ.ج : "أصحاب الكهف" دائرة المعارف الاسلامية . ح ٣ . دار الشعب . القاهرة ص ٤٥٥ .
١٤. عباس . احسان : "تاريخ دولة الأنباط" دار الشروق للنشر والتوزيع ط ١ . عمان ١٩٨٧ ص ١٧ .
١٥. العبادي . محمود : "عمان في ماضيها وحاضرها" ص ٦١ .

١٦. انظر كتاب الالب ميشيل بيشريللو :

Piccirillo, Michele : "The Mosaics of Jordan"

American center of oriental research, Amman, Jordan. 1993

وترجمته انعرية :

بيتريللو . ميتيل "مادبا كنائس وفسيفساء"

ترجمة ميشيل صباح . جورج سابا ، انطوان عيسى .

معهد الفرنسيكان للآثار . المجموعة الكبرى . الرقم ٣٤ ، القدس ، ١٩٩٣ .

المصادر والمراجع

المصادر

١. القرآن الكريم .

٢. الكتاب المقدس - العهد القديم والعهد الجديد -

المراجع العربية

١. ابراهيم ، زكريا : "مشكلة البنية" . منشورات مكتبة مصر ، القاهرة ب.ت .
٢. ابو دية ، عبد السميع علي أحمد : "دراسة في فن النحت بعمون ما بين ٩٠٠ - ٦٠٠ ق.م" رسالة ماجستير باشراف د. محمد خير ياسين واد. عدنان الحدييد . كلية الآداب قسم الآثار الجامعة الاردنية . ١٩٧٨ (مخطوطة) .
٣. ابو طالب ، محمود : "آثار الاردن وفلسطين في العصور القديمة" منشورات وزارة الثقافة والشباب . ط١ عمان ١٩٨٥ .
٤. بدج ، والس : "الديانة الفرعونية" ترجمة وتقديم يوسف سامي اليوسف . منشورات دار منارات . عمان ١٩٨٥ .
٥. بشور ، وديع : "المثولوجيا السورية اساطير آرام" ط٢ ١٩٨٩ .
٦. بيشريللو ، ميشيل : "مادبا كنائس وفيسفاء" ترجمة ميشيل صباح ، جورج سبابا ، انطوان عيسى . معهد الفرنسيكان للآثار . المجموعة الكبرى الرقم ٣٤ ، القدس . ١٩٩٣ .
٧. تيزيني ، الطيب : "الفكر العرب في بواكيره الاولى" ج٢ . دار دمشق ط١ ١٩٨٢ .
٨. حسن ، حسين الحاج : "الاسطورة عند العرب في الجاهلية" المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . ط١ ١٩٨٨ .
٩. الحوت ، محمد سليم : "في طريق المثلولوجيا عند العرب" مطبعة دار الكتب . ط١ بيروت ١٩٥٥ .

١٠. خان . عبد المعيد : "الأساطير والحرافات عند العرب" دار الحداثة ط٣ بيروت ١٩٨٧ .
١١. الجابري . محمد عابد : "بنية العقل العربي" مركز دراسات الوحدة العربية ط٢ بيروت ١٩٨٧ .
١٢. الياد . مرسيا : "المقدس والنيوي" ترجمة نهاده خياطة ، العربي للطباعة والنشر ط١ دمشق ١٩٨٧ .
١٣. الدباغ ، تقي . الجادر . وليد : "عصور ما قبل التاريخ" وزارة التعليم العالي . جامعة بغداد . بغداد ١٩٨٣ .
١٤. دريوتون ، اتين : "المسرح المصري القديم" ترجمة وتقديم الدكتور ثروت عكاشه . الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢ . القاهرة ١٩٨٨ .
١٥. زهدي ، بشير : "تيكه وتمثيلها في المتحف الوطني بدمشق" . مجلة الحوايات الاثرية السورية . مجلد ١٦ ، ١٩٦٦ .
١٦. أبو زيد . حامد : "الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي" مجلة عالم الفكر . وزارة الاعلام ، الكويت العدد (٣) المجلد (١٦) ، ١٩٨٥ .
١٧. زيل . أه . فان : "المؤايون" تعريب واعداد د. خير ياسين . نشر الجامعة الاردنية سلسلة تأريخ الاردن . عمان ١٩٩٠ .
١٨. السواح . فراس : "دين الانسان - بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني" منشورات دار علاء الدين ط١ . دمشق ١٩٩٤ .
- : "لفز عشتار" - سومر للدراسات والنشر . قبرص نيقوسيا - دار غربال ، دمشق ط٢ ١٩٨٦ .
- : "مغامرة العقل الاولى" سومر للدراسات والنشر ، قبرص - نيقوسيا - ط١ ١٩٨٦ .
١٩. سوسه . أحمد : "مفصل العرب واليهود في التاريخ" العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة - ط٤ دمشق ١٩٧٥ .
٢٠. صالح ، عبد المحسن : "التنبؤ العلمي ومستقبل الانسان" . منشورات عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت ١٩٨١ .
٢١. طوقان ، فواز : "دراسة عن اللغة المؤابية وترجمة نقش الملك ميشع" حولية الاثار الاردنية . رقم (١٥) ١٩٧٠ .

٢٢. العبادي ، محمود : "عمان في ماضيها وحاضرها" منشورات أمانة عمان . ط١ ١٩٧١ .
- : مخطوطات البحر الميت" منشورات دائرة الثقافة والفنون . عمان ١٩٦٧ .
٢٣. عباس . احسان : "تأريخ دولة الأنباط" دار الشروق للنشر والتوزيع ط١ . عمان ١٩٨٧ .
٢٤. عجينة . محمد : "موسوعة اساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها" دار الفارابي . بيروت ط١ ١٩٩٤ .
٢٥. علي ، جواد : "تأريخ العرب قبل الاسلام" ج٣ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٣
٢٦. عويس . ايمان : "مدفن بيزنطي في جرش" حولية دائرة الآثار العامة. المجلد ٢٩ . عمان ١٩٨٥ .
٢٧. غارودي . روجيه : "فلسطين أرض الرسالات السماوية" ترجمة قصي أتابي . وميشيل واكيم . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . ط١ ١٩٨٨ .
٢٨. غريببر . ه.أ : "أساطير الاغريق والرومان" ترجمة حسني فريز . منشورات دائرة الثقافة والفنون . عمان ١٩٧٦ .
٢٩. الفاسي ، هتون اجواد : "الحياة الاجتماعية في شمل غرب الجزيرة العربية" ط١ . الرياض ١٩٩٤ .
٣٠. فرانكفورت ، ه. ه. فرانكفورت ه.أ وآخرون : "ما قبل الفلسفة" ترجمة جبرا ابراهيم جبرا . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٣ . بيروت ١٩٨٢ .
٣١. القمني ، سيد محمود : "الاسطورة والتراث" دار سينا للنشر ط٢ القاهرة ١٩٩٣ .
٣٢. فروم . أريك : "اللغة المنسية" ترجمة د. حسن قبيلي . منشورات المركز الثقافي العربي ط١ . بيروت ١٩٩٢ .
٣٣. فنسك ، أ.ج. : "أصحاب الكهف" دائرة المعارف الاسلامية . ط٣ . دار الشعب . القاهرة
٣٤. كريك ، صموئيل نوح : "طقوس الجنس المقدس عند السومريين" ترجمة نهاد خياطة دار الغريال ط١ . دمشق ١٩٨٦ .

٣٥. كفا في . زيدان : "الأردن في العصور الحجرية" مؤسسة آل البيت . عمان . ١٩٩٠ .
٣٦. ابن الكلبي : "كتاب الأصنام" . تحقيق أحمد زكي . القاهرة ١٩٦٠ .
٣٧. كوفان . جاك : "ديانات العصر الحجري في بلاد الشام" ترجمة د . سلطان محيسن . دار دمشق للطباعة . ط١ ١٩٨٨ .
٣٨. الماجدي . خزعل : "بيان أول للحدثة ميثاجماليا الشعر" مجلة المهدي . دار المهدي للنشر والتوزيع . عمان . العدد (٩ . ١٠) السنة ٣ . ١٩٨٦ .
٣٩. مقار . شفيق : "قراءة سياسية للتوارة" منشورات رياض الريس للكتب والنشر ١٩٨٧ .
٤٠. ميلارت . جيمس : "أقدم الحضارات في الشرق الأدنى" . ترجمة محمد طالب تدقيق وتقديم الدكتور طالب محيسن . دار دمشق للطباعة والنشر ط١ . دمشق ١٩٩٠ .
٤١. هاردينج . لانكستر : "آثار الأردن" . ترجمة سليمان موسى . وزارة السياحة والآثار في الأردن . عمان . ط٢ . ١٩٧١ .
٤٢. وافي . علي عبد الواحد : "الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي" . دار المعارف بمصر . القاهرة ١٩٦٠ .
٤٣. اليازجي . ندره : "مدخل الى المبدأ الكلي" . منشورات دار الفريال دمشق . المنشورات الجامعة . طرابلس ١٩٨٤ .
٤٤. ياسين . خير نمر : "الادوميون" . الجامعة الاردنية . عمان ١٩٩٤ .
٤٥. يونس . عبد المجيد : "الفولكلور والمثولوجيا" مجلة عالم الفكر . وزارة الاعلام . الكويت . العدد (١) ١٩٧٢ .

المراجع الأجنبية

1. Bienkowski, piotr : "The Art of Jordan" . Alan Sutton publishing Ltd, 1991 .
2. Landes, George Miller : "A History of the Ammonites" Betimore, Maryland, 1956
3. Larousse Encyclopedia of mythology, premetheus press. New York 1995
4. Larringtn, Carolyne : "The Feminist Companion to Mythology" pandera press, London 1992 .
5. Pircirillo, Michele : "The Mosaics of Jordan" American center of oriental reserach Center, Amman, Jordan, 1993
6. Stern, Ephraim, Ayelet lewinson-gilbu , Joseph Aviram "The new encyclepedia of archeological excavations in the Holy land . Vol. 2 the Isreal exploration society, Carta, Jerusalem 1993 .
7. Walker, Barbara G : "The women's encyclopedia of myths and secrets" Harper , Sanfrancisco, 1983.

